الدكتور
محمد رمزي أحمد فواز

جهاد المرأة في حقل الدعوة

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ — ١٩٩٩ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر — القاهرة



اقرأ وربك الأكرم

الإهداء

— إلى زوجتى العظيمة والفاضلة التى سهرت الليالى، وتحملت المتاعب والمشاق فى سبيل ماأنا فيه الآن .. فقد وقفت بجانبى تشد من أزرى ، وتقوى من عزيمتى ، بل كانت تمد يد العون والمساعده ، لافى البيت فقط — وهو تفضل منها — بل فى كل أبحاثى من بداية رسالة الماجستير ، ومازال عطاؤها ممدوداً حتى الآن .. فاقرارا بفضلها ، وشهادة بمعروفها واعترافا بجميلها . . أقول لها : جزاء الله خير الجزاء ، ومتعك الله تعالى بالصحة ..

— وإلى ولدى محمد ، وإلى كل رجل مسلم يعرف إسلامه ، ويعرف ما عليه تجاه المرأة ، سواء أ كانت أماأم زوجة أم بنتا أم أختا ..

— وإلى ابنتى مريم ، وإلى كل إمرأة مسلمة تعرف إسلامها ، وفضل الله تعالى عليها ، وبالتالى تعرف ماعليها تجاه إسلامها .

— بل وإلى كل إمرأة غير مسلمة تريد أن تعرف حقيقة الإسلام وما أعطاه للمرأة المسلمة ، وبين ماأعطته لها ملتها أو نحلتها أو قوانين البشر ..

إلى كل هؤلاء أهدى لهم هذا الكتاب ؟

د / محمد رمزى أحمد فواز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل فى محكم التنزيل « هو الذى خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل فى كتابه الكريم « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ، وأشهد أن محمداً رسول الله القائل فى أحاديثه المطهرة « إنما النساء شقائق الرجال » ، ورضى الله تعالى عن الأصحاب الأبرار ، الذين حملوا مشاعل الهدى والخير والنور ، وساحوا بها فى أرض الله تعالى ، ليزيحوا بها عن كاهل البشرية — أينما وجدوا عار الذل والإستعباد ، والقهر والإستبداد ، ورضى الله تعالى عن الصحابيات الطاهرات واللاتى حملن — مع الرجال — مشاعل الإسلام وماحواه من قيم رشيدة . وحقوق وواجهات مقدسة ، وانطلقن بها فى شغف ورضا وإيمان إلى عباد الله تعالى فى كل الأصقاع ، ورضى الله تعالى عن كل التابعين والتابعيات ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الرجل والمرأة هما عنصرى الوجود البشرى على ظهر كوكبنا الأرضى ، فإذا فقد أحدهما إنهارت الحياة ، ولا يمكن أن تكون الحياة

البشرية بدونهما معاً .. هكذا كانت إرادة الله تعالى وهكذا قضت حكمته البالغة .

وفى بعض الأمكنة والأصقاع ، وفى كثير من الأحوال والظروف قد يكثر العنصر النسائى عن العنصر الرجالى ... وعليه

فأى إهمال ، أو إهدار لأحد العنصرين — ولو على حساب الآخر — هو إهدار وإهمال للحياة البشرية بأكملها ، فالله تبارك وتعالى خلق الكون كله متوازنا ، ولو هذا التوازن ما كانت الحياة ، والعنصر النسائى من حيث أنه : أم وأخت وزوجة وبنت ، إذا أخذنا بأيدين وفق منهاج الله تبارك وتعالى صلح حال المجتمع بكل فئاته ومناحيه .

والدور الذى أرمى إليه هنا — فى هذا الكتاب — هو إبراز دور المرأة فى حقل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى مثلها مثل الرجل سواء بسواء ، وماأجمل وأنبل أن تخوض المرأة هذا الميدان الشريف ، وتلحق بأخواتها السابقات فى العمل فى هذا البستان الزاهر الزكى المثمر وتتواصل الأجيال جيلا خلف جيل . . وكل جيل يحمل على عاتقة بشائر الخير والعلم والهدى والنور .

وقد قرأت كثيرا فى هذا الموضوع ، فوجدت أن المرأة منذ فجر تاريخ البشرية — أمنا حواء — كان لها أكبر الأثر فى نشر الدعوة الإسلامية . كما وجدت كثيرا من الكتب والمجلات والمؤتمرات والإذاعات عند تناولهم لموضوع المرأة يكتبون ويقولون عن حقوقها وواجباتها ، ومالها وما عليها ، وما أصابها من غبن من الرجال فى بعض الدول والنحل المختلفة . .

ووجدت القليل من الكتب التى تتناول المرأة كداعية إسلامية ، فاستعنت بالله تعالى ، ودعوته خالصاً أن يشرح صدرى ، ويسدد قلبى

وقلمى فى إبراز جهاد المرأة فى حقل الدعوة الإسلامية ، حتى تكون أمام الأخوات الداعيات القدوات الطيبات من بنى أخواتهن ، فيشحذن الهمم ، وينطلقن بكل همة وشجاعة ورغبة وإيمان صادق فى تحمل مسئولياتهن فى هذا المضمار الإيمانى الشريف، وسوف يجنين منه كل الخير فى الدنيا والآخرة ، وبخاصة فى هذه الظروف الحالكة والعصيبة ، والتى نراها ونشاهدها كل يوم من بعض بل من كثير من المسلمات ، وقد سادت بينهن أفكار غريبة ساقها ، إليهن الخصوم ، وزينوها لهن ، بعد أن زينها الشيطان لهم . . وانطلقن يعملن فى مجالات يندى لها الجبين ، جالبة لها وللرجال على السواء الخزى والعار .

وتقعيدا لقواعد البحث العلمى ، فقد قسمت هذا الكتاب إلى ثلاثة فصول :

وتناولت فى الفصل الأول : حالة المرأة ووضعها فى العصور الغابرة القديمة .. وما أصابها من قهر وهوان تحت نظريات ونحل وملل وأفكار بشرية وجاء الفصل الثانى: عن الحقوق العامة للمرأة فى الإسلام، وأبرزت هذه الحقوق ، وبينت كيف رفع الإسلام من مكانة المرأة ومنزلتها من عدة جوانب ، وهو رد فى الوقت نفسه عما إدعته الحضارات الجاهلية، وعلى النحل والملل الموجودة الآن .

وجاء الفصل الثالث : حول جهاد المرأة فى ميلادين كثيرة وبخاصة جهادها فى حقل الدعوة الإسلامية ، وسقت نماذج متعددة من الداعيات الإسلاميات من فجر تاريخ البشر إلى يومنا هذا ليكون أمام المرأة الداعية المثل والقدرة لتلحق بأخواتها السابقات فى هذا الميدان ، ولتسجل إسمها وجهادها فى سجل الخالدات .

وجاء الفصل الرابع عن وضع المرأة فى العصر الحاضر ، وبخاصة بعد

أن تحللت وبعدت عن منهاج خالقها ، ثم سقت بعض الشبهات التى يثيرها بعضهن وبثها لهن أعداء الإسلام وينقدن لهم ، ورددت عليها بإيجاز .

هذا وإن كان التوفيق حالفنى فالحمد لله رب العالمين فهو وحده صاحب الحمد والشكر والمنة ، وإن كان غير ذلك . . فالخير أردت ، والله وحده أعلم بالقصد ، وأقول ماعلمنا ربنا « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » كما أسأله جل ذكره أن يهدينى ويهدى بى ، ويجعله فى ميزان حسناتى « يوم لاينفع مال ولا بنون » .

كما أرجو كل من قرأ كتابى هذا الدعاء لى بقلبه ، وأن يتجاز عن عثراتى فيه ، فمن المعلوم بالضرورة أن الكمال لله تعالى وحده .

وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله ، ورضى الله تعالى عن الصحابة والتابعين ومن اهتدى بهم إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د / محمد رمزى أحمد فواز
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين والدعوة
بشبين الكوم

الفصل الأول

المرأة فى خلال العصور الجاهلية

وفيه تمهيد وستة مطالب :

تمهيد :

لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، كلمة لها وزنها قالها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهى تبرز فقه المقارنات والمتقابلات ، وهى كما نقول بالضد يتكشف لنا الضد المقابل .. فالسواد ضد النهار ، والجهل ضد المعرفة ، والموت ضد الحياة ، وهكذا .. والجاهلية نقصد بها : الحالة التى كان عليها الناس قبل الإسلام من الجهل بالله تعالى ، وبرسوله ، وشرائع الإسلام ، فلما جاء الإسلام جاء بالحق والنور والمعرفة ، وأزهق الباطل ، ولملم الجهل أحابيله وولى .. وبالمقارنة بين عصر الجاهلية وعصر الإسلام تظهر لنا الأمور على حقيقتها ، ويعرف الناس الخبيث من الطيب ، ثم العاقل من يوازن بين الأشياء ويختار ..

وكان هذا الفصل لبيان ثلاثة أمور أساسية :

الأمر الأول : أن تعرف الأخت المسلمة — بل وغير المسلمة — ما كانت عليه أختها فى العصور الجاهلية من غبن وظلم واستعباد الخ

الأمر الثانى : أن تعرف فضل الله تبارك وتعالى عليها ، وما وهبها من مكانة ومنزلة ..

الأمر الثالث : أن تعرف واجبها نحو خالقها عز وجل ، ومن ثم واجبها نحو دينها . .

المطلب الأول

المرأة عند اليونان

إن الحضارة اليونانية القديمة يتيه بها الغرب تفاخرا ، ويعتزون بها أمام كل الحضارات ، وما زال هذا التيه والإعتزاز قائما حتى اليوم . . بل إن الغربيين الآن ينسجون على منوالها فى كثير من المعتقدات والنظريات .. وكثير من الكتاب العرب والمسلمين — يعتز بهذه الحضارة القديمة وفلاسفتها — للأسف الشديد — وعند تأريخهم وبحثهم لكثير من العلوم والمعارف يرجعون إلى هذه الحضارة بإعتبارها — عندهم — أم الحضارات . . ولندع كل هذا جانبا ، ولننظر لأحوال المرأة فى هذه الحضارة :

كانت المرأة عند اليونان ليست إلا إحدى المخلوقات المنحطة ، ليس لها أدنى حقوق ، وليس لها أدنى إحترام ، ومهمتها الوحيدة أن تلد فقط ، بل تلد أولادا أقوياء لخدمة الأمة اليونانية ، وإذا ولدت إبنا مريضا أو حتى غير جميل قضوا عليها فورا ، وعلى مولودها وكان فلاسفة اليونان يتحاورن ويتجادلون فى شأن المرأة كثيرا هكذا :

هل للمرأة روح كبقية البشر ؟ أم ليس لها روح ؟

وإذا كان لها روح ، فهل هى روح إنسانية أو روح حيوانية ؟

وجدلا : لو كانت روحها مثل روح بقية البشر ، فهل يحق لها أن يكون لها وضع اجتماعى مثل الرقيق — العبيد — أم أحقر من وضع الرقيق ؟

أم هي مخلوقة من نوع آخر غير البشر، كله شرور ومصائب وآلام؟

وكان أفلاطون يقول: إن شجاعة المرأة في تأدية الأعمال الوضيعة في صمت، ويقول: ينبغي تداول النساء كما تتداول الحاجات.

ويذهب سقراط إلى مدى أبعد للحط من شأن المرأة، ويقول: ينبغي للصديق أن يبر أصدقاءه فيعيرهم زوجته[١] ..

هؤلاء هم فلاسفة الحضارة اليونانية وحكماؤها.. ووضع المرأة عندهم هو الذل والهوان والتحقير لأبعد مدى..

ويتحدث الدكتور / مصطفى السباعي عن أحوال ووضع المرأة عند اليونان فيقول (كانت محرومة من الثقافة، ولا تسهم في الحياة العامة بقليل ولا بكثير، وكانت محتقرة حتى سموها رجسا من الشيطان... وكانت المرأة عندهم كسقط المتاع، تباع وتشترى في الأسواق. وهي مسلوبة الحرية والمكانة في كل مايرجع إلى حقوقها المدنية، ولم يعطوها حقا في الميراث وأبقوها طيلة حياتها خاضعة لسلطة رجل، وكلوا إليه أمر زواجها، فهو يستطيع أن يفرض عليها من يشاء زوجا، وعهدوا إليه بالإشراف عليها في إدارة أموالها[٢]... وجعلوا للرجل الحق المطلق في فصم عرى الزوجية، بينما لم يمنحوا المرأة حق طلب الطلاق)[٣].

هذه صورة موجزة مبسطة عن أحوال المرأة عند أقدم الحضارات

---

(١) انظر: الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغني محمد ٣٧/١، الدار العربية للكتاب ١٩٩٨ م

(٢) كان ذلك في اسبارطه إحدى مناطق اليونان فقط.

(٣) المرأة بين الفقه والقانون ص ١١، ١٢، دار السلام، ط أولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

التى يفخر بها الغرب حتى الآن . وكان من الإفرازات العفنة لهذه الحضارة أن شاع فى المجتمع اليونانى الفسق والفجور ، وأصبحت المرأة مصدرا للذة والإشباع الجنسى الفوضوى ، وانتشرت الفواحش ، وساد الشذوذ البغيض ، وكانت المرأة مصدرا للشرور والآثام والخيانة ، حتى أن زوجة آلهة عندهم — إفروديت — خانت زوجها مع ثلاثة آلهة أخرى ، وولدت من أحدهم كيوبيد إله الحب »[1] ، وكل هذا العبث كان سببا لإنهار حضارتهم فوق رءوسهم .

المطلب الثانى

المرأة عند الرومان

الدولة الرومانية تسنمت ذروة المجد والرقى بعد سقوط وانهيار الحضارة اليونانية هكذا يقول مؤرخو الحضارات ، ولننظر فى هذا الرقى بالنسبة لما نحن بصدده من حالة أو أحوال المرأة ووضعها عندهم .. فنجد من تشريعاتهم مثلا :

أن الذين فقدوا حقوق الأهلية فى التصرف فى كل شىء هؤلاء :

(أ) الرقيق . (ب) البنات والزوجات .

(ح) الأولاد الصغار والمعتوهون .

(د) السفهاء[2] .

ونجد أنهم وضعوا المرأة سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٢ .

فى عداد الرقيق ، والأطفال الصغار والمعتوهين والسفهاء ، وهؤلاء جميعا ليس لهم حق التملك أو التصرف فى أى شىء . . والشىء المزرى والمهين ، والذى ليس بعده إزدراء ولا إهانة أن مجمعا عقد فى روما وقرر مايلى فى شأن المرأة .

(أن المرأة كائن لانفس له ، وأنها لن ترث الحياة الأخروية ، وأنها رجس ، ويجب أن لاتأكل اللحم ، وأن لا تضحك ، وألا تتكلم ، وعليها أن تمضى جميع أوقاتها فى الخدمة والخضوع)[١] .

وبلغ من احتقارهم للمرأة مداه عندما منعوها من الكلام تماما ، فكانت تمارس الخدمة سواء فى داخل البيت أم خارج البيت ولاتنبس بكلمة واحدة ، وللقارىء وبخاصة النساء ، لهم أن يضحكوا كثيرا ، وكما قيل : شر البلية ما يضحك ، أن الرومان كانوا يضعون قفلا على فم المرأة لمنعها عن الكلام ، فكانت فى بيتها وعلى فمها قفل ، وتمشى فى الشارع وعلى فمها قفل ، قفل من حديد[٢] . . .

ومن احتقارهم للمرأة كذلك : أن منعوها من أن تستعين بإحدى وسائل النقل إذا أرادوا نقلها من مكان إلى آخر ، وحرموا عليها — بخاصة — ركوب العربات . . وقيدوا حق التملك للمرأة بعد ذلك بشرط أن لايزيد عن نصف أوقية من الذهب ، وكانت نظرة المجتمع الرومانى عامة للمرأة : أنها شيطانة ، ورجس ، وتباع وتشترى فى الأسواق ، لأنها مملوكة مثل الرقيق والحيوان . . حتى أن التقاليد عندهم كانت تعطى للزوج سلطة قتل زوجته ولا شىء عليه اطلاقا .[٣]

---

(١) الحقوق العامة للمرأة ، صلاح عبد الغنى محمد ٣٨/١ ، وانظر : الإسلام الدين الفطرى الأبدى للعلامة : مبشر الطرازى الحسينى ٢/ ١٢١ دار عمر ابن الخطاب ١٩٧٦ م .

(٢ ، ٣) انظر : المرجع السابق ج ٢ / ١٢١ ، ١٢٢ .

وصارت المرأة بعد كل هذا موضعا للمتعة والشهوة ، ولا حدود ولا قيود على الإطلاق على الطلاق أو التعدد (فقد ذكر القديس جروم ٣٤٠ : ٤٢٠ م عن امرأة تزوجت فى المرة الأخيرة الزوج الثالث والعشرون من أزواجها ، وكانت هى أيضا الزوجة الحادية والعشرون لبعلها).. (١)

وظهر الفساد فى الأرض الرومانية ، وســـاد الفسق والفجور ، وانتشرت الفواحش ، وانهارت القيم والآداب ، وراجت عندهم مهنة الداعرات ، وكان هذا سببا رئيسا لإنحطاط المجتمع الرومانى وانهيار حضارته . .

المطلب الثالث

المرأة عند الهنود والبوذيين والصينيين

أولا : عند الهنود :

كانت حالة المرأة عند الهنود من أسوأ الحالات من الذلة والمهانة والإحتقار . . وأنها أخس واحقر المخلوقات ، حتى الحيوانات الشريرة السامة المرأة عندهم احقر من كل هذا ، ولننقل هنا قليلا من كثير ما كتبه بعض العلماء عن المرأة عندهم .

(جاء فى شرائع مانو إله الهند : أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعى والنار خير من المرأة . . — وعليه — تخضع المرأة فى طفولتها لأبيها ، وفى شبابها لزوجها ، وفى تأيمها لأبنائها ، وفى ثكلها لأقرباء بعلها ، ولا يجوز ترك أمرها لها . وتعد المرأة زانية إذا خلت بالرجل مدة تكفى

---

(١) الحقوق العامة للمرأة ص ٣٨ .

لإنضاج بيضة ، وتحرم من حقوق الملكية والأرث ... والزوجة الوفية ينبغى أن تخدم زوجها كما لو كان إلها . . حتى لو خلا من الفضائل . . وعلى المرأة أن تخاطب زوجها فى خشوع قائلة : يا إلهى ، وتمشى خلفه بمسافة ، ولا تتكلم معه ، ولا تأكل معه ، بل تأكل مما تبقى منه . . وأن ماتو — إله الهند — عند خلقه النساء فرض عليهن حب الفراش والشهوات الدنسة ، والغضب ، والتجرد من الشرف ، وسوء السلوك ، فالنساء دنسات كالباطل نفسه ، وهذه قاعدة ثابتة)[1] .

والأفظع مما سبق : أن المرأة الهندية عند موت زوجها ، تفرض عليها التقاليد والعادات وكذا الشرائع أن تحرق نفسها بالنار التى تحرق بها جثة زوجها . . وإذا إختارت العيش بعده ، فإن هناك موتاً من نوع آخر ، فكان يفرض عليها أن تحلق رأسها أو تجدع أنفها أو تصم أذنيها ، أو تشوه وجهها ، لكى يضمنوا أن لا ينظر إليها الرجال بعد زوجها[2] .

وقد نقل الدكتور / أحمد شلبى بعض الشرائع من كتب الهند المقدسة لدى الهندوس فقال (تعيش المرأة وليس لها خيار سواء أكانت بنتاً صغيرة أو شابة أو عجوزا : البنت فى خيار أبنائها ، وليس لها أن تستقل أبداً ، وعلى المرأة أن ترضى بمن إرتضاه لها والدها بعلا ، فتخدمه طول حياته ، ولا تفكر فى رجل آخر بعد وفاته ، بل عليها حينئذ أن تهجر ما تشتهيه من الأكل اللذيذ ، والملبس الحسن والزينة كلها ، وتعيش أرملة إلى آخر عمرها ، وإن وجدت زوجها لا يمتنى بها ويحب إمرأة غيرها فلا تحقد

---

(١) الحقوق العامة للمرأه ص ٣٩ مرجع سابق

(٢) المرجع السابق ص ٤٠ وقال : انظر : حضارة الهند ديورانت ترجمة زكى نجيب محمود .

عليه ، وتقصر فى خدمته . . . والأوفق أن تشهد النساء للنساء ، والرجال للرجال ، وشهادة النساء ، وإن كن نزيهات لايقام لها وزن لأن عقولهن لا توازن فيها)[١] .

ثانيا : حالة المرأة عند البوذيين :

مع أن البوذيين عند الهندوس — وهم جميعاً من أبناء الهند — أدنى الطبقات البشرية ، وماخلق البوذيين إلا ليكونوا عبيدا للهنادكة ، وليس لهم أدنى حق مع أنهم سكان الهند الأصليين ، وعند ماسيطر الهندوس على الهند ، فقد حرموهم من أدنى حق إنسانى ونزلوا بهم إلى مستوى أقل أحياناً من الحيوانات . ولأجل انحطاطهم هذا ، فلم يسمحوا لهم بأن يعتنقوا الدين الهندوسى ، أوحتى يتخلقوا بأخلاقه ، ومن ثم تركوا هملا فى حياة مدنية ، وألزموهم الحرف الحقيرة ، ولايقوم بها سواهم ، وأغلقوا أمامهم أبواب العلم ، لأنهم ليسو أهلاله .

مع كل هذا : إلا أن البوذيين أنفسهم احتقروا المرأة بينهم .. وكانت تعاليم بوذا واضحة صارمة حول المرأة فتقول المراجع :

أن بوذا لم يقبل دخول المرأة فى الديانة البوذية ، لأنها ليست أهلا لذلك .. وأشار فى تعاليمه إلى خطر النساء على النظام البوذى ، ولودخلت إحداهن فيمكن إخراجها من هذه الديانة ،

يقول رادها كر شنن النائب السابق لرئيس الهند فى بحث له (إن المرأة الهندية فى عصر بوذا لم تكن منعزلة ، ولكننا مع ذلك نجد بوذا يتردد فى قبولها لتكون من أتباع دينه ، وقد سألنا مرة أحد خاصته وهو ابن عمه آنندا .

---

(١) أديان الهند الكبرى ص ٧٧، ٧٨ النهضة المصرية ١٩٨٦

— كيف نعامل النساء أيها السيد ؟

فأجاب : لا تنظر إليهن .

— ولكن إذا اضطررنا للنظر إليهن ؟

لا تخاطبهن .

— ولكن إذا خاطبننا ؟

إذا كن على حذر تام منهن .

وكان ابن عمه هذا من أنصار المرأة ، فما زال يلح على بوذا حتى قبل ضم النساء إلى جماعته وأتباعه)(١) . وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد كان بوذا يرى الخطر كل الخطر من دخول المرأة فى الديانة البوذية .. وحذر ابن عمه هذا وقال : لولم تضم المرأة لدام النظام طويلا ، أما الآن بعد دخول المرأة بيننا فلا أراه يدوم طويلا ، وأوصى ابن عمه بطرد النساء من هذه الديانة إذا رأى منهن خطراً على دعوة البوذية(٢) ..

ثالثاً : حالة المرأة عند الصينيين .

والصين مجاورة للهند ، والجوار مؤثر ومتأثر ، فلم تكن حالة المرأة فى الصين أحسن حالا من حالة المرأة الهندية الهندوسية والبوذية ، بل كانت المرأة الصينية نظير قريناتها فى الهند ، فقد كانت مهينة ذليلة حقيرة هى الأخرى (جاء فى رسالة قديمة كتبتها إحدى سيدات الطبقة العليا بالصين

---

(١) أديان الهند الكبرى د / أحمد شلبى ص ١٧٩،١٨٠

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٨٠

تقول : نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ويجب أن يكون نصيبنا أحقر الأعمال .. ومن أغانيهم القديمة الشهيرة : ألا ما أتعس حظ المرأة ليس فى العالم كله شئ أقل قيمة منها ، إن الذكور يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء ، أما البنت فإن أحدا لا يسر بمولدها ، وإذا كبرت اختبأت فى حجرتها ، تخشى أن تنظر فى وجه إنسان ، ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها)[1] .

المطلب الرابع

حالة المرأة عند الفرس وفى شريعة حمورابى وعند البابليين وعند السومريين .

أولا : عند الفرس :

كانت حالة المرأة عند الفرس شأنها شأن أخواتها فى كل الدول والشعوب فى العصور الجاهلية ، فكانت عند الفرس مصدراً لكل شر ، ولكل شقاء ، ولكل الآثام على ظهر الأرض ، وهى السبب وراء كل المنكرات ، ولذلك أعطوا حق قتلها للزوج ولا معقب لفعلته يقول العلامة مبشر الطرازى الحسينى (كانت تقاليد فارس القديمة تنظر نحو المرأة بالتعصب المذهبى والتشاؤم ، بحيث تعتبرها وسيلة لهيجان الشر ، وسببا للعذاب ، ولهذا فإنها تتخذ المرأة من أى أسرة كانت تحت التقحير ، والظلم ، والضغط ، كما تعطى للزوج سلطة قتلها ، أو التصرف

---

(١) الحقوق العامة للمرأة ، صلاح عبد الغنى ص ٤٠

فيها تصرفه فى المال والمتاع ؛ كما كان تعدد الزوجات مباحاً رائجا بدون شرط أو حد)[١] .

وكان فى الفرس ملوك ظلمة وطغاة ، وكان هؤلاء الظلمة يأخذون من الرعية تسعة أعشار الدخل ، ويترك للشخص العشر فقط من ناتج دخله فى العام ، وكان هذا الظلم الفاضح يضر بالرعية .. إلا أن الظلم الأفضح أن الرجل من الفرس عندما تشتد به الحاجة ، لا يجد شيئاً يسد به حاجته سوى أن يذهب إلى السوق ومعه ابنته فيبيعها ، وكان ثمن الجارية درهم واحد ، وقد حدث هذا فى عهد أبرويز[٢] .

ثانياً : فى شريعة حمورابى :

كانت المرأة فى شريعة حمورابى محتقرة أشد مايكون الإحتقار ، وكانت تعد ضمن الماشية التى يمتلكها الرجل يقول الدكتور مصطفى السباعى (كانت المرأة فى شريعة حمورابى تحسب فى إعداد الماشية المملوكة ، حتى أن من قتل بنتا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتلها أو يمتلكها)[٣] .

ثالثاً : حالة المرأة عند البابليين .

كان نظام الزواج فى بابل نظام سوق تباع فيه الفتاة وتشترى ، وذلك بثمن بخس دراهم معدودة . . . وكان من أغرب ماعندهم ماذكره

---

(١) الإسلام الدين الفطرى الأبدى ١٢٣/٢

(٢) انظر : الأوائل ، أبى هلال العسكرى ص ٤١٨ ، دار البشير ط أولى ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٧ م .

(٣) المرأة بين الفقه والقانون ص ١٤ مرجع سابق .

هيرودوت (أن البابليين إذا حوصروا كانوا يخنقون زوجاتهم لكيلا يستهلكن ما عندهم من طعام)[1] .

رابعاً : حالة المرأة السومرية .

كان الرجل هو السيد المطاع والمسيطر ، وكان من حقه أن يقتل زوجته دون أن تقع عليه أدنى مسئولية ، وكان هذا ساريا وبخاصة بين الطبقات الفقيرة ، وكما كان له حق قتلها كزوجة ، كان له الحق فى بيعها ، وإذا كان عليه دين ، ولم يجد مايفى به كان من حقه بيع زوجته وفاء لما عليه من ديون . وإذا زنى الرجل فلا شئ عليه ، وإذا زنت المرأة كان الإعدام مصيرها ، وإذا أهملت فى بيتها وبخاصة فى واجبات الأمومة كان يحكم عليها بالإعدام غرقا فى الماء[2] .

المطلب الخامس

حالة المرأة عند اليهود والنصارى

أولا : حالة المرأة عند اليهود :

إن الله تبارك وتعالى هو الذى خلق الذكر والأنثى ، وما كان الله عزوجل ليضيع أحدهما — وكما سيأتى إن شاء الله تعالى عند الحديث عن منزلة ومكانة المرأة فى الإسلام بيان ذلك — إلا أن اليهود — عليهم لعائن الله — غيروا وبدلوا وحرفوا فى كتابهم — التوراة — فى كل شئ

(٢،١) انظر : مجلة الأزهر ص ١١٧٤،١١٧٢ ، شعبان ١٤١٦ هـ — ١٩٩٦ م ، تحت : عنوان الإسلام والمرأة والتاريخ ، بقلم / عبير عبد الواحد .

وبما حرفوه وبدلوه بتشريعات بشرية وفق أهوائهم ماهو خاص بوضع المرأة ، وكنا نود — كباحثين — أن نرى فى نصوص العهد القديم حقوقا لإنصاف المرأة مما شابها فى الحضارات القديمة من ظلم وبغى وعدوان — كما سبق أن أشرنا — لكن للأسف الشديد وجدنا نصوصا تفوح بالظلم والعدوان على المرأة فى توراتهم ، واسوق هنا بعض النماذج لهذا الظلم .

— جاء فى سفر الجامعة قوله (درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا ، ولأعرف الشر أنه جهالة ، والحماقة أنها جنون ، فوجدت أمر من الموت ، المرأة ، التى هى شباك ، وقلبها أشراك ، ويداها قيود ، وأن الصالح أمام الله ينجو منها ، رجلا واحدا بين ألف وجـــدت ، أما إمرأة فبين كل أولئك لم أجد)[١] .

— ويقول بابا بتره (ماأسعد من رزقه الله ذكورا ، وماأسوأ حظ من لم يرزق بغير إناث ، نعم لاينكر لزوم الإناث للتناسل ، إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء ، فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس ، إلا أن النفس تميل إلى رائحة العطر الزكية ، وتكره رائحة الجلد الخبيثة ، فهل يقاس الجلد بالعطر)[٢] . .

— والمرأة المتزوجة عند اليهود ، كالقاصر والصبى والمجنون ،

---

(١) سفر الجامعة ، الإصحاح السابع الفقرتان ٢٥ ، ٢٦ نقلا من كتاب : اليهودية د / أحمد شلبى ص ٣٠٠ ، وانظر : الحقوق العامة للمرأة صلاح عبد الغنى ص ٤١ ، والمرأة بين الفقه والقانون ، د مصطفى السباعى ص ١٦٠ :

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها ، وقال : نقـــلا من كتاب . المقارنات والمقابلات ، للأستاذ / محمد صبرى ص ٣٧٧ .

لايجوز لها البيع والشراء ، وينص الفكر اليهودى على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها)[١] .

— وعلى الزوجة مهما بلغت ثروتها ومكانتها أن تقوم بالأعمال اللازمة لبيتها ، صغيرة كانت هذه الأعمال أو كبيرة ، حتى لو أحضرت معها مائة خادم[٢] .

— ولا ترث المرأة زوجها ، وكل مالها من ميراثها بعد موته هو مؤخر الصـــداق ، أما باقى ثروتها فإنها تؤول إلى زوجها ومنه إلى ورثته هو [٣] .

— وهناك اسطورة يهودية تحمل المرأة كل خطايا البشر منذ الأزل وتقول : إن المرأة هى السبب فى خطيئة آدم وأغوائه وخروجه من الجنة ، وبهذه الخطيئة التى أصابت جميع البشر ، وكانت المرأة السبب فى هـذا البلاء ، وعليه كان جزاؤها التحقير والإهانه والحط من شأنها ، فهى مصدر الشرور والآثام فى هذه الحياة .

تقول نصوصهم (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة — حواء — : أحقا قال : لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر الجنة نأكل ، وأما من ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله : لاتأكلا منه ، ولاتمساه لئلا تموتا فقالت الحيـة للمرأة لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما ، وتـكونان كالله عارفين الخير والشر ، فرأت المرأة أن الشجرة

(١ ، ٢) المرجع السابق ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٠٢ ، وانظر : الإسلام الدين الفطرى مبشر الطرازى ١٢٢/٢ .

جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها وأكل)[1] . . خطيئة المرأة هنا إذن من أول بداية الخلق، والإتهام الموجه إليها واضح وجلى، فهى التى انخدعت بالحية، وهى التى بدأت بالأكل من الشجرة الممنوعة، وهى التى خدعت زوجها وأعطته من الشجرة المحرمة، حتى قال آدم للرب صراحة كما جاءت النصوص عندهم (المرأة التى جعلتها معى هى التى أعطتنى من الشجرة فأكلت)[2] .

وعند اليهود أن المرأة نجسة، وتشتد نجاستها عند الولادة، وتتضاعف نجاستها إذا ولدت أنثى[3] .

وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ «أن اليهود كانوا لايؤاكلون المرأة إذا حاضت، ولا يجتمعون معها فى بيت واحد»[4] .

وكان اليهود يشككون فى شأن عبادة المرأة لربها، فهل المرأة عندهم أهل لعبادة ربها، وتدخل فى ملكوت الآخرة؟ ويقولون (هل المرأة

---

(١) سفر التكوين ٣ من ١ : ١٩ نقلا من (العلاقات الإجتماعية فى العهد القديم وموقف الاسلام منها) د/ عبد الفتاح عبد العزيز حسين ص ٥٩، رسالة دكتوراه، مخطوطه بكلية أصول الدين شبين الكوم ١٤١٩ هـ — ١٩٩٩ م .

(٢) سفر التكوين، الاصحاح الثالث، نقلا من كتاب : حقوق المرأة فى المجتمع الإسلامى ص ٢١، الدكتور / جمـــال الدين محمود، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ م .

(٣) انظر : المرجع السابق ص ٢٢ .

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب : الحيض، باب : جواز غسل الحائض ١/ ٢٤٤ .

أن تعبد الله كما يعبده الرجل ؟ وهل تدخل ملكوت الآخرة ؟ وهل هي انسان له روح يسري عليه الخلود ؟ أو هي حيوان نجس أعد للخدمة)[١]

هذه صورة موجزة عن بعض أحوال المرأة عند اليهود ، ومن خلال نصوص مقدسة عندهم والذي يجب التأكيد عليه هنا أن هذه الأحوال المتردية للمرأة عند اليهود ، جاءهم هذا التفكير المنحط من مصدرين أساسين :

الأول : من تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم لكتاب الله تعالى المنزل على سيدنا موسى عليه السلام وهو التوراة ، ووجود هذه النصوص — في كتابهم — وغيرها في مجالات أخرى دليل على التحريف ، ولا يتصور أن الله تبارك وتعالى حط من قدر المرأة ، وسيأتي هذا واضحاً إن شاء الله تعالى في الفصل الثاني الخاص بمكانة ومنزلة المرأة في الإسلام .

المصدر الثاني : أن اليهود — عليهم لعائن الله —نقولوا من الحضارات القديمة وتأثروا بها تأثيراً كبيراً ، فأنت تجد — من نظرة واحد — أن حالة المرأة في تلك الحضارة القديمة يشابه حالة المرأة عند اليهود إلى حد كبير . .

ثانياً : حالة المرأة عند النصارى :

من المعلوم لدى الباحثين المحققين سواء أكانوا من الشرق أم من الغرب أن الفكر الكنسي النصراني تأثر كثيراً وواسعاً في كل مناحي التشريعات بالفكر اليهودي التوراتي ، واعتمدت المسيحية اعتماداً اساسيا على التراث اليهودي ، كما اعتمدوا كذلك على كثير مما كان موجودا

---

(١) الإسلام وقضا المرأة المعاصرة ، الأستاذ / البهي الخولي ص٢٣ .

ومتوارثاً من الحضارات القديمة . . ومن هذا التأثر والإعتماد نظرتهم إلى المرأة ، فكما هو عند اليهود هو عند النصارى ، إن لم يكن أشد وأنكى ، حتى فى العصر الحديث — كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى الفصل الأخير من هذا الكتاب . يقول الدكتور / جمال الدين محمود (إن خطيئة حواء الأزلية قد انتقلت إلى الفكر المسيحى عبر أقوال بولس فى رسائله . . إذ أشارت هذه الأقوال فى وضوح إلى مسئولية حواء عن إغواء آدم بعد أن انخدعت للحية ، وهو نفس التفكير التوراتى بل تحتويه الألفاظ نفسها تقريباً)[١] .

وهذه صورة موجزة عن أحوال ووضع المرأة عندهم ومن أقوالهم هم :

يقول ترتولين للنساء : هل تعلمن أن كل واحدة منكن حواء بالذات . . يستمر إلى اليوم توبيخ الله لكن ولجنسكن عامة ، وعلى هذا يجب أن يبقى فى نسلكن الشر والحقد ، أنتن أيتها النساء مدخل الشيطان .. أنتن اللاتى حطمتن القانون الربانى . . وذلك قبل أن يبدأ الشيطان حملاته ، أنتن اللاتى أضعتن سماء الله بسهولة كاملة من طبيعة البشر ..

ويقول الآب جريجورى توماركوس : لقد بحثت عن العفة بينهن ولكن لم أعثر على عفة .. إن الوحشية والإفتراس خاصة للكواسر ، والغضب المملوء بالموت خاصة للثعابين ، ولكن المرأة علاوة على امتلاكها لهاتين الصفتين تتصف بالحقد والحسد أيضاً .

---

(١) حقوق المرأة فى المجتمع الإسلامى ص ٢٣ وقال : نقلا من كتاب ، المرأة النشأة التكريم والتجريم ، دراسة مقارنة ص ٣٢ د / أحمد غنيم .

ومؤسسوا الكنيسة وآباؤها يقولون : إن المرأة مدخل للشيطان ، وطريق للعذاب كلدغة عقرباء ، والبنت تمنى الكذب وجندية الجحيم ، وعدوة الصلح ، وأخطر الحيوانات المفترسة .

وقد جردوها من أي تفكير سليم ، حتى قال ست كلمين : العقل أمانة عند الرجال لايلحقه أي خطأ أوعيب ، ولكن التفكير بطبيعة المرأة شئ مخجل وعز حقاً .

وتزعم الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية بأن المرأة جسد بلاروح[1] وعقد مؤتمر كنسى سنة ٥٨١ م — بجمع ما كون وكان سبب انعقاده للإجابة عن سؤالين فقط .

السؤال الأول : هل للمرأة روح ؟

السؤال الثانى : هل تعتبر فى جملة البشر ؟

وخرج المجمع بتلك الإجابة الصريحة :

إن المرأة مخلوق منحط ، وليس لها كيان بشرى[2] .

وتوجد نصوص كثيرة جدا فى شأن انحطاط المرأة فى أدنى درجات أدنى الحيوانات عندهم واكتفى بما سبق وهو كاف فى الدليل على ذلك .
وانتشر هذا الفكر المسيحى وذاع بين الغرب ، وجروراءه مخازى يندى لها جبين البشرية فى شأن المرأة خاصة ، وفى كل مناحى الحياة عامة ، ومازال

---

(١) انظر : فى التصور الإسلامى ، عبدالمتعال محمد الجبرى ص١١٦ ومابعدها ، مكتبة وهبه ط ، سابعة ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥ م .

(٢) انظر : حقوق المرأة فى المجتمع الإسلامى ، د/ جمال الدين محمود ص ٢٣

هذا الخزى والعار قائماً حتى اليوم ، وسوف يتضح هذا فى الفصل الأخير إن شاء الله تعالى ، والذى أود التأكيد عليه هنا :

كما أن الفكر التوراتى عند اليهود حرف وغير وبدل ، كذلك الفكر النصرانى هو الآخر أصابته يد التحريف والتغيير والتبديل ، والله جل جلاله كرم المرأة أعظم تكريم من لدن حواء إلى قيام الساعة ، وهذا ماسوف نشير إليه فى الفصل الثانى إن شاء الله تعالى .

المطلب السادس

حالة المرأة عند العرب

كانت المرأة فى البيئة العربية قبل الإسلام مهضومة الحق — فى الغالب الأعم — فكانت مثلا : ليس لها حق الميراث ، فهى فى نظر الناس ، ليست أهلا لذلك ، وليس لها أدنى حق على زوجها ، بل ليس لها أصلا حق اختيار زوجها .

وليس هناك عدد معين فى تعدد زوجات الرجل ، وإذا مات الزوج وكان للزوجة أولاد من غيره ، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه ، ويعتبرها إرثاً كبقية الميراث الذى خلفه والده . . فإذا أراد أن يعلن عن رغبته فى الزواج منها طرح عليها ثوباً . . وإذا لم يفعل ذلك كان لها أن تتزوج غيره . وكانت عادة أن المرأة تعد ميراثاً عند بعض القبائل العربية مأخوذة من اليهود . . وكانت المرأة عامة ذليلة ، حقيرة ، ليس لها أدنى حق من الحقوق ، وعبر عن ذلك — سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند ماقال : والله كنا فى الجاهلية لانعد النساء شيئاً ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل[1] .

---

(١) انظر : الإسلام الدين الفطرى الخالد ، مبشر الطرازى =

ولقد عبر القرآن الكريم أصدق وأحسن تعبير وهو يصور لنا حالة من بشر بأنثى فقال تعالى : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألاساء مايحكمون »[1] .

ونجد هنا أن القرآن الكريم قد أبان عن حالة المرأة ، فأقل ما كانت تستقبل به الأنثى : الهم والغم والحزن ، لدرجة التوارى عن الناس لما لحقه من عار ، وسواد وجه ، كل هذا لأنه بشر بأنثى ، ولنا أن نتصور أنثى تعيش فى وسط يجتمع هذه نظرته إليها طوال حياتها ، كل ذلك بسبب أنها خلقت أنثى . . والأفظع من كل هذا أن الرجل إذا بشر بالأنثى بعد مايصيبه ماأصابه قد لايملك نفسه ، ولا يقر له قرار ، ولا يستريح له بال إلا بعد أن يوارى الأنثى المسكينة التراب وهى حية .

ورب العزة جل ذكره بعد أن صور لنا هذه المشهد من فعل أهل الجاهلية ببناتهم ، شنع عليهم ووبخهم ، وبين أن حكمهم على الأنثى هكذا فعل جاهـــل ، وحكم فاسد ، لاسند له ، ولا برهان عليه . . « ألاساء ما يحكمون » .

وقال تعالى « وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت »[2] .

وقد ذكر ابن حجر أساس هـذه الفعلة الشنعاء فقال : (ووأد

= الحسينى ٢/ ١٢٣ ، وانظر : المرأة بين الفقه والقانون ، د / مصطفى السباعى ص ١٧ .

(١) سورة النحل الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) سورة التكوير الآيه ٨ .

البنات هو : دفن البنات بالحياة ، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك كراهة فيهم ، ويقال : إن أول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمى ، وكان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه ثم حصل بينهم صلح ، فخير ابنته فاختارت زوجها ، فآلى قيس على نفسه أن لاتولد له بنت إلا دفنها حية ، فتبعه العرب فى ذلك ، وكان من العرب فريق ثان يقتلون أولادهم مطلقاً ، إما نفاسة منه على ماينقصه من ماله ، وإما من عدم ماينفقه عليه ، وقد ذكر الله تعالى أمرهم فى القرآن فى عدة آيات ، وكان صعصعة بن ناجية التميمى وهو جد الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة أول من فدى الموءودة ، وذلك أنه يعمد إلى من يريد أن يفعل ذلك فيفدى الولد منه بما ينفقان عليه ، وإلى ذلك أشار الفرزدق بقوله :

وجـدى الذى منع الوائدات
وأحيـا الوئيد فلم يـوءد

وهذا محمول على الفريق الثانى ، وقد بقى كل من قيس وصعصعة إلى أن أدركا الإسلام ولهما صحبة . وإنما خص البنات بالذكر لأنه كان الغالب من فعلهم ، لأن الذكور مظنة القدرة على الإكتساب . وكانوا فى صفة الوأد على طريقين :

أحدهما : أن يأمر إمرته إذا قرب وضعها أن تطاق بجانب حفيرة ، فإذا وضعت ذكراً أبقته ، وإذا وضعت أنثى طرحتها فى الحفيرة ، وهذا أليق بالفريق الأول . ومنهم من كان إذا كانت البنت سداسية قال لأمها: طيبها وزينها لأزور بها أقاربها ، ثم يبعد بها فى الصحراء حتى يأتى البئر فيقول لها انظرى فيها ويدفعها من خلفها ويطمها ،

وهذا هو اللائق بالفريق الثانى)[1] .

وسيأتى فيما بعد فى وأن البنات ، حديث شريف . .

وأرى أن أحوال المرأة المتردية فى البيئة العربية والتى ذكرها القرآن الكريم هى التعبير الصادق الموجز المعجز عما كان سائداً فى بقية الأصقاع فى العالم ، وسيق هذا كنموذج لما كان سائداً فى العصور الجاهلية . والله أعلم .

---

(١) فتح البارى ١٠ / ٣٣٣ ، ٣٣٤

الفصل الثاني

الحقوق العامه للمرأة فى الإسلام

مدخل : عندما أشرق نور الإسلام . كانت الأحوال فى كل ضروب الحياة من عقدية وتشريعية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية ، وكل الحقوق والواجبات ، كل هذا — وغيره — كانت تغمره الظلمات ، والفوضى ، والقهر والاستبداد والاستعباد ، وساد العالم كله ظلمات كالحة ، وأحوال ظالمة ، وشاع الشقاق والصراع والأمراض النفسية والاجتماعية ، وعبادة الملوك والزعماء ، وعم الإنحطاط والتخلف ، والحروب وسفك الدماء ، وساد الاستغلال ، وانتهكت الحرمات ، وانتشرت الفواحش ، وسادت شريعة الغاب ... وقد نالت المرأة من هذه الأحوال المتردية والظالمة أسوأ نصيب ، ونزلت إلى أدنى الدركات ...

وعندما أشرق نور الإسلام ووجد هذه الأحوال .. أعاد ميزان الحق والعدل فى كل مناحى الحياة سواء أكانت عقدية أم تشريعية أم سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية أم أخلاقية .... ووضع الأمور فى نصابها الحق ، وقرر الحقوق والواجبات المتوازنة .. ومما جاء به : إعطاء المرأة حقها غير منقوص ، وأعاد لها حقوقها المسلوبه ، وأعلى درجتها ، وسمى بها أعلى المنازل ، وأصبحت المرأة فى الإسلام شمس الضحى فى دنيا الناس ، وسوف أتناول فى هذا الفصل تكريم الإسلام للمرأة كأم وزوجة وبنت وأخت ، كما أنه سوف يكون رداً فى الوقت ذاته على الإتهامات التى يشيعها الأعداء عن المرأة فى الإسلام ، ومن لف

لفيفهم وهو فى الوقت نفسه رداً على ما كان سائداً فى العصور الجاهلية مما سبقت الإشارة إليه .. وأود الإشارة هنا أن المرأة فى عصور الأنبياء والمرسلين من لدن آدم كان لها منزلتها الموقرة ، وما أصابها من إنحطاط فى أحوالها كان يسبب انفلات الأمم والشعوب ، وبعدها عن تعاليم ربها التى جاء بها الأنبياء والمرسلون ..

المطلب الأول

تكريم المرأة من ناحية الأصل

إن الله جل جلاله عندما أراد بحكمته خلق آدم عليه الصلاة والسلام لإستخلافه فى الأرض ، وعبادته لربه ، وتعميره لأرضه ، عندما أراد الله تبارك وتعالى ذلك وخلق آدم خلق منه حواء زوجته ، فكان أصل الرجل والمرأة واحداً ، سواء بسواء .. فهى إنسانة ، لها مكانتها وإنسانيتها وروحها روح إنسانة لا شك ولا ريب فى ذلك كما قال الجهلاء . . .

يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً »[1] .

ويقول سبحانه وتعالى : « وهو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها »[2] .

ويقول جل شأنه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

---

(١) أول آيه فى سورة النساء .
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٨

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »(1).

ويقول عز من قائل : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة »(2) .

ويقول الرسول ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال »(3) .

ومن النصوص السابقة — وغيرها كثير — يتضح جلياً أن المرأة إنسانة ، وآدميتها مقررة ومصانة ، وأنها والرجل جنس واحد ، ومن أصل واحد ، ولا حياة للبشرية بإنسانيتها إلا بالرجل والمرأة سواء .

وإذا إنحط أصل المرأة — كما يدعى الجهلة — إنحط بالتالى أصل الرجل ، لأن أصلهما معاً واحد .

المطلب الثانى

رفع الغبن عن المرأة فيما ادعته اليهودية والنصرانية

سبق أن اليهود ومعهم النصارى ألصقوا خطيئة الأكل من الشجرة إلى المرأة ، فى صورة أمنا حواء ، وأنها خدعت بالحية فأكلت من الشجرة ثم خدعت حواء آدم فأكل من الشجرة ، وعلى ذلك فالمرأة : أم الشرور والآثام ، وهى شيطانة ، ومحتقرة ، وأم المصائب التى يئن منها الجنس البشرى كله من أول الخليقة إلى نهاية الدنيا واستقر هذا فى فكرهم

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٢) سورة النحل الآية ٧٢ .
(٣) رواه أحمد فى مسنده ٦/٢٥٦ .

ومعتقداتهم ، وعليه فيجب الحط من قدرها ، والتحذير منها ومن خداعها ، ومعاملتها بأخس ما يعامل به الحيوان ، وهذا هو اللائق والمناسب لها . . .

وهذا الفكر اليهودي والنصراني خطأ في خطأ من أوله إلى آخره ..

والحقيقة : في مسألة الخطيئة :

أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وحواء ، ونهاهما من الأكل من شجرة معينة . . جاء الشيطان — لا الحية — ووسوس لهما معاً ، ودلاهما بغرور معاً . . وأزلهما معا . . وفي مشاهد القرآن المجيد وهو الحق ، ولا يذكر إلا الحق ، لأنه أتى من الحق ، وحفظ من الحق جل جلاله من أن تناله يد التغيير والتحريف والتبديل ، وصحح مفاهيم قديمة لدى اليهود والنصارى ، وغيرهم من الملل والنحل الأخرى المتعدده المنتشرة في الأرض . . في القرآن المجيد آيات بينات ، ونصوص محكمة وقاطعة تنفي وقوع إثم الأكل من الشجرة على أمنا حواء وحدها ، وأن آدم وحواء وقعا في الخطيئة معا ، وليست أمنا حواء هي التي أوقعت آدم فيها ، والذي قام بدور الوسوسة لهما معا هو الشيطان .

— ففي سورة البقرة : يقول الله تبارك وتعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم »[1] .

---

(١) سورة البقرة الآيات ٣٤ : ٣٧

هذا المشهد يقرر بكل جلاء ووضوح أن آدم وحواء عليهما السلام أزلهما الشيطان معا ، ولم يزل حواء وحدها ثم قامت حواء بإزلال آدم — كل ذلك عن طريق الحية — ليس فى المشهد شىء من هذا مما قالت به اليهود واتبعهم النصارى على ذلك .. لكن ماذا نقول لمن صب الله تعالى عليهم اللعنات ، لما حرفوا وبدلوا وغيروا كلام الله تعالى عن مواضعه ، واتبعوا أهواءهم .

— وفى سورة الأعراف : يقول الله عزوجل « ويآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سواءتهما وقال مانهاكما ربكما عن تلكم الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »[1] .

وبنظرة بسيطة فى المشهد القرآنى السابق نجد أن فيه مالا يقل عن خمس وعشرين دلالة — من حيث ذكر الاثنين معا — تؤكد أن الوسوسة الشيطانية كانت لآدم وحواء معا . وليست لحواء وحدها ، وكذلك نتيجة الأكل من الشجرة ونداء ربهما ، كان كذلك لآدم وحواء معا ، ولم يكن لحواء وحدها . . . فأين خداع حواء لآدم هنا ؟ وأن ذكر الحية هنا ؟ لكنه بهت اليهود وتبعهم النصارى ووافقوهم على بهتهم . .

— وفى سورة طه يقول سبحانه وتعالى « ولقد عهدنا إلى آدم من

---

(١) سورة الأعراف الآيات من ١٩ : ٢٣ .

قبل فنسى ولم نجد له عزما . وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا بليس أبى . فقلنا يا آدم إن هذا عدولك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنـة فتشقى . إن لك ألا تجوع فـيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » [1] .

وهذا المشهد القرآنى الحكيم يذكر وسوسة الشيطان لآدم وحده ، دون أن يذكر زوجه معه ، ولعل هذا جاء — هكذا — على جهة التغليب ، وتدخل زوجته معه ضمنا كما جاء صراحة ذكر زوجه فى الموضعين السابقين ، ولعله أيضا خص آدم بالذكر هنا دون زوجته ، لأنه هو الأجدر بتنفيذ أمر ربه بما وهبه الله تعالى من عقل وقوة وحكمة والذى أود التأكيد عليه هنا أربعة أمور :

الأمر الأول : أنه لا يوجـــد فى النصوص السابقة إفراد حواء بالوسوسة من الشيطان ، ووسوستها لآدم بعد ذلك عن طريق الحية .

الأمر الثانى : مع كل ماسبق — فلو فرضنا جدلا أن أكل آدم من الشجرة كان بسبب غواية حواء لآدم ، ووقع الاثنان فى الخطأ ، فإن الله تبارك وتعالى قد تاب عليهما معا ، وتجاوز عنهمامعا ، قال تعالى: « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه عليه إنه هو التواب الرحيم » [2] وقال تعالى فى موضع آخر « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » [3] .

---

(١) سورة طه ١١٦ : ١٢٢ .
(٢) سورة البقرة الآية ٣٧ .
(٣) سورة طة : الآية ١٢٢ .

فلماذا إذن التشبث بإلصاق الخطيئة على آدم أو حتى حواء على مر و كر الزمان ، والتحايل دائما بأن المرأة أم الشرور والخطايا بسبب أمنا حواء . .

الأمر الثالث : إن إلصاق التهم الكاذبة والباطلة ، وإعطاء المبررات الواهية لتأكيد أمر يريده اليهود والنصارى إن هذا ليس بمستغرب عليهم ، وكتبهم فيها حشو كثير من هذا ، ولعلنا جميعا نعلم قصة فداء المسيح — كما جاء فى كتبهم — عن خطيئة آدم . فهذا شبيه بذاك .

الأمر الرابع : وهو فى غاية الأهمية أن ما وقع لأبينا آدم عليه الصلاة والسلام كان قدراً قدره الله تعالى على آدم قبل أن يخلق ففى الحديث الصحيح « عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : احتج آدم وموسى ، فقال له موسى يا آدم : أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ! قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، أتلومنى على أمر قدر الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ، فحج آدم موسى ثلاثاً . . »[1] .

فإذا كان الأمر كذلك فلا ملام اللوم إذن لحواء أو حتى آدم عليهما السلام .

في السنة :

وإذا كان القرآن الحكيم لا يوجد فيه نص واحد يحمل أمنا حواء مسئولية الأكل من الشجرة أولا بوسوسة الشيطان لها عن طريق الحية ،

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب القدر ، باب : تحاج آدم وموسى عند الله ٤٢٨/١١ ، ولابن حجر فى الفتح كلام طويل ونفيس حول هذا .

ووسوستها لآدم بعد ذلك للأكل من الشجرة ، إذا كان ذلك كذلك في القرآن الكريم ، فإن السنة المطهرة قد نصت صراحة هي الأخرى على أن آدم عليه السلام أقر واعترف بذنبه ، ولم يلق اللوم على زوجه ، فقد جاء في حديث الشفاعة « عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا عند ربنا ، فيقول : لست هناكم[1] ، ويذكر خطيئته ، ويقول : ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله . . . »[2] الحديث .

وأنقل هنا عدة روايات ذكرها ابن حجر ، وتؤكد جميعها دون استثناء. أن آدم عليه السلام كان ينسب الأكل من الشجرة إلى نفسه ، ولم يشر من بعيد ولا من قريب إلى زوجه حواء .

يقول ابن حجر : (في رواية هشام : فيذكر ذنبه فيستحي ، وفي رواية ابن عباس : إني قد أخرجت بخطيئتي من الجنة ، وفي رواية أبي النضر عن أبي سعيد : وإني أذنبت ذنبا فأهبطت به إلى الأرض ، وفي رواية حذيفة وأبي هريرة معا : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور : إني أخطأت وأنا في الفردوس فإن يغفر لي حسبي ، وفي حديث أبي هريرة : إن ربي غضب

---

(١) قال عياض : قوله : لست هناكم كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة ، قاله تواضعا ، وإكبارا لما يسألونه . . . قال : وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري ، فتح الباري ٣٦٤/١١

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق والطاحة والفرائج ، باب : صفة الجنة والنار ٢٦٢/١١

اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيت ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى)[١] .

فنحن واجدون فى مجموع هذه الروايات أن آدم عليه الصلاة والسلام نسب الأكل من الشجرة إلى نفسه ، وهو فى موقف من أصعب المواقف على وجه الاطلاق فلو كانت زوجه هى التى خدعته لنسب ذلك إليها ، أو لمح أو أشار إلى ذلك . . .

بل إن آدم عليه الصلاة والسلام فى هذه الرويات نسب الأكل من الشجرة إلى نفسه فقط ، وهو من أخلاق ونبل النبوة والرسالة ، فلم يشأ أن يقول : أنا وزوجتى أكلنا من الشجرة ، ولعله أيضا من ستر الرجل النبيل على أهل بيته . . .

والمقصود هنا : أن النصوص سواء أكانت من القرآن أم من السنة خلت تماما من إلقاء الذنب على أمنا حواء وحدها ، فأين إذن خطيئة حواء ؟ وأين خداعها لزوجها ؟ وترتب على بهتان اليهود وإنساق خلفهم النصارى . . ومن دار فى فلكهم أن منبع الآثام والغواية أمنا حواء ، أو المرأة عامة فى كل زمان وفى كل مكان . . وأذاعوا بوسائلهم الشيطانية تلك المقولة الظالمة حتى صارت عند الناس من الأمور المسلمة . .

---

(١) فتح البارى ١١/ ٣٦٥

المطلب الثالث

الإيمان بالله تعالى وعبادته للرجال وللنساء على السواء

إن الله جل شأنه وعدله وحكمته ورحمته لم يرسل نبياً ولا رسولاً منذ آدم عليه الصلاة والسلام إلى خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ إلى الرجال فقط ، لم نسمع ولم نقرأ ولا يوجد هذا قط . بل كان الرسول — أى رسول — يبلغ رسالة ربه للرجال وللنساء سواء بسواء ، ويؤمن بعض الرجال ويكفر البعض الآخر ، ويؤمن بعض النساء ، ويكفر بعضهن ، وفى تاريخ الرسل مع أقوامهم الكثير من هذا ، والأمثلة أكثر من أن تعد هنا أو تحصر ، وهى واضحة جلية لمن له أدنى إلمام بتاريخ الرسل .

وما كان هذا كذلك إلا لأن المرأة لها إنسانيتها وآدميتها وبشريتها ، وتتحمل مسئولية قبولها للإيمان أو الكفر . . ، ولم نقرأ ، ولم نطلع أن امرأة ما منعت من دخول الإسلام من أجل أنها من النساء ، فساحة الإيمان مطلقة ومفتوحة للرجال وللنساء على السواء ، والفضل لمن سبق سواء أكان رجلا أم امرأة اللهم إلا أن يكون هذا عند أهل التحريف والتبديل والتغيير ، وعند المنحرفين عقليا ونفسيا . . أما نحن أهل الإسلام فواحة الإسلام ، وبستانه حق للجميع .

ونصوص إسلامنا الأغر ناطقة بهذا ، وصريحة كل الصراحة فيه ، من هذه النصوص : يقول ربنا تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار »[1] .

---

(١) سورة الممتحنة آية ١٠

ويقول جل ذكره : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم »[1] .

وفي الذكر الحكيم آيات كثيرة تؤكد هذا المعنى ، وسوف يأتي المزيد لبيان ذلك .

وإذا كان النداء في القرآن الكريم غالبا ما يأتي للرجال فقط من حيث الأوامر والنواهي ، فهو للرجال وللنساء على السواء ، ولكن جاء ذلك كذلك على جهة التغليب كما قرر العلماء . .

المطلب الرابع

الجزاء من جنس العمل للرجال وللنساء سواء بسواء

إن الإسلام عندما قرر الجزاء على الأعمال كان ذلك قمة العدل حتى لا يتساوى المطيع بالعاصي ، والصالح بالطالح ، والطيب بالخبيث ، والمصلح بالمفسد ، والعادل بالظالم ، والخير والشرير . . وتسود الفوضى ، ولا يبقى أمل ولا هدف لأهل الصلاح والتقوى ، ويتفشى الباطل وأهله ، وتخرب البلاد ، ويعم الفساد . .

ويهلك الحرث والنسل من أجل هذا قرر الإسلام الجزاء على الأعمال والفعال ثوابا لمن أحسن واتبع تعاليمه ، وعقابا لمن أساء وانحرف وضل طريقه . .

وسواء أكان الجزاء ثوابا أم عقابا ، وسواء أكان في الدنيا أم في الآخرة .

---

(١) سورة الممتحنة الآية ١٢

فإن الإسلام قرر كذلك أن جزاء المرأة مثل جزاء الرجل ، ولم يفرد للمرأة جزاء خاصا بها ، اللهم إلا إذا كان عملا خصها الإسلام به ، فمثلا لو ماتت إمرأة وهي تضع مولودها فهي شهيدة أولها أجر شهيد . . وليس ذلك للرجل بحكم ماخلقه الله تعالى عليه . . وماعدا ذلك فالجزاء للمرأة هو هو للرجل سواء بسواء . .

فمثلا : لو سرقت إمرأة أقيم عليها حد السرقة ، ولو سرق رجل أقيم عليه حد السرقة نفسه الذي أقيم على المرأة . . وذلك بالنص الوارد في الذكر الحكيم يقول تبارك وتعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »[١] .

فالجزاء واقع على الاثنين بنصه وفصه ولا فرق على الإطلاق .

ومثل قوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين »[٢] .

فأنت أيها القارئ الكريم ، وأيتها القارئة الكريمة ، تجدان : أن الجزاء على الإثنين سواء بسواء لافرق بين المرأة والرجل . . بل إن الإسلام قد رحم المرأة في مثل هذه الحالة ، فلو زنت إمرأة وحملت يؤجل إقامة الحد عليها حتى تضع حملها ، وترضع وليدها « فعن علي قال : إن أمة لرسول الله ﷺ زنت ، فأمرني أن أجلدها — كانت غير محصنة أي غير

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٨ .
(٢) سورة النور الآيتان ٢ ، ٣ .

متزوجة ، والمحصن والمحصنة حدهما الرجم — فأتيتها فإذا هى حديثه عهد بنفاس ، فخشيت أن أجلدها أن أقتلها ، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال : أحسنت ... أتركها حتى تماثل »[1] .

وهكذا نرى أن الجزاء واحد .. والفرق الوحيد : هو أنه سبحانه وتعالى فى السرقة قدم السارق على السارقة فى الذكر أى قدم الرجل على المرأة .. وفى الزنا قدم الزانية على الزانى فى الذكر ، أى قدم المرأة على الرجل ، وكان هذا كذلك لما علمه جل شأنه من استعداد هذا لذاك ، واستعداد ذلك لهذا ، فالرجل لديه القوة ، وعليه المسئولية فهو يميل إلى جمع المال — هذا فى الغالب الأعم — فقد تمتد يده إلى المال الحرام أكثر من المرأة ، لأنها ليست مسئولة عن الرجل فى هذا ، وهو مسئول عنها وعن من يعولهم ، ومنهم المرأة ، فقـــدم سبحانه وتعالى الرجل فى السرقة ..

أما الزنا فالكثير منه يقع من جانب المرأة بما فيها من رقة وجاذبية فكثيرا ما تكون البداية منها ، فهنا قدمت المرأة فى الزنا فى الذكر فقط ، وهذا من دقة التعبير القرآنى ، ولكن فى النهاية يبقى : أن الحد الواقع عليهما واحد ... وهذا وذلك قمة العدل الذى أرساه الإسلام فى كل ضروب الحياة .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الحدود ، باب : تأخير الحد عن النفساء ١٣٣٠/٣

المطلب الخامس

الجزاء الأخروى للمرأة مثل الرجل

إن الجزاء الأخروى ينقسم إلى نوعين أساسيين : ثواب ، وعقاب ، وكل منهما ينقسم إلى نوعين أساسيين : حسى ومعنوى ...

والجزاء بكل أنواعه المرأة لها فيه ما للرجل سواء بسواء ، فمثلا : لو قال الرجل الحق ، والتزم بالصدق طوال مشوار حياته ، ولو قالت المرأة الحق والتزمت بالصدق طوال مشوار حياتها ، كان ثواب المرأة مثل ثواب الرجل بالتمام والكمال ، وقـل مثل ذلك فى جميع أنواع الطاعات من صلاة وصيام وزكاة وحج إلى آخر أوامر الإسلام ... وإن كان للمرأة تخفيف أكثر من الرجل فى بعض العبادات ، فمثلا : تسقط الصلاة بالمرة عن المرأة فى زمن الحيض والنفاس ، ولا إعادة عليها .. وذلك تيسير وتخفيف ورحمة من الله تعالى بها ، وهى تؤدى فى اليوم والليلة خمس مرات — كما هو معلوم — ولها ثواب الصلاة حتى عندما سقطت عنها فى هذه المدد .. والصيام يسقط عنها — وهو فرض — فى زمن الحيض والنفاس ، وفى بعض الحالات فى أثناء الحمل والرضاعة .. وتقضى هذه الأيام بعد رمضان ، وذلك لقلة هذه الأيام ، ولا مشقة فيها حيث تقضى مثلا ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة أو ستة — حسب حالة كل إمرأة — وصيام هذه الأيام على أحد عشر شهرا ليس فيـه أدنى صعوبة ، ولو أضيف إلى ذلك أن من الفقهاء من أجاز صيام هذه الأيام فى خلال أحد عشر شهر متفرقة ، وذلك لأن صيام رمضان ، وهو شهر واحد من بين اثنا عشر شهرا ، وقد وصف الله أيام رمضان بقوله : « أياما معدودات » فاليسر والتخفيف والرحمة بالمرأة هنا واضح ، ولها ثواب الصيام كاملا ، رغم وقوع بعض أيامه فى غير شهر رمضان .

واذكر هنا بعض الآيات القرآنية الكريمة التى تسوى بين الرجل والمرأة فى الجزاء الذى يترتب عليه الثواب . فمثلا : يقول جل شأنه « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا »[1] .

ويقول تبارك وتعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم »[2] :

ويقول سبحانه وتعالى « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »[3] .

ويقول جل ذكره : « فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أوأنثى بعضكم من بعض »[4] .

ويقول جل فى علاه « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »[5] .

ويقول عز وجل : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٤ .
(٢) سورة التوبة الآية ٧٢ :
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٩٥ .
(٥) سورة النحل الآية ٩٧ .

أيديهم وبأيمانهم بشرا كم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم »(١) .

والآيات فى هذا الشأن كثيرة ، وكلها تؤكد أن الجزاء الثوابى بنوعية تشترك فيه المرأة مع الرجل سواء بسواء ولا فرق على الإطلاق . وقل مثل ذلك فى بالجزاء العقابى بنوعيه . .

المطلب السادس

تربية وتعليم المرأة

إن للعلم وللعلماء فى الإسلام منزلة لاتدانيها منزلة ، وعلماء الحديث عند تجميعهم للسنة ، وتصنيف الأحاديث : وجعلها فى كتب وأبواب ، يبدءون بكتاب العلم ، ثم يذكرون الأحاديث الخاصة بالعلم والعلماء ، وما كان ذلك منهم — جزاهم الله خيراً — إلا لبيان أهمية العلم . . فبه يعرف الناس الخير من الشر ، والحلال من الحرام ، والثواب والعقاب ، والنافع من الضار ، كما به يعرفون منهاج ربهم فى عبادته ، وطريق الوصول إلى مرضاته ، وتجنب عذابه وعقابه ، وبالعلم أيضاً يستخرج الناس من مكنون الكون وأسراره ماينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وبه يتخذ المسلمون أسباب القوة والعزة على أعدائهم : إلى آخر مقاصد العلم الشريف النافع . .

وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، كم هائل ، وحشد عظيم ، وسيل منهمر يبرز ذلك كله وزيادة فمثلا :

يقول الله تبارك وتعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل

---

(١) سورة الحديد الآية ١٢ .

لفي ضلال مبين »[1]. وهي استجابة من الله تعالى لدعوة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما دعا ربه قائلا « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم »[2] . وقد فسر بعض العلماء الكتاب في هاتين الآيتين بصناعة الكتابة، لأنه في الأصل مصدر كتب ثم أطلق على المكتوب .

ومن المعلوم أن أول قبس أشرقت به الأرض من نور ربها قوله تعالى « أقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم »[3] .

ويقول جل ذكره « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لاإله إلا هو العزيز الحكيم »[4] .

ويقول جل وعلا « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور »[5] .

فنجدهنا ذكر الآيات الكونية الباهرة أولا ثم كان التعقيب بخشية العلماء لله تعالى ، ولو تتبعاً ماجاء في القرآن الكريم من كلمات لها دلالتها على فضل العلم مثل التذكر والعقل والتدبر ، والتفقه ، والحكمة ، والنظر والعلم والسير في مناكب الأرض ، وأصحاب الألباب إلى آخره لطال بنا المقام ، ولخرج بنا عما نحن بصدده .

(١) سورة الجمعة الآية الثانية .
(٢) سورة البقرة الآية ١٢٩ .
(٣) أوائل سورة العلق .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٨ .
(٥) سورة فاطر الآيتان ٢٧، ٢٨

والمقصد هنا الإشارة فقط : أن القرآن الكريم قد شحذ همم الناس جميعاً لطلب العلم والمعرفة النافعين لإسعادهم فى الدنيا والآخرة .

وإذا ذهبنا إلى الحبيب المصطفى ﷺ واقتبسنا منه بعض الأحاديث المطهرة التى تؤكد على منزلة العلم والعلماء لوجدناه يأخذ بأيدينا ، ويضعنا على الطريق الصحيح ، لنمضى ونحن على بينة ، ونسير فى النور ، ولا نتخبط فى ظلمات الجهالة .

من ذلك مثلا قوله صلوات ربى وتسليماته عليه « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[1] .

وقد جاء فى صحيح البخارى باباً وجعل عنوانه طويلا ، وفيه دلالات على أهمية العلم والعلماء فقال « باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى « فاعلم أنه لا إله إلا الله » وأن العلماء ورثة الأنبياء ، ورثوا العلم ، من أخذه أخذ بحظ وافر ، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وقال : جل ذكره « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، « وما يعقلها إلا العالمون » ، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » « من يرد الله به خيرا يفهمه فى الدين ، وإنما العلم بالتعلم »[2] .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء ، باب: فضل الإجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١٧/٢١،٢٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : العلم ١/١٣٠ .

وقال ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[١] .

وتوجد أحاديث كثيرة تحث على طلب العلم والمعرفة . .

وسقت ما سبق — من آيات وأحاديث — لبيان وجوب التعليم للرجل والمرأة على السواء ، وما وجدنا فى النصوص السابقة — وغيرها كثير — أنها توجهت إلى الرجل فقط ، بل إن الحديث السابق الذى لم يذكر فيها المرأة وهو « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل المسلمة كذلك بإتفاق جميع علماء الإسلام وإن كان لم يرد فيه لفظ ومسلمة . .

بل إن الإسلام بعد أن فرض وأوجب العلم على المسلم والمسلمة وزيادة فى الحيطة توجد أحاديث لها خصوصية بتعليم المرأة خاصة . . وبخاصة فى شأن التربية والتهذيب والتأديب ، حتى لا يشغل الناس بالاهتمام بالرجال دون النساء ، وحتى لا يظن ظان أن التعليم خاص بالرجال دون النساء . .

فكانت الوصايا النبيلة من رسول الإسلام ﷺ زيادة على ما أوجبه على الرجال والنساء فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال : « من كانت له جاريتان فأدبهن وأحسن إليهن كن له ستراً من النار يوم القيامة »[٢] .

بل إن كتب السنة قد بوبت أبوابا وجعلتها خاصة بتعليم النساء

---

(١) رواه ابن ماجه ، المقدمة ، باب : فضل العلم والعلماء ٨١/١ ط دار إحياء التراث العربى .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد نصر الدين الألبانى ، حديث رقم ١٠٢٦

لكثرة ورودها عن سيدنا رسول الله ﷺ من ذلك مثلا قوله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ والعبد المملوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»[1].

«وعن أبي سعيد الخدري قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما ليفقهن فيه، فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار، فقالت امرأة: واثنتين، فقال: واثنتين»[2].

ويلاحظ: حرص النساء على التفقه في أمور دينهن، والرغبة في التعلم، وكذلك استجابة المسئول لرغبتهن فوراً، كما يلاحظ ثالثاً: أن جعل لهن يوما خاصا بهن دون اختلاطهم بالرجال..

وفي الصحيح: «قالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[3].

وجاء فيه أيضا: «عن أم سلمة[4] قالت: جاءت أم سليم[5] إلى

---

(١) كنز العمال ١٥/٨٣٣، رقم الحديث ٤٣٣١٢.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم. باب: هل يجعل للنساء يوما على حده في العلم ١/١٥٨
(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: الحياء في العلم، وقال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر ١/١٨٤
(٤، ٥) ستأتي ترجمة لهما فيما بعد إن شاء الله تعالى.

رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبي ﷺ : إذا رأت الماء ، فغطت أم سلمة تعنى وجهها ، وقالت : يا رسول الله : وتحتلم المرأة ؟ قال : نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها »[1] . هذا والنصوص كثيرة في الفضل بعد الفرض بتعلم النساء ، وبخاصة العلوم والمعارف المتصلة بها كأنثى مسلمة وما لها وما عليها . .

وذهب العلماء المعنيون بالتربية فى الإسلام إلى ما يجب تعلمه وتعليمه للرجال وللنساء عامة فقال الزرنوجى (يفترض على المسلم — وكذا المسلمة — علم ما يقع له حاله فى أى حال كان فإنه لابد له من الصلاة ، فيفترض عليه ما يقع له فى صلاته بقدر ما يؤدى به فرض الصلاة ، ويجب عليه بقدر ما يؤدى به الواجب ، لأن ما يتوسل إلى إقامة الفرض يكون فرضا . . . وكذا فى الصوم والزكاة إن كان له مال ، والحج إن وجب عليه ، وكذا فى البيوع إن كان يتجر »[2] .

وقال جعفر بن محمد (وجدنا علم الناس كله فى أربع : أولها : أن تعرف ربك ، والثانى : أن تعرف ما صنع بك ، الثالث : أن تعرف ما أراد منك ، والرابع : أن ما تخرج به من ذنبك)[3] ، وقال ابن عبد البر (أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرىء فى خاصته ، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذ قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع . . . والذى يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان

---

(١) أخرجه البخارى فى الكتاب والباب السابقين ١/١٨٥

(٢) تعليم المتعلم طريق العلم ص ٤ ، ط محمد على صبيح .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/١٣ ، دار الاعتصام .

والإقرار بالقلب . . . وأن الصلوات الخمس فرض ، ويلزمه من علمها علم ما لا يتم إلا به من طهارة وسائر أحكامها ، وأن صوم رمضان فرض ويلزمه علم ما يفسد صومه وما لا يتم إلا به ، وإن كان ذا مال وقدرة على الحج لزمه فرضا أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ، ومتى تجب ؟ وفى كم تجب ؟ ويلزمه أن يعلم أن الحج عليه فرض مرة واحدة فى دهره إن استطاع إليه سبيلا . إلى أشياء يلزمه معرفة جملها ، ولا يعذر بجهلها نحو تحريم الزنا والربا والخمر والخنزير وأكل الميتة والأنجاس كلها والغصب والرشوة على الحكم والشهادة بالزور ، وأكل أموال الناس بالباطل . . . وتحريم الظلم كله ، وتحريم نكاح الأمهات والأخوات ومن ذكر معهن ، وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق ، وما كان مثل هذا كله مما قد نطق الكتاب به وأجمعت الأمة عليه)[1] . . . فهذه العلوم واجبة على الرجال والنساء سواء . .

المطلب السابع

حق المرأة فى الإحسان إليها

إن الإحسان إلى المرأة مبدأ مقرر فى الإسلام سواء أ كانت أما أم زوجة أم بنتا وهذه إشارة لكل منهن :

أولا : الإحسان إلى الأم :

إننا لا نستطيع إحصاء حق الأم والإحسان إليها فى الإسلام فى هذه العجالة ، لكن كما قيل : ما لا يدرك كله لا يترك كله . . وقد قرنها الإسلام مع الأب فى الإحسان إليهما فى الآيات القرآنية ، وخصتها السنة بالزيادة فى الفضل والإحسان والبر بها . .

---

(١) المرجع السابق ١٢٠/١

ولنذكر طرفا من هذا :

يقول الله تبارك وتعالى « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا »(١) .

وفى شأن سيدنا سليمان جاء قوله « وقال رب أوزعنى أن اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »(٢) .

وفى شأن سيدنا يحى قوله « وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا »(٣)
وفى شأن سيدنا عيسى قوله « وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا »(٤) .

ويلاحظ من الآيات السابقة : أن تقدير الوالدين والإحسان إليهما والبر بهما ، من قديم الزمن ، وكما سبق فإن المرأة فى عهود الرسل والأنبياء منذ أبينا آدم عليه السلام كانت محل تقدير وتوقير واحترام ، وما حل ما حل بها من الإنحطاط إلا فى عهود الجهل والظلمات ، والبعد والإنحراف عن التعاليم الربانية .

ويقول جل شأنه « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا »(٥) .

ويقول تباركت اسماؤه « قل تعالوا أتوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا »(٦) .

ويقول جل ثناؤه « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما

(١) سورة البقرة آية ٨٣ .
(٢) سورة النمل آية ١٩ .
(٣) سورة مريم آية ١٤ .
(٤) سورة مريم آية ٢٢ .
(٥) سورة النساء آية ٣٦ .
(٦) سورة الأنعام آية ١٥١ .

وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »[1] .

والملاحظ فى الآيات السابقة :

— أن الأمر بالاحسان إلى الوالدين جاء مباشرة بعد الأمر بتوحيد الله تبارك و تعالى مباشرة قبل أن يذكر شيئا آخر سواء من أوامر أونواه على الإطلاق ، وما كان ذلك كذلك إلا لبيان مدى عناية الإسلام بالوالدين .

— أن تكرار الأمر للإحسان للوالدين جاء بأساليب متنوعة لتأكيد على أهميته القصوى ففى آية سورة النساء كانت بدايتها « واعبدوا » ، وفى آية الأنعام كانت بدايتها « قل تعالوا » من العلو والسمو والإرتفاع عن الدنايا والصغائر ، وفى آية الإسراء كانت بدايتها « وقضى ربك » أى حكم وأوجب وألزم وفرض . فإذا كانت لفظة الإحسان تكررت فإن المداخل إليها تنوعت ، حتى تأخذ الأساليب بالألباب من كل مدخل .

— أن النصوص السابقة لم تفرق بين الوالد والوالدة فى درجة الإحسان على الإطلاق .

— أن لفظة الإحسان هنا من أدق وأجمل وأروع وأبلغ الألفاظ وضعت موضعها المناسب وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الإحسان بقوله « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[2] . قال ابن منظور (وهو تأويل قوله تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان »[3] .

---

(١) سورة الاسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان من حديث طويل ، باب سؤال جبريل النبى ﷺ ١٠٠٠ / ٩٤ .

(٣) سورة النحل آية ٩٠ .

وأراد بالإحسان الإخلاص وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معا . . . وقيل : أراد بالإحسان : الإشارة إلى المراقبة ، وحسن الطاعة ، فإن من راقب الله أحسن عمله . . . وقوله عز وجل « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان »[1] أى ما جزاء من أحسن فى الدنيا ، إلا أن يحسن إليه فى الآخرة)[2] وهناك معانى فى منتهى العظمة للفظة الإحسان غير ذلك[3] .

وإذا كانت المشاهد السابقة قرنت الوالدة مع الوالد فإن هناك مشاهد أخرى وبأساليب أخرى كذلك قرنت بينهما فى الإحسان ، إلا أنها أفردت للأم ذكرا خاصا بها . . . فمثلا :

يقول الله تبارك وتعالى « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون »[4] .

ولقد تدبرت قليلا فى هذا المشهد القرآنى فوجدت :

— قبل هاتين الآيتين وبعدهما كانت وصايا لقمان لولده فجاء النسق بالوصية بالوالدين ، ولم يأت هنا مثل المشاهد السابقة ، « واعبدوا » « تعالوا » ، « قضى » وهذا من البيان المتناغم المنسجم الدقيق فى النسق القرآنى الكريم .

— أن لقمان كانت له وصية قبل هاتين الآيتين وبعدهما وصايا أخرى

---

(١) سورة الرحمن الآية ٦٠ .

(٢) لسان العرب ٨٧٨/٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ٨٧٧/٢ وما بعدها .

(٤) سورة لقمان الآيتان ١٤ ، ١٥ .

إلا أن النص المذكور، قول الله تعالى الوصية بالوالدين ولم يترك هذا للقمان .

— أن الوصية بالوالدين جاءت مباشرة بعد وصية لقمان لابنه بعدم الشرك بالله تعالى .

— لم يذكر لفظ الإحسان هنا اكتفاء بما ذكر فى المشاهد السابقة، وبما ذكر فى سورة الأحقاف وستأتى .

— وإذا كانت لفظة الإحسان لم تذكر هنا، فقد ذكر مالم يذكر فى المشاهد السابقة أو اللاحقة، فقد ذكر الشكر لله تعالى وقرن شكر الوالدين بشكر الله تعالى . .

— أن الوالدين ولو كانا كافرين، وأمرا أولادهما بالكفر فلا يطعهما مع الحرص والحذر من ظلمها أو ظلم أحدهما، فالأمر جاء بصحبتهما بالمعروف . . .

— أن الوالدين ذكرا معا فى مشهد سورة لقمان، إلا أنه خص الأم بذكر خاص وذكر بالحمل وآلامه والرضاعة ورعاية الطفولة ومشقاتها .

وذلك للعناية بها أكثر، وحتى لاينسى الإبن أو البنت عند رشدهما ما قامت به الأم نحو وليدها . . « ولا تنسوا الفضل بينكم » .

ويقول تبارك وتعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين »[1] .

(١) سورة الأحقاف الآية ١٥

واترك القارئ والقارئة الأفاضل التملي فى هـذه الآية ، والنظر والتدبر فيها — كما نظرت أنا فى آيتى لقمان ، ولكن أذكركم فقط بإفراد الأم بالذكر زيادة عن الأب . .

وإذا كان هذا فى القرآن الكريم فى شأن تكريم الوالدين والاحسان إليهما ، والبر بهما ، وكان هناك تكريم وإحسان وبر خاص بالأم ، إذا كان هذا فى القرآن الكريم . فإن السنة المشرفة زادت الأمر بياناً وخصت الأم — وهى امرأة — وأعطتها درجة بل ثلاث درجات فوق درجة الأب وهو الرجل ففى الحديث « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله من أحق بحسن صحابتى؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : ثم أبوك »[1] .

فنلحظ فى هذا الحديث الصحيح أن تقدمت الأم . بل زاد ذكرها ثلاث مرات قال ابن بطال (مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ماللأب من البر ، وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع ، فهذه تنفرد بها الأم ، تشقى بها ثم تشارك الأب فى التربية)[2] .

وقال القرطبى (المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر ، و تقدم فى ذلك على حق الأب عند المزاحمة)[3] .

وإذا كان الإسلام رفع مكانة ومنزلة الوالدين ، كما سبق وخص الأم بمزيد منهما ، فإن الإسلام قد شن حملة ضارية على عقوقهما أو عقوق أحدهما .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : الأدب ، باب : البر والصلة — ١٠ / ٣٢٩ .

(٢ ، ٣) فتح البارى ، ابن حجر ١٠ / ٣٣٠ .

وجعل ذلك من أكبر الكبائر ، فرب العزة يقول « وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »[1] .

وفي السنة « عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ : إلا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور . وشهادة الزور ، ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فمازال يقولها حتى قلت : لا يسكت »[2] .

بل في السنة كذلك أحاديث حذرت من مغبة عقوق الأم خاصة من ذلك « عن المغيرة عن النبي ﷺ قال : إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعا وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »[3] .

وتوجد أحاديث كثيرة تبشر المحسن والبار بوالديه وبخاصة أمه ، كما توجد أحاديث كثيرة تنذر العاق لوالديه وبخاصة أمه .

ثانيا : حق المرأة كزوجة :

أن الزواج سنة من سنن الله تعالى في كونه ، وبالنسبة للإنسان ، هو الطريقة الشرعية النقية للعلاقة بين الزوجين ، وهو الطريق الوحيد للسكن

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(٢ ، ٣) أخرجهما البخاري في كتاب الأدب ، باب : عقوق الوالدين من الكبائر ١٠/٣٣٥ ، ٣٣٣ .

والمودة والرحمة ، ولإنجاب الذرية الطيبة الصالحة ، ولحفظ الأنساب،إلى غير ذلك من مقاصد الشرع فى الزواج ، يقول تبارك وتعالى « هو الذى خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[1] .

فالآية الأولى دلت على قدرة الله تبارك وتعالى على خلقه البشر الذين هم من لحم ولد ، وبما فيهم من أسرار وإعجاز من تراب ، كما دلت على أصل الإنسان سواء أكان ذكرا أم أنثى ، فالأصل واحد وهو التراب . والآية الثانية أكدت : حقيقة أن الأنثى من الرجل — آدم وحواء — وإذا كان ذلك كذلك فقد وضحت ووضحت المنهج فى المعاملة المتبادلة بين الزوجين . . . وأسسها : السكن والهدوء ، والإستقرار ، والطمأنية ، والمودة والرحمة ، والشفقة والحنان ، والرأفة والرقة وهذه المعانى وغيرها كثير تفيده بعض ألفاظ الآية الثانية : السكن والمودة والرحمة ، فمن معانى السكن : الهدوء والإستقرار والطمأنية والوداعة والوقار والأمن والرحمة[2] ، وكل أساليب المعاملة التى تمنع وتبعد شبح : الإضطرابات والشقاق . ومن معانى المودة : المحبة ، وتودد إليه : تحبب إليه ، وتودد : اجتلب وده[3] . ومن معانى الرحمة : الرقة والتعطف والمغفرة[4] .

وسمعت أحد العلماء يقول حول ذكر الله تعالى للسكن والمودة والرحمة فى الآية ما معناه : أن السكن يكون للفترة الأولى من الزواج ، والمودة

---

(١) سورة الروم الآيتان ٢٠ ، ٢١ .
(٢) انظر : لسان العرب ٢٠٥٢/٣ .
(٣) انظر : المرجع السابق ٤٧٩٣/٦ .
(٤) المرجع السابق ٥ / ١٦١١ .

فى المرحلة الثانية منه — أى منتصف العمر ، والرحمة فى المرحلة الأخيرة من العمر ، ولكل خلق مناسب لمرحلته بين الزوجين .

وتوجد آيات وأحاديث كثيرة ومتعددة فى كل مناحى المعاملة توصى الأزواج بزوجاتهم خيرا ، سواء من الناحية المعنوية من حيث مراعاة المشاعر والعواطف والأحوال والأغيار التى تعتريها فى بعض الأوقات مثل وقت الحيض والحمل والنفاس والرضاعة . أم من حيث حقوقها المادية .

وفى نقاط موجزة نذكر هنا :

ـ حسن المعاشرة : يقول الله تبارك وتعالى : « ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا »[1] .

فالمشهد هنا واضح وميسر فهمه وإدراكه ، لبيان الكثير من حقوق الزوجة المعنوية أو النفسية والمادية ، كما أنه ناطق بحسن معاشرة الأزواج لزوجاتهم ، بل تحمل ما قد يبدر منهن ما يجعل الرجل يبغض زوجته من بعض تصرفاتها . . .

ويلاحظ فى نهاية المشهد قوله تعالى : « وأخذن منكم ميثاقا غليظا » .

---

(١) سورة النساء الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

وفى السنة ما يؤكد هذا « فمن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرا »[1] قال ابن حجر (المراد أن يتركها على اعوجاجها فى الأمور المباحة ، وفى الحديث : الندب إلى المدارة لإستمالة النفوس ، وتأليف القلوب ، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن ، والصبر على عوجهن ، وأن من رام تقويمهن فاته الإنتفاع بهن ، مع أنه لاغنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ، ويستعين بها على معاشه ، فكأنه قال : الإستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها)[2] .

وقال ﷺ : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر »[3] .

« وعن حكيم بن معاوية عن أبيه رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : أن تطعمها إذا أطعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت » ، قال أبو داود : معنى لا تقبح : لا تقل : قبحك الله[4] .

ويذهب الإسلام إلى درجة تدليل الرجل زوجته ، والأحاديث كثيرة

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الوصاة بالنساء ٩/٢٠٦

(٢) فتح البارى ٩ / ٢٠٧ .

(٣) أخرجه مسلم عن أبى هريرة فى كتاب : الرضاع ، باب : الوصية بالنساء ١٠ / ٥٨ .

(٤) رواه أبو داود فى كتاب النكاح ، باب : فى حق المرأة على زوجها ٢ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

فى هذا منها : « روى عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر . قال : فأتيتها فسقيتها ، وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ »(١) .

« وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال له : « . . . ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها فى فى امرأتك »(٢) .

بل يذهب التدليل إلى أقصى مداه عندما نقرأ هذا فى سنة رسول الله ﷺ من ذلك مثلا . كان رسول الله ﷺ يخدم فى بيته ، فقد جاء فى الصحيح « عن الأسود بن يزيد : سألت عائشة رضى الله عنها : ما كان النبى ﷺ ، يصنع فى البيت ؟ قالت : كان يكون فى مهنة أهله ، فإذا سمع الأذان خرج »(٣) . ويلاحظ هنا أن الرسول ﷺ ، وهو النبى والرسول والدعوة إلى الإسلام شغله الشاغل ، وأمور الدولة والدعوة الإسلامية هو قائدها ، كما أنه كان له ﷺ أكثر من زوجة ، وكانت خدمة البيت فى هذا الوقت يسيرة جدا ، وكانت زوجاته كل منهن ، تعمل جاهدة على مرضاته ، وتتمنى خدمته ، مع كل هذا لم ينس الرسول ﷺ . ماعليه نحو بيته وأهله .

فقد روى البيهقى : « عن عروة ، وهشام بن عروة عن أبيه قال : سأل

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/٤٩ ، ط وزارة الأوقاف .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : النفقات ، باب : وجوب النفقة على الأهل والعيال ٩/٤١٢ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب النفقات ، باب : خدمة الرجل فى أهله ٩/٤١٨ .

وجل عائشة ، هل كان رسول الله ﷺ يعمل فى بيته ؟ قالت : نعم ، كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، كما يعمل أحدكم فى بيته »(١) .

وروى ابن عساكر عن عمرة قالت : قلت لعائشة : كيف كان رسول الله ﷺ فى أهله ؟ قالت : كان ألين الناس ، وأكرم الناس ، وكان ضحاكا بساما »(٢) .

فكان رسول الله ﷺ يؤكد ما جاء فى القرآن الكريم نحو تكريم المرأة ، ويفصل القول فى ذلك ، بل يطبق هذا ليكون القدوة أمام أمته، وليمض الأزواج خلف رسولهم الكريم فى الإحسان إلى الزوجات . .

ولنقرأ هنا بحثا من بعض كلام فقهاء الأمة الإسلامية وعلمائها فى هذه الناحية — خدمة الزوجة .

تعارف الناس فى شرقنا الإسلامى أن الزوجة عليها خدمة زوجها ، وهو أمر واجب عليها نحوه ، وهذا المتعارف عليه ليس صحيحا ، بل العكس هو الصحيح ، وهو أن خدمة الزوج لزوجته واجبة عليه هو ، ولنأخذ نموذجين من كلام عالمين جليلين أحدهما تتبع كلام العلماء والآخر علق على ذلك . يقول ابن حجر (. . أن تجبر المرأة على شىء من الخدمة فلا أصل له ، بل الإجماع منعقد على أن على الزوج مؤنة الزوجة كلها ، ونقل الطحاوى الإجماع على أن الزوج ليس له إخراج خادم المرأة من بيته ، فدل على أنه يلزمه نفقة الخادم على حسب الحاجة إليه . وقال الشافعى والكوفيون يفرض لها ولخادمها النفقة إذا كانت ممن تخدم ، وقال مالك والليث ومحمد بن الحسن : يفرض لها ولخادمها إذا كانت خطيرة وشذ أهل الظاهر فقالوا ليس على الزوج أن يخدمها ولو كانت بنت

(١) البداية والنهاية ابن كثير ٣ / ٥٠٨ .
(٢) فتح البارى ٩ / ٤١٨ .

الخليفة ، وحجة الجماعة قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » وإذا احتاجت إلى من يخدمها فامتنع لم يعاشرها بالمعروف) .

هـذا وما جرى بين سلفنا الصالح من خدمة الزوجة لزوجها ، وما يجرى الآن فى عرف شرقنا الإسلامى فهو من باب : ما ساد بينهم من حسن العشرة ، وجميل الأخلاق والتعاون ، والألفة والمودة . . المهم أن الخدمة ليست واجبة على الزوجة .. وترك الإسلام ذلك لإختيار الزوجة ورضاها ، بحيث لا تـكره ، ولا تحاسب إذا رفضت . . وفى الوقت نفسه يـكون خدمتها لبيتها عمل تطوعى تثاب عليه من الله تعالى ، وتحت عنوان (حكمة عدم وجوب الخدمة) قال مبشر الطرازى الحسينى (وإذا نظرنا إن حكم الإسلام فى عدم إيجاب الخدمة عـلى ذمة الزوجة فإننا نجد فيه حـكم .

أولا : إن إيجاب الخدمة على الزوجة يمس كرامتها ، ولا سيما إذا كانت من أسرة شريفة تعودت على استخدام الخدمة فى الشئون العائلية .

ثانيا : إن إيجاب الخدمة عـلى الزوجة يحول حياة الزوجية إلى حياة الخادمية ، بحيث لا يبقى فرق يذكر بين حياة الزوجة الحرة ، وحياة الخادمة مما يؤدى إلى التأثر فى نفس الزوجة بسبب المساس بـكرامتها .

ثالثا : إن إيجاب الخدمة على الزوجة يضيع ساعاتها الغالية من عمرها الغالى فى أمور الطبخ والـكنس والغسل وأمثالها ، ولا يعطى لها فرصة كافية لتأدية فرائضها وعبادة ربها كما يجب وينبغى ، وهذا مما نشاهده فى الأكثرية الغالبة بين النساء اللاتى يقمن بخدمة بيوتهن .

رابعا : إن إيجاب الخدمة على الزوجة يحول دون — أن — تـكمل تعليمها وثقافتها ، ومن المعلوم أن الزوجة بصفتها أما هى المدرسة الأولى

لأولادها ، ولا يمكن حصول هذا الغرض المهم من جانبها إلا إذا كانت مثقفة فى شئون دينها . .)[1].

وهناك أمر آخر فى غاية الأهمية وهو عمل المرأة فى حقل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى . . فلو ترك لها وقتا كافيا لأدت دورها فى هذا المجال الخصب . . وبخاصة بين أخواتها من النساء .. فعدم الخدمة يترك لها فرصة للتعلم وللتعليم .

وللزوجة الحق فى أن تستشعر بالراحة والهناء فى بيت الزوجية بل لها الحق فى الترويح عنها[2] ، بل ومداعبتها . . وقد كان رسول الله ﷺ يتلطف مع نسائه ، من ذلك مثلا « أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : سابقنى فسبقته ، فلبسنا حتى إذا رهقنى اللحم ، سابقنى ، فسبقنى ، فقال : هذه بتلك »[3] .

« وعن عائشة رضى الله عنها قالت : رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد ، حتى أكون أنا الذى أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو »[4] .

وقال رسول الله ﷺ « كل شىء يلهو به ابن آدم باطل إلا ثلاثا : رمية عن قوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله فإنهن من الحق »[5] ، إلى غير ذلك من الأحاديث فى هذا الشأن .

---

(١) الإسلام الدين الفطرى الخالد ٢ / ١٢٩ ، وانظر : فتح البارى لابن حجر ٩ / ٢٦٦ .

(٢) الترويح الإسلامى ، وليس الترويح الماجن الفاجر .

(٣) رواه ابن ماجه فى النكاح ، باب : حسن معاشرة النساء ١/٦٦ .

(٤) أخرجه البخارى فى النكاح ، باب : نظر المرأة إلى الحبش وغيرهم من غير ريبة ٩ / ٢٧٦ .

(٥) رواه الترمذى فى الجهاد ، باب : ما جاء فى فضل الرمى ٤/٧٤ .

بل إن الإسلام يذهب إلى أبعد مدى فى الحفاظ على الزوجة ، ومراعاة مشاعرها ، واحترام كرامتها ، وحسن الظن بها ، ولا يتتبع عثراتها من ذلك مثلا : « عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ يكره أن يأتى الرجل أهله طروقا »(١) ، وقال رسول الله ﷺ « إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا »(٢) ، ولابن حجر كلام نفيس فى هذا ومنه قوله : (فى حديث أنس أن النبى ﷺ كان لا يطرق أهله ليلا ، وكان يأتيهم غدوة أو عشية . . . ونهى رسول الله ﷺ ، أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم(٣) . .

قال أهل اللغة : الطروق المجئ بالليل من سفر أو من غيره على غفلة ، ويقال لكل آت بالليل طارق : وأصل الطروق : الدفع والضرب ، وبذلك سميت الطريق ، لأن المارة تدقها بأرجلها ، وسمى الآتى بالليل طارقا لأنه يحتاج غالبا إلى دق الباب ، وقيل أصل الطروق : السكون ، ومنه أطرق رأسه ، فلما كان الليل يسكن فيه سمى الآتى فيه طارقا . . وقوله إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا . التقييد فيه بطول الغيبة ، يشير إلى علة النهى أنما توجد حينئذ ، فالحكم يدور مع علته وجودا وعدما ، فلما كان الذى يخرج لحاجته مثلا نهارا ، أو يرجع ليلا لا يأتى له ما يحذر من الذى يطيل الغيبة كان طول الغيبة مظنة الأمن من الهجوم فيقع الذى يهجم بعد طول الغيبة غالبا ما يكره إما أن يجد أهله على غير أهبة ، من التنظيف والتزين المطلوب للمرأة ، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما ، وقد أشار إلى ذلك بقوله فى حديث الباب « كى تستحد المغيبة ، وتمتشط الشعثة » ويؤخذ منه كراهية مباشرة المرأة فى الحالة التى تكون فيها غير متنظفة . لئلا

(١ ، ٢) أخرجهما البخارى فى النكاح ، باب : لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة ، مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم ٩ / ٢٧٩ .

(٣) يشير إلى ما أخرجه مسلم .

يطلع منها على ما يكون سببا لنفرته منها ، وإما أن يجدها على حالة غير مرضية ، والشرع محرض على الستر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : أن يتخونهم ، يتطلب عثراتهم ، فعلى هذا : من أعلم أهله بوصوله ، وأنه قادم فى وقت كذا مثلا لايتناوله هذا النهى . وقد صرح بذلك ابن خزيمة فى صحيحه قال « قدم النبى ﷺ من غزوة فقال : لا تطرقوا النساء ، وأرسل من يؤذن الناس أنهم قادمون » وفى الحديث :

الحث على التواد والتحاب ، خصوصا بين الزوجين ، لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجين مع اطلاع كل منهما على ما جرت العادة بستره ، حتى أن كل واحد منهما لايخفى عنه من عيوب الآخر فى الغالب ، ومع ذلك فنهى عن الطروق ليلا لئلا يطلع على ما تنفر نفسه عنه ، فيكون مراعاة ذلك فى غير الزوجين بطريق الأولى .. وفيه التحريض على ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم)[١] .

فهل هناك أرق وأنبل ، وأسمى من مراعاة المشاعر للزوجة مثل هذا فى دينا الناس — كل الناس — وفى التشريعات — كل التشريعات على وجه الإطلاق .

ألا فليعتبر الرجال — كل الرجال ، وألا فلتعتبر النساء كل النساء .

ومع كل ماسبق فإن فى الإسلام الكثير الذى يحفظ على المرأة سمعتها وشرفها وكرامتها من ذلك مثلا :

قال رسول الله ﷺ « إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة : الرجل يفضى إلى امرأته ، وتفضى إليه ثم ينشر سرها »[٢] . ويلاحظ

---

(١) فتح البارى ٢٧٩/٩ .

(٢) رواه أحمد فى مسنده ٣ / ٦٩ ، ط المكتب الإسلامى .

شدة الوعيد فى ذلك « إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة ». ويوجد حديث آخر توعد الاثنين معا — الزوج والزوجة — إذا نشر وأذاع أحدهما سرا عن الآخر « فعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده ، فقال : لعل رجلا يقول ما فعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ، فأرم القوم ، فقلت : إى والله يا رسول الله إنهم ليفعلون ، وإنهن ليفعلن ؟ قال : فلا تفعلوا ، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون »[1] .

وفى أثناء كتابة هذا البحث سمعت ورأيت برنامج تلفازى مشهور يقدمه إذاعى مشهور وجاء فى صورة مشهد تمثيلى ، وكانت المشكلة المعروضة أمام النظار والمشاهدين هى محاولة الإجابة عن سؤال مفادة : هل الخاطب والمخطوبة إذا أرادا الزواج ، أن يفصح ويبوح كل منهما للآخر بماضيه من علاقات مشبوهة ، حتى يقدما على الزواج ، وقد أصبح كل منهما أمام الآخر صفحة واضحة . . أم يكتم كل منهما عن الآخر هذا . . وكانت نتيجة التمثيلية والحوار : أن يصرح كل منهما للآخر . ويكشف عن ماضيه ، حتى لا يكتشف فيما بعد هذا المشبوه ، ومن ثم يدب الخلاف والشقاق . .

وفى الحقيقة إن هذا من الجهل السائد والسارى فى كثير من ضروب الحياة المتنوعة . . والإسلام فى مثل هـذه الأحوال — وهى بغيضة إليه — يأمر كل منهما بالستر ، وعدم إفشاء الأسرار ، ونبش الماضى وبخاصة الذى منه هذا النوع ، ويأمر أن يغض كل منهما الطرف عن هذا الماضى ، وأن ينظر كل منهما إلى المستقبل ، لا إلى الخلف والوراء . .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ٦/٤٥٦

ولو فتح هذا الباب ، لتعسر الزواج ، بل ربما انعدم وبخاصة فى زماننا هذا . . وقد سد هذا الباب ، وأغلقه سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وهدد من تتبع هذه الأمور ، فقد ورد (أن رجلا خطب إلى رجل أخته ، فذكر أنها قد أحدثت ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فضربه ، أو كاد أن يضربه ، ثم قال : مالك وللخبر)(١) .

قال الزرقانى معناه [أى غرض لك فى إخبار الخاطب بذلك ، فيجب على الوالى ستره عليها ، لأن الفواحش يجب على الإنسان سترها على نفسه ، وعلى غيره ، وفى الحديث : من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله ، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله](٢) .

لكن ماذا نقول لدعاة التغريب والتخريب ؟ ! وإذاعتهم ونشرهم الردىء المجلوب ، وما يشين ويخدش الحياء ، ومحاولتهم إشاعة الفواحش والقـــاذورات بين المسلمين والمسلمات ، كل ذلك بطريق الجذب والاستمالة ، وخداع الناس .

وهناك أمر آخر — بخلاف ما سبق — ولا يوجد له مثيل فى دين ودنيا الناس — كل الناس وكل دين على وجه الإطلاق إلا فى الدين الإسلامى ، وهو المزيد من حفظ الزوج لكرامة زوجته ، والحرص على شرفها وعرضها وإنسانيتها ونطلق عليه عندنا : الغيرة .

الغيرة : إن المسلم يغار عندما يجد حرمة من حرمات الله تنتهك — هكذا يجب — وفى السنة أحاديث كثيرة توضح ذلك بجلاء — وستأتى حالا — كما أن فى السنة أحاديث تبين غيرة المسلمين من الرجال على النساء المسلمات ، وبخاصة غيرة الزوج على زوجته وما كان ذلك

---

(١) موطأ الإمام مالك ٢١٣/٣ ، دار الكتب العلمية ، ط أولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ ٢١٣/٣

إلا ليصون زوجته من القيل والقال ، وليحافظ على شرفها وكرامتها ومنزلتها ، ليحاول الوصول بها إلى أعلى درجات النقاء والطهر والعفة ، وحسن الأحدوثة والسمعة ، ولا يتركها نهبا للذئاب ، ومقالة السوء ، فتمتهن كرامتها ، وتسوء سمعتها .

وهاك بعض الأحداث والأحاديث فى ذلك :

إن معركة ضارية بين المسلمين وأعداء الإسلام — اليهود — نشبت فى عهد رسول الله ﷺ ، وذلك بسبب أن أحد أعداء الإسلام أراد كشف وجه امرأة مسلمة ، والنظر إلى جزء من جسدها ، فقامت الدنيا ولم تقعد حتى انتقم المسلمون من اليهود شر انتقام ، وأعادوا للمرأة المسلمة كرامتها ، ولندع المؤرخين يذكرون هذا الحدث .

قال الذهبى (كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم ؛ وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها عن كشف وجهها ، فلم تفعل ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فأغضب المسلمون ووقع الشر)[1] .

ويصور هذا الدكتور / محمد الطيب النجار فيقول (كان يهود بنى قينقاع يقيمون فى جوار المسلمين بالمدينة ، وكان بينهم وبين المسلمين عهود فنبذوها ، وبدأوا المسلمين بالشر والعدوان ، وذلك أن امرأة من نساء الأنصار قدمت إلى سوق اليهود من بنى قينقاع ، ومعها حلية . .

---

(١) تاريخ الإسلام ، الذهبى ١/٣٠٥ ، دار الغد العربى ط أولى ١٩٩٦م وانظر البداية والنهاية ، ابن كثير ٢/٤٠٩ ، دار الغد العربى ط أولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م

فجلست إلى صائغ .. فجعل اليهود يريدونها على كشف وجهها وهى تأبى، فجاء يهودى من خلفها فى سر منها فأثبت طرف ثوبها بشوكة فى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحك اليهود، وصاحت المرأة صيحة هى مزيج من الحزن والخجل والاستغاثة، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودى فقتله، واجتمعت اليهود على المسلم فقتلوه .. وحينئذ دعا الرسول ﷺ رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغى ونكث العهد .. ولكنهم استخفوا بوعده ...

ثم صار إليهم الرسول ﷺ بعد غزوة بدر بشهر يحمل لواءه عمه حمزة بن عبد المطلب، فحاصرهم خمس عشرة ليلة، ولما رأوا من أنفسهم العجز، وأخذهم الرعب سألوا رسول الله ﷺ أن يخلى سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية، وللمسلمين الأموال فقبل الرسول ﷺ ذلك، ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت ورحلوا إلى أذرعات بالشام)[1].

ويلاحظ فى هذا:

— حرص المرأة المسلمة على صون كرامتها، وستر نفسها، وعفة وطهارة ذيلها ..

— خسة اليهود منذ القدم، وعملهم الدؤب على كشف المرأة المسلمة لجسدها .. وهتك أستار العفة والطهارة ...

— استشهد أحد المسلمين فى سبيل صون امرأة مسلمة، عندما هب لنجدتها ..

---

(١) السيرة النبوية، د/ محمد الطيب النجار ص ١٦٩، ١٧٠، مكتبة الجامعة الأزهرية ١٩٧٠ م.

— قامت معركة بين المسلمين وأعداء الإسلام بسبب محاولة الخصوم للكشف عن عورة مسلمة واحدة ولم تهدأ حتى أخذ الأعداء عقابهم بالطرد من البيئة الإسلامية النظيفة، وحملوا قاذوراتهم وولوا . .

وقد كان رسول الله ﷺ، وصحابته يغارون ، بل ورد فى السنة الصحيحة أن الله تبارك وتعالى يغار ، وتوضيح ذلك فى الأحاديث التالية :

— « قال سعد بن عبادة : لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مُصْفِح . فقال النبى ﷺ : أتعجبون من غيرة سعد : لأنا أغير منه ، والله أغير منى »(١) .

— « وعن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال : ما من أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ، وما أحد أحب إليه المدح من الله »(٢) .

— « وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يزنى عبده ، أو أمته تزنى . يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا »(٣) .

— « وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : إن الله يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله »(٤) .

— وفى حديث أسماء بنت أبى بكر وزوجة الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنهم قالت « فاستحييت أن أسير مع الرجال . وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس »(٥) .

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) أخرجهما البخارى فى كتاب النكاح باب الغيرة ٢٦٢/٩ وما بعدها .

— « وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : دخلت الجنة أو أتيت الجنة فأبصرت قصرا ، فقلت لمن هذا ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخله ، فلم يمنعنى إلا علمى بغيرتك ، قال عمر بن الخطاب : يارسول الله بأبى أنت وأمى ، يابنى الله أو عليك أغار ، وفى رواية أخرى « عن أبى هريرة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ، جلوس ، فقال رسول الله ﷺ : بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب القصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قال هذا لعمر . فذكرت غيرته فوليت مدبرا فبكى عمر وهو فى المجلس ثم قال : أو عليك يارسول الله ﷺ أغار »[١] .

والغيرة : (مشتقه من تغير القلب ، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الإختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين هـذا فى حق الآدمى ، وأما فى حق الله تعالى . . أن يأتى المؤمن ماحرم الله عليه . . . وقيل الغيرة فى الأصل الحمية والأنفة ، وهو تفسير بلازم التغير فيرجع إلى الغضب ، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه فى كتابه الغضب والرضا .

وقال ابن العربى : التغير محال على الله بالدلالة القطعية ، فيجب تأويله بلازمه كالوعد أو إيقاع العقوبة بالفاعل ونحو ذلك .. ومن أشرف وجوه غيرته تعالى اختصاصة قوما بعصمته فمن ادعى شيئا لنفسه من ذلك عاقبه . . وأشد الآدميين غيرة رسول الله ﷺ ، لأنه كان يغار لله ولدينه ولهذا كان لا ينتقم لنفسه)[٢] .

والذى نقصده هنا هو غيرة الزوج المسلم على زوجته ، صيانه ، لها

---

(١) أخرجها البخارى فى كتاب النكاح ، باب : الغيرة ٩ / ٢٦٢ وما بعدها .

(٢) فتح البارى ، ابن حجر ٢٦٢/٩ .

وحفاظا على كرامتها، فلا يتركها مبتذلة ، رخيصة، مهانة، حقيرة ، تتجاذبها الأيدى فى المسارح والمراقص والنوادى . ويأخذ هذا منها وهذا منها، تحت شعارات مزيفة مثل: الحرية ، والتمدين ، والترويح ، فمثل هذه الكلمات حق أريد بها باطل .. ويضعونها فى غير موضعها الصحيح .. وغيرة الرجل فى الإسلام على زوجته خاصه . . تقيها من سوء الأحدوثة ، وتحفظ لها كيانها كإنسانة محترمة موقرة ، ولها إنسان يحفظ لها كل هذا ، وتحس وتدرك بأهميتها فى هذا الوجود .

وإذا تخلى الرجل عن غيرته على زوجته فقد تخلى عن إنسانيته ، وكرامته وتدلى وتدنى بها حتى نزل إلى البهيمية ، حتى أن الأسلام أطلق عليه الرجل الديوث ففى الحديث « عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ثلاثة لايدخلون الجنة : العاق لوالدين والديوث ، ورجلة النساء »[1] .

وفى رواية أخرى توضح معنى الديوث ؟« ثلاثة لايدخلون الجنة أبدا: الديوث ، والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر . قالوا : يارسول الله : أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ . . قال : الذى لايبالى من دخل على أهله ، قلنا : فما الرجلة من النساء ؟ قال : التى تشبه بالرجال »[2] . وجاء فى كتب . اللغة الديوث : القواد على أهله . . والذى لايغار على أهله . . . والديوث والديبوث : الذى يدخل الرجال على حرمته ، بحيث يراهم، كأنه لين نفسه على ذلك . . . وهو الذى تؤتى أهله وهو يعلم[3] .

---

(١) كنز العمال ١٦ / ٣٢ ، رقم الحديث ٤٣٨٠٨ وعزاه للطبرانى فى الكبير ، موسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ .

(٢) فقه السنة ٧ / ١٣١ وقال : رواه الطبرانى .

(٤) انظر: لسان العرب ، ابن منظور ١٤٦٥/٢ ، دار المعارف والمعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ، ط وزارة التربية والتعليم ص ٢٤٠ .

هكذا يصون الإسلام المرأة المسلمة أيا كانت وبخاصة لو كانت زوجة، ويرفع هامتها، متوجة بتاج العفة والطهر والنقاء والحفظ والكرامة . .

وإذا كان من واجبات الزوج نحو زوجته الغيرة عليها فإنه من الفطنة بل من الشريعة أن لا يغالى الزوج فى غيرته، بل يعتدل فى هذه الغيرة، ولا يبالغ فى إساءة الظن بزوجته، ولا يسرف فى تقصى كل حركاتها وسكناتها، ولا يحصى جميع عيوبها، فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل(١)، فقد جاء فى الحديث « إن من الغيرة ما يحبه الله. ومنها ما يبغضه الله، ومن الخيلاء ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله: فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة، والغيره التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة . . . والاختيال الذى يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال، وعند الصدمة . . والاختيال الذى يبغضه الله الإختيال فى الباطل »(٢) .

وكل ما مضى كان عن غيرة الرجل المسلم على زوجته . . أما عن غيرة الزوجة المسلمة على زوجها فقد قال ابن حجر (وأما المرأة فحيث غارت من زوجها فى ارتكاب محرم إما بالزنا مثلا، وإما بنقص حقها، وجوره عليها لضرتها، وإيثارها عليها، فإذا تحققت ذلك، أو ظهرت القرائن فيه فهى غير مشروعة — فلو وقع ذلك بمجرد التوهم عن غير دليل فهى الغيرة فى غير ريبة، وأما إذا كان الزوج مقسطا عادلا، وأدى لكل من الضرتين حقها . فالغيرة منهما إن كانت فى الطباع البشرية التى لم يسلم منها

---

(١) انظر : فقه السنة الشيخ سيد سابق ٧/١٣١، ١٣٢

(٢) رواه النسائى فى الزكاة، باب ٦٦، ورقم الحديث ٣٥٥٨ عن جابر بن عبد الله .

أحد من النساء ، فتعذر فيها ما لم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل . . وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء فى ذلك »[١] .

وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تغار من السيدة خديجة رضى الله عنها فقد جاء فى الصحيح «عن عائشة أنها قالت : ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها ، وقد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت لها فى الجنة من قصب »[٢] .

والشىء بالشىء يذكر — كما يقولون — فإن غيرة عائشة رضى الله عنها من خديجة رضوان الله عليها ، لم كان من ذكر رسول الله ﷺ لها بعد وفاتها . . فالزوجة لها الاحترام ، والوفاء ، وحسن الثناء سواء أكانت حية ، أم متوفية ، وهذا من روائع إسلامنا ، ولا يوجد له نظير على الإطلاق . .

وقد فعل الرسول ﷺ ذلك ، وهو المثل والقدوة لأمته . . بل ومن وفاء الرسول ﷺ كذلك ، أنه كان وفيا لصديقات خديجة رضى الله عنها ، ولقد ثبت هذا فى السنة الصحيحة « فعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما غرت على امرأة للنبى ﷺ ، ما غرت على خديجة ، هلكت قبل أن يتزوجنى . لما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب ، وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن »[٣]

---

(١) فتح البارى ، ابن حجر ٢٦٧/٩

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : النكاح ، باب غيرة النساء ووجدهن ٢٦٨/٩

(٣) أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء ، باب تزويج النبى =

وفى رواية أخرى : « . . . . . وربما ذبح الشاة ثم يقطعها ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، فربما قلت : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول : إنها كانت وكانت وكان لى منها الولد »[١] .

وعند أحمد قوله ﷺ عن خديجة : « آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء »[٢] .

قال النووى : « فى هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد ، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا ، وإكرام معـــارف ذلك الصاحب »[٣] ، أين هذا فى قوانين البشر ! !

ويوجد أمر آخر فى غاية الدقة رعاه الإسلام ، إرضاء وإشباعا لعواطف الزوجة ، إن الزوجة جاءت من أبوين ، توليا ، رعايتها ، وتربيتها وتعليمها ، وعيناهما عليها سواء وهى فى أحضانهما ، أم بعد زواجها ، كما أن لها إخوة وأخوات ، ترعرعت بينهم ، وقضت صباها ، فى وسطهم ، ولها أعز الذكريات معهم ، وكذلك لها أعمام وأخوال ، وعمات وخالات وغيرهم ، وبعد زواجها ، واستقرارها فى بيت الزوجية ، لا ينبغى فى الإسلام منع الزوج لزوجته من صلة أرحامها ، وودهم ، والإحسان إليهم ، وبرهم وحسن مجاملتهم فى السراء والضراء إلخ .

ويتأكد هذا ، ويستوجب فى الوالدين ، (فلها أن تزورهما — من

= ﷺ خديجة وفضلها رضى الله عنها ١٠٦/٧ وما بعدها

(١) المرجع السابق ١٠٦/٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد ، رقم ٢٥٦٠٦

(٣) فتح البارى ١٠٨/٧

حين إلى حين(١) — ولو لم يأذن لها زوجها ، لأن ذلك من صلة الرحم الواجبة ، ولها أن تمرض المريض منهما ، إذا لم يوجد من يمرضه ، ولو لم يرض زوجها . . لأن ذلك واجب ،ولا يجوز أن يمنعها من الواجب)(٢) بل من حسن الخلق أن يشارك زوجته في صلة رحمها ، تطيبا لخاطرها ، وجبرا لها ، والعكس صحيح ، حتى تسود بين الزوجين السكن والمودة والرحمة وتدوم بينهما . . ألا ما أعظم الإسلام . .

حرية المرأة :

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ,كلمة دوت في سمع الزمن ، وسجلها التاريخ بأحرف من نور ، قالها سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، والإسلام هو الدين الوحيد الذى حرر الإنسان من عبوديته للإنسان ، وجعل العبودية لله رب العالمين وحده .. والحرية من أحق حقـــوق الإنسان ذكرا كان أو أنثى ، ومن أوجب الواجبات له . .

ومن الحرية : حرية إبداء الرأى ، وهذا الحق من أجل الحقوق التى قررها الإسلام للإنسان ولكنها الحرية المنضبطة المهذبة ، والتى لا تتجاوز الحدود ، والأدب ،كما أنها لا تتعدى على حرية الآخرين . . ومن حقوق المرأة فى الإسلام حريتها ، وبخاصة مع زوجها ، وقد كانت الزوجة فى العهد الذهبى للإسلام تستخدم هذا الحق ، و تطبقه ، والزوج يسمع لها ، و تناقشه ويناقشها . . وفى كثير من الأحيان يأخذ برأيها . . حتى أن زوجات الرسول ﷺ كن يستخدمن هذا الحق الذى منحه

(١) حددها بعضهم كل أسبوع .

(٢) فقه السنة ، الشيخ سيد سابق ١٦٨/٧

لهن مع رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ يشرح صدره ، ويتقبله منهن بنفس راضية ، وما كان ذلك منه حتى يدرب ويعلم الأزواج خاصة ، والرجال عامة على ذلك ، فهو المثل والقدوة أمام الكل . .

بل كانت أحداهن ربما تغضب من رسول الله ﷺ ولا تذكر إسمه عند مخاطبتها له ، وهذا ثابت في الصحيح « فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ : إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت على غضبى قالت : فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد . وإذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم . قالت : قلت : أجل ، والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك »(١) .

وليس هذا فقط بل كانت الزوجة : ترد على زوجها ، وتناظره ، وتتحاور معه ، بل كانت ترفع صوتها وتراجعه . . بل ربما تغضب عليه وتهجره اليوم والليل .

وقد جاء هذا في الحديث الصحيح الطويل الذي أخرجه البخاري ، نأخذ منه هذا الجزء ، وبه يتضح صحة ما نقول « .. ثم استقبل عمر الحديث يسوقه ، قال : كنت أنا وجارلي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوما ، وأنزل يوما : فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره . وإذا نزل فعل مثل ذلك . وكنا معشر قريش نغلب النساء . فلما قدمنا على الأنصار ، إذا قوم تغلبهم نساؤهم : فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار ، فصخبت على امرأتي فراجعتني . فأنكرت أن تراجعني قالت ولم تنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج النبي ﷺ ، ليراجعنه ، وإن

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ، باب غيرة النساء ووجدهن ٩/٢٦٧.

إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعني ذلك ، وقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهن ، ثم جمعت على ثيابي . فنزلت فدخلت على حفصة — ابنته وزوج النبي — فقلت لها : أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل ، قالت نعم ، فقلت قد خبت وخسرت ، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله فتهلكي ، لا تستكثري النبي ﷺ ، ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه ، وسليني ما بدالك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك[1] ، أوضأ منك ، وأحب إلى النبي ﷺ ، يريد عائشة . . »[2] .

وسيدنا عمر أمير المؤمنين المعروف بقوته وشدته ، كان رضي الله عنه في بيته رجلا وديعا ، هينا لينا مع أهله ، بل كان رضوان الله عليه يتحمل ما يبدر منهن من صياح ومراجعة ، بل قد تستطيل عليه بلسانها ، ولا يتكلم

---

(١) يذهب كثير من العلماء أن الأولى أن يطلق على الضرة جارة ، لأن الجارات من شأنهن أن يحدث بينهن — غالبا — من الغيرة ، وقد جاء ذلك في حديث أم زرع الذي جاء قبل هذا الباب مباشرة ، وجاء — كما ترى — في الحديث الذي معنا . . وقال ابن حجر (والعرب تطلق على الضرة جارة لتجاورهما المعنوي ، لكونهما عند شخص واحد ، وإن لم يكن حسيا ، ووقع في حديث حمل بن مالك : كنت بين جارتين ، يعني ضرتين ، فإنه فسره في الرواية الأخرى فقال : امرأتين وكان ابن سيرين يكره تسميتها ضرة ، ويقول : إنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تذهب من رزق الأخرى بشيء ، وإنما هي جارة ، والعرب تسمى صاحب الزوجة أيضاً جارة لمخالطتها الرجل . وقال القرطبي إختار عمر تسميتها جارة أدبا منه أن يضاف لفظ الضرر إلى أحد من أمهات المؤمنين) فتح الباري ٩ /٢٣١ وهو رأى له وجاهته .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : النكاح ، باب : موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ٩ / ٢٢٧ .

ومما يروى فى ذلك أن (رجلا جاء إلى عمر يشكو إليه خلق زوجته ، فوقف ببابه ينتظر ، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت ، لا يرد عليها ، فانصرف الرجل قائلا : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالى : فخرج عمر ، فرآه موليا ، فناداه ، ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، جئت اشكو إليك خلق زوجتى واستطالتها علـى ، فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت ، وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته ، فـكيف حالى ؟ فقال له عمر : تحملتها لحقوق لها على)[1] .

وقد ذكر ابن حجر فوائد كثيرة حول حديث أم زرع المشار إليه سابقاً ، ومما ذكره (حسن معاشرة المرء أهله ، بالتأنيس والمحادثة بالأمور المباحة ما لم يفض ذلك إلى ما يمنع ، وفيه المزح أحيانا ، وبسط النفس به ، ومداعبة الرجل أهله ، وإعلامه بمحبته لها ، ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة تترتب على ذلك من تجنيها عليه وإعراضها عنه)[2] .

بل من حق المرأة أن ترفع صوتها عاليا مدويا معترضة على زوجها وذلك حين يأمرها بمعصية خالقها ، وقد جاء ذلك فى كتب السنة ، فعن عائشة رضى الله عنها أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها ، فجاءت إلى النبى ﷺ فذكرت ذلك له . فقالت إن زوجها أمرنى أن أصل فى شعرها ، فقال : لا إنه قد لعن الموصلات ، وقد بوب البخارى بابا فى صحيحه ، وجعـــل عنوانه هـكذا (لا تطيع المرأة زوجها فى معصية الله)[3] .

---

(١) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر ، على الطنطاوى ، ناجى الطنطاوى ص ٢٩٨ ، ط ثامنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، المـكتب الإسلامى .

(٢) فتح البارى ٩ / ٢٢٦

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب النـكاح ٢٥٠/٩

وهنا موقف آخر يوضح فقه المرأة المسلمة فى دينها ، وحقها فى الاعتراض ، وبخاصة ما يهمها فى شخصها . . ولو كان المتحدث أميرا (فعن مسروق قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس ما إكثاركم فى صداق النساء ، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الإكثار فى ذلك تقوى عند الله ، أو كرامة لم تسبقوهم إليها . فلأعرفن ما زاد رجل فى صداق إمرأة على أربعمائة درهم ، ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين : نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمائة درهم ؟

قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله فى القرآن ؟ قال : وأى ذلك ؟ ، فقالت : أما سمعت الله يقول « وآتيتم إحداهن قنطارا » الآية ، قال : اللهم غفرا ، كل الناس أفقه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس إنى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء فى صدقاتهن على أربعة درهم ، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب)[١] .

وفى طريق آخر قال عمر : إن امرأة خاصمت عمر فخصمته ، وفى طريق ثالث ، قال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ)[٢] .

وسيأتى المزيد من حرية المرأة فى أخص خصوصياتها . . . ولا أستطيع سرد كل ما هو من حق الزوجة من الناحية المعنوية ، فجمع هذا يطول جدا ، وكتب الفقه والتفاسير والأحاديث فيها الكثير . لا استطيع جمعه هنا . . وما ذكرته — كأدلة — فيه الكفاية للتدليل على حقوقها المعنوية . . . .

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ٤٦٧/١

(٢) انظر : المرجع السابق ٤٦٧/١

أما حقوقها المادية من : مهر وميراث ، وبيع وشراء ، وتعليم ، بل حتى طلاقها من زوجها فسيأتى شىء من هذا فى مطلب الشبه والرد عليها إن شاء الله تعالى . . هذا ديننا . . وهذا إسلامنا . . وهذا فخارنا . . وهذا عزنا . . وهذا أدبنا . . وهذا شرعنا يسرى فى عقولنا . . وفى عروقنا . . به نعتز ، ونتيه به على خصومنا . . وإلا فأين هذا عندهم .

أين مفكروهم ؟ وكتابهم ، وعلماؤهم وحكماؤهم ؟ أين مشرعوهم وأين نصوص كتبهم ؟ ولقد سبق بيان صورة مما عندهم . . .

أيتها المرأة المسلمة لك أن تعتزى بإسلامك ، وترفعى رأسك عالية بين نساء العالمين . . فأنت الوحيدة فى دنيا نساء العالمين ، حقك مصان ، وكرامتك محفوظة . وشرفك سامى ، وانت الأم ومالها من حقوق ، وأنت الزوجة وما لها من حقوق ، وأنت الابنة وما لها من حقوق ، وأنت الأخت وما لها من حقوق ، وأنت الخالة ، والخالة بمنزلة الأم ، وأنت العمة وأنت الجدة ، بل أنت الأخت المسلمة أيا كان موطنك لك حق الدفاع عنك ، وعن كرامتك ومنزلتك وفوق كل هذا فأنت أم الأنبياء والمرسلين ، وأم الزعماء المصلحين ، وأم العلماء العاملين ، ولولاك ما كنا ، ولا كان أحد . . .

فاهتفى وقولى :

الله أكبر إن دين محمد ... وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لا تذكروا الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فأطفأ القنديلا . .

بل أناشد المرأة غير المسلمة ، أيا كان معتقدها ، وأيا كانت نحلتها وملتها وما أكثر الملل والنحل فى دنيا البشر . . أناشدك وأقول : لك حق المقارنة والموازنة بين ما جاء به الإسلام ، وبين ما جاء به غير الإسلام . كما لك حق الاختيار . . والعاقلة والذكية من تحسن منكن

الإختيار . . بعيدا عن الأحقاد والرواسب القديمة الجاهلة . . والتعصب البغيض . . وهاك المزيد .

ثالثا : حقوق البنت :

سبق القول — فى المطلب السادس — حق البنت أو الفتاة فى التربية والتأديب والتعليم ، والإحسان إليها ، بل وحسن استقبالها عند مولدها . . ونزيد هنا أمرا آخر ، وهو يوضح المزيد من حريتها ، وحقها فى اختيار فتاها أو زوجها . لمستقبل أيامها ، وليس لأحد مهما كان أن يتدخل فى هذا الإختيار حتى ولو كانا والداها ، اللهم إلا إذا كان التدخل لصالحها ، والحرص عليها — كما سيأتى حالا — والنصوص كثيرة وصريحة وصحيحة فى هذا الشأن نذكر منها :

« عن أبى سلمة أن أبا هريرة حدثهم أن النبى ﷺ قال : لا تنكح الأيم[١] حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن . قالوا : يارسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت »[٢] .

« وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله : إن البكر تستحى ، قال : رضاها صمتها » .

« وعن خنساء بنت خدام الأنصارية أن أباها زوجها وهى ثيب ، فكرهت ذلك ، فأتت رسول الله ﷺ ، فرد نكاحه »[٤] . ويوجد

(١) الأيم هى : الثيب التى فارقت زوجها بموت أو طلاق لمقابلتها بالبكر انظر فتح البارى ٢٥٧/٩ .

(٢ ، ٣ ، ٤) أخرجها البخارى فى النكاح ، باب : لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ، والباب بعده إذا زوج الرجل ابنته وهى كارهة ، فنكاحه مردود ٩ / ١٥٧ وما بعدها . وانظر موطأ الإمام مالك ٣ / ١٦٤ ، ١٨٧ .

حديث فيصل في هذه المسألة يضاف إلى الأحاديث السابقة ، وبه نعلم علم اليقين أن الإسلام قد أعطى للفتاة حرية حق اختيار شريك حياتها ، حقا كاملا غير منقوص ، ودون أدنى ضغط أو إكراه « فعن عبد الله ابن بريده عن أبيه قال : جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، قال : فجعل الأمر إليها فقالت : قد أجزت ماصنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء »(١) .

بل إن علماء الشريعة الإسلامية الغراء قد احتاطوا كثيرا في حسن اختيار الزوج ، والتحري عنه ، حتى تنتقل الفتاة إلى بيت الزوجية ، ويتحقق لها المودة والسكن والرحمة . من احتياطها للفتى أو الشاب . فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته — ابنته — وقال رجل للحسن : قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ قال : من يتقي الله تعالى . فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها . . . وقال الشعبي : من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها(٢) .

وكما هو معلوم أن قطع الرحم عقابه كبير ، وهو من الكبائر ، وقد علل الغزالي الإحتياط في حقها أهم ، لأنها رقيقة بالنكاح ، ولا مخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال ، ومن زوج ابنته ظالما ، أو فاسقا ، أو مبتدعا ، أو شارب خمر ، فقد جنى على دينه ، وتعرض لسخط الله تعالى ، لما قطع من حق الرحم ، وسوء الإختيار)(٣) .

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ، كتاب : النكاح ، باب : من زوج ابنته وهي كارهة ١ / ٦٠٢ دار إحياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ٢ / ٣٨ ، عالم الكتب .

(٣) المرجع السابق ٢ /٣٨ .

وعندما جاء الإسلام ، وألغى ما كانت عليه الجاهلية ، وبخاصة بما كان متعلقا بالبنات . وأعلى من شأن الأنثى ، وحافظ على حقها فى الحياة ، والعناية بها ، وحقها فى الكرامة الإنسانية ، عندما جاء الإسلام بهذا ، تسابق الصحابة رضوان الله عليهم ، وتنافسوا فى ضم البنات فى حضانتهم ، وأسوق هنا نموذجا واحدا للتدليل على ذلك ، وقد روته كتب السنة الصحيحة وذلك عندما ذهب رسول الله ﷺ وأصحابه لقضاء العمرة ، وذلك قبل أن تفتح مكة ، وهى ما يطلق عليها : عمرة القضاء ، وتصالح الرسول مع أهل مكة ، وكتب كتاب بينهم ، وعاد الرسول ﷺ ، فى عامه هذا إلى المدينة وعند عودته تعلقت به ابنة حمزة ، ولندع الحديث الصحيح يحدثنا « .. فخرج النبى ﷺ ، فتبعته ابنة حمزة ، تنادى : ياعم ياعم ، فتناولها على فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة عليها السلام : دونك ابنة عمك حملتها . فأختصم فيها على وزيد وجعفر . فقال على : أنا أخذتها ، وهى بنت عمى ، وقال جعفر : هى ابنة عمى ، وخالتها تحتى ، وقال زيد : بنت أخى . فقضى بها النبى ﷺ : لخالتها ، وقال: الخالة بمنزلة الأم وقال لعلى : أنت منى وأنا منك . وقال لجعفر : اشبهت خلقى وخلقى .وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا . . . » الحديث[1] .

هـذا هو الإسلام يادنيا الهوى . . وإن شاء الله تعالى سوف يأتى مايشبه ذلك عند الحديث عن السيدة مريم أم سيدنا عيسى عليه السلام .

---

(١) أخرجه البخارى فى حديث طويل فى كتاب : المغازى ، باب : عمرة القضاء ٤٠٤/٧ عن البراء .

المطلب الثامن

شبهات والرد عليها

إن خصوم الإسلام، وما أكثرهم يتوارثون — جيلا بعد جيل — مآخذ ومطاعن على الإسلام والمسلمين، ويوجهون جام غضبهم، وحقدهم وسهامهم للطعن فى الإسلام ويقللون من شأنه، ومن شأن معتنقيه، ويدبرون ليل نهار بكل أجهزتهم للإجهاز على الإسلام والمسلمين .. ومما يثيرونه فيما نحن بصدده — من حقوق المرأة فى الإسلام — تلك المقولات الظالمة — الآتية — ويقذفونها كشبه فى الوسط الإسلامى، لعلها تأخذ مكانها بين المسلمين .. ومن ثم يتردد بعض المسلمين، وبخاصة بعض المسلمات منهم فى الأخذ بشريعة الإسلام، بعد الأخذ والرد، والشد والجذب، وتصبح هناك بلبلة بينهم جميعا .. وهذا ما يرمى إليه الخصوم، وتلك بغية أعداء الإسلام «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

وأسوق هنا بعضا من هذه الشبهات ونرد عليها، حتى تطمئن القلوب، ويعلم المسلمون والمسلمات أن دينهم خير الأديان، وشريعتهم أكمل الشرائع، وتقف أقدامهم على أرض صلبة، ورؤوسهم مرفوعة فى عنان السماء، ويلقون بشبهات الأعداء، ومن سار فى فلكهم فى مذابل الخصوم النتنة، ويموتون كمدا وكبتا بما يثيرونه.

الشبهة الأولى : ميراث المرأة :

أثار خصوم الإسلام، ومن لهث خلفهم. أن الإسلام أعطى المرأة فى الميراث نصف نصيب الرجل، وهذا ظلم وعدوان على المرأة وينبغى للقارىء الكريم، وكذا القارئة الكريمة استحضار ما ذكرناه فى الفصل الأول من حالة المرأة فى العصور الجاهلية، وبخاصة من ناحية الميراث،

ونذكر فقط ، أن المرأة كانت لاترث ، بل كانت تورث مثلها مثل الماشية والمتاع ... وعندما أشرق نور الإسلام ، أعطى لكل ذى حق حقه ، ومن ذلك قرر للرجال والنساء حقا فى الميراث من حيث الأصل والمبدأ فقال : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا »[١] لاحظ ألفاظ الآية الكريمة ، وهى تقرر المبدأ العام فى حق النساء فى الميراث ، وتأكيد ذلك ، وإشارتها لم كان سائدا فى العصور الجاهلية من عدم توريثها شيئا قال ابن كثير (كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار ، ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئا . فأنزل الله تعالى « للرجال نصيب » الآية ، أى الجميع فيه سواء فى حكم الله تعالى يستوون فى أصل الوراثة ، وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله تعالى لكل منهم بما يدلى به إلى الميت من قرابة ، أوزوجة ، أو ولاء ، فإنه لحمة كلحمة)[٢] .

فالإسلام هو الذى رفع الغبن والظلم عن المرأة ، وأعطاها الحق فى الميراث من حيث المبدأ والأصل . ثم جاءت الآيات بعد ذلك تفصل هذا الميراث وتحدد مقاديره .. وصحيح أن المرأة فى الغالب تأخذ النصف من نصيب الرجل[٣] .. إلا أن هذا ليس غبنا ، ولا ظلما لها ، كما يدعى

---

(١) سورة النساء الآية ٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ١/٤٥٢ ، وانظر : أسباب النزول السيوطى ص ٨٣ ، المكتبة التوفيقية .

(٣) توجد حالات فى الميراث تسوى فيها نصيب الأنثى بنصيب الذكر مثل : حالة وجود أبوين مع ابن أو مع بنتين فصاعدا ، فإن نصيب الأم يكون مساويا لنصيب الأب فكلاهما يأخذ السدس ، وهذا واضح من قوله تعالى : « ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد » سورة النساء آية ١١ . وكما فى حالة وجود إخوة وأخوات لأم ، فإنهم ــ

الخصوم وذلك لأن الأعباء المادية جميعها ملقاه على عاتق الرجل دون المرأة سواء أكانت بنتا أم زوجة حتى فى حالة طلاقها .. يقول الدكتور عبد الواحد وافى (خفض الإسلام للمرأة فى هذه الشئون — الأعباء الإقتصادية — جناح الرحمة والحدب والرعاية . وكفل لها من أسباب الرزق ما يصونها عن التبذل ، ويحميها من شرور الكدح فى الحياة ، فأعفاها من كافة أعباء المعيشة ، والقاها جميعها على كاهل الرجل)[1] .

فإذا كانت بنتا فنفقتها واجبة على الرجل سواء أكان من أصولها ، أم من فروعها أم من اقربائها ، حسب ترتيب الفقه الإسلامى لهم فى حكم وجوب النفقة . وفى مرحلة الأعداد لزواجها ، فقد الزمت الشريعة الإسلامية الرجل — الزوج — مجموعة من الواجبات سواء من ناحية الصداق أم إعداد منزل الزوجية ، ولم تلزم الفتاة أو أهلها أى عبء من هذا القبيل ، لا على سبيل الوجوب ، وعلى حتى على سبيل الندب ، وتحتفظ المرأة فى الشريعة الإسلامية من الناحية الإقتصادية بجميع حقوقها والوضع نفسه إذا انتقلت إلى بيت الزوجية ، فقد أعفت الشريعة الزوجة من جميع أعباء المعيشة ، وألقتها جميعا على كاهل الزوج، واحتفظت بشخصيتها المدنية

= جميعا يستحقون ثلث التركة ويقسم عليهم بالتساوى ، لافرق بين الذكور والإناث ، وهذا مالم يحجبهم حاجب ، وهذا فى قوله تعالى : «وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » سورة النساء آية ١٢ انظر : المرأة فى الإسلام د / على عبد الواحد وافى ص ٥١ ، دار نهضة مصر ، ط ثانية ، وتوجد حالات أخرى نظير ذلك كثيرة .

(١) المرجع السابق ص٤٨ .

وثروتها الخاصة ، ولا تكلف أي عبء في نفقات الأسرة . مهما كانت موسرة .. وحتى في حالة انفصال الزوجة بالطلاق .. فيتحمل الزوج جميع الأعباء المادية ، مثل مؤخر الصداق ، ونفقتها من : مأكل ومشرب وملبس ومسكن ما كانت في العدة ، بل وعليه نفقه أولاده ، وأجور حضانتهم ورضاعتهم وتربيتهم بعد ذلك[1] .

فأي غبن وقع على المرأة في هذا ، فالرجل ينفق من نصيبه ، وعليه تبعات جسام ، والمرأة ليس عليها من نصيبها أي أعباء ، بل تستطيع أن تنمى نصيبها فيزيد .

يقول مبشر الطرازى (وقد جعل الإسلام حق البنت من ميراث الأب نصف حق الإبن حيث يقول القرآن المجيد « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » والحكمة في جعل الميراث « للذكر مثل حظ الأنثيين » أي للبنت نصف حق الإبن . أن الإبن من شأنه أن يتزوج ، أن يدفع مهرا من نصيبه في الميراث ، وأنه يقوم بنفقة زوجته ، وانفاق أولادهما ، وعلى ذمته ماتتطلبه الحياة الزوجية ، أما البنت فإنها تأخذ مهرا من زوجها — فضلا عن ميراثها — ويظهر من هذا أن مال الإبن عليه تبعات ، وأنه مهدد بالنقص ، أما مال البنت فإنه محفوظ وليس عليه تبعات ، مع أن في وسعها أن تنمى مالها بالتجارة وغيرها مما فيه نفع شرعي لها لا يشاركها فيه أحد)[2] .

وعلى هذا فلا غبن ولا ظلم على الأنثى ، بل هو قمة العدل . والتوازن بين الذكر

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) الإسلام الدين الفطرى ٢ / ١١٨ .

والأنثى فى هذا الشأن .. هذا فى الميراث ، لكن لو أراد الأب أعطاء عطية أو هبة لولد من أولاده ، فينبغى أن يسوى بين أولاده جميعا ذكورا وإناثا ، وقد ورد فى الصحيح باب الهبة للولد « وإذا أعطى بعض ولده شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم ويعطى الآخر مثله ، ولا يشهد عليه ، وقال النبى وسلم : اعدلوا بين أولادكم فى العطية ، وساق البخارى وغيره حديث النعمان بن بشير « عن عامر قال : سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنهما وهو على المنبر يقول : أعطانى أبى عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك ياسول الله . فقال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ .

قال : لا ، قال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . قال : فرجع فرد عطية »[1] .

وتوجد روايات أخرى لهذا الحديث تحذر من تفضيل أحد الأولاد عن الآخرين .

جاء فى الفتح قول ابن حجر (فى رواية أبى حيان فى الشهادات : لاتشهدنى على جور ، ومثله لمسلم .. وفى أخرى لأبى حيان : فقال : فلا تشهدنى إذا ، فإنى لا أشهد على جور وليشهد على هذا غير .. وفى حديث

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : الهبة ٥ / ١٦٣ ، ورواه مالك فى الموطأ فى كتاب : الأقضية ، باب : مالا يجوز من النحل ٤ / ٥٢ ، دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م . ط أولى .

جابر : فليس يصلح هذا ، وإنى لا أشهد إلا على حق .. وفى رواية المغيرة عند مسلم : اعدلوا بين أولادكم فى النحل ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر .. وعند أحمد : أن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم ، فلا تشهدنى على جور ، أيسرك أن يكونوا إليك فى البر سواء ، قال : بلى ، قال : فلا إذا . ولأبى داود .. أن لهم عليك من الحق : أن تعدل بينهم ، كما أن لك عليهم من الحق أن يبروك)[١] .

وألفاظ الحديث برواياته الأخرى تفيد بل تؤكد التسوية فى العطية للأولاد . بل أوجب التسوية كثير من العلماء، منهم الإمام البخارى وطاوس والثورى وأحمد واسحاق ، وقال به بعض المالكية ، والمشهور عند هؤلاء أنها باطلة .

وقال أبو يوسف تجب التسوية إن قصد بالتفضيل الإضرار ، واحتجوا أيضاً بأنها مقدمة لواجب ، لأن قطع الرحم والعقوق محرمان ، فالمؤدى إليها حرام والتفضيل يؤدى إليهما .. وعند أحمد وبعضهم يجوز التفاضل لسبب كأن يحتاج الولد لزمانته أو دينه أو نحو ذلك دون الباقين[٢] .

وبعد أن قرر الفقهاء الحكم فى تسوية العطية أو الهبة بين الأولاد فى النحل أو الهبة أو العطية ، ذهبوا يقررون الحكم فى تسوية العطية أو الهبة أو النحلة بين الذكر والأنثى — وهذا ما نرمى إليه فى هذه الجزئية . فقال

---

(١) فتح البارى ٥ / ١٦٣ . وانظر : شرح الزرقانى على الموطأ ٤ / ٥٣ .

(٢) شرح الزرقانى على الموطأ ٥ / ٥٤ .

محمد بن الحسن وأحمد واسحاق وبعض المالكية والشافعية : العدل أن يعطى الذكر حظين كالميراث ، لأنه حظ الأنثى لو أبقاه الواهب حتى مات . وقال غيرهم : لافرق بين الذكر والأنثى .

وفارق الإرث بأن الوارث راض بما فرض الله له — وسبق منذ قليل بيان العدل فى ذلك — بخلاف هذا ، وبأن الذكر والأنثى إنما يختلفان فى الميراث بالعصوبة . أما الرحم المحددة فهما فيها سواء كالإخوة الأخوات من الأم .. وظاهر الأمر : بالتسوية لهذا القول ، واستأنسوا له بحديث ابن عباس رفعه « سووا بين أولادكم فى العطية . فلو كانت مفضلا أحد الفضلت النساء» أخرجه سعيدبن منصور والبيهقى من طريقة واسناده حسن[1] .

أين إذن الغبن أو الظلم أيها الناعقون ، وأيتها الناعقات وراء كل ناعق من السفهاء والسفيهات ، وأنا اكتب هذه السطور قرأت أن امرأة مسلمة أو هكذا تدعى الإسلام ، تهاجم الإسلام ، بكل وقاحة ، وتقول إن الإسلام ظلم المرأة عندما فرض لها نصف نصيب الرجل ، وتذهب إلى أبعد مدى فى السفه ، والانحدار إلى دركات الجهل والغباء وتقول بالحرف الواحد بعد أن تهجمت على الإسلام وعلمائه ، واستسلمت لمقولات الخصوم ، وأصبحت ذيلا من ذيولهم القذرة العفنة .. استخدموها وأمثالها فى الطعن على الإسلام ، وأصبحت بوقا من أبواقه تقول بالحرف الواحد (إن نظام الميراث فى الإسلام يجب أن يساوى بين المرأة والرجل ، لأن المرأة اليوم تعمل ، وتحقق عائدا إقتصاديا كالرجل تماما ..وأوصت أبناءها

---

(١) انظر : المرجع السابق ٥ / ٥٤ ، وانظر : فتح البـــارى ٥ / ١٩٣ .

بتقسيم الميراث بعد وفاتها بالمساواة بين الولد والبنت ، وليس كما ينص القرآن)[١] .

ونذكر فقط هذه وأمثالها من فلول التغريب ودعاته بما سبق : أن المرأة إذا كانت اليوم تعمل ، وتحقق عائدا إقتصاديا كالرجل . فإن الإسلام قد احتفظ لها بكل ماتملك وليس عليها أدنى مسئولية مادية مما تملك ، ومعافاه من كل ما تحتاجه الأسرة ، بل يجب لها المهر والسكن والنفقة والكسوة من الرجل ، حتى لو كانت من ذوات اليسار ، بل تستطيع أن تنمى مالها . . هل تعلم هذا زليخة وأقرانها !!! أم هو الجهل ، والجرى وراء دعاوى باطله حبا فى الظهور والسمعة ! ! وبناء صيت حتى ولو على حساب الطعن فى عقيدتها أم هى الإصابة بالمرض الفتاك ، وهو التلوث الفكرى ، والهوث واللهث وراء دعاوى التقدم المزيفة .

إن المرأة الغربية لو فعلت ذلك فى عقيدتها نلتمس لها عذرا ، لأن عقيدتها بما فيها من تشريعات فيها غبن للمرأة .

أما أنت يازليخه ، فلماذا تقولين هذا ؟ اتبيعين آخرتك بدنياك ، أم تبعين دينك بحفنة من دارهم تم الإتفاق عليها من المؤسسة المشبوهة التى تحدثت فيها بمثل هذه الوقاحة . أم أنك تجهلين النظام الإسلامى وبخاصة فى الميراث . . إن المرأة الغربية لاتقول عن عقيدتها هكذا كما تقولين عن عقيدتك .. وما باعت ولاطعنت فى تشريعاتها كما طعنت أنت فى دينك عودى إلى ربك ، واستغفرى لذنبك ، لا أقول : إنك كنت من الخاطئين ، بل إنك بهذا كنت من الكافرين ، فقد تجاوزت حدك عندما سكت دهرا ونطقت كفرا .

---

(١) جريدة ، عقيدتى ، ٢٤ رجب ١٤٢٠هـ / ٦ / ١١ / ١٩٩٩م ، السنة السابعة العدد / ٣٦٢ ، واسم هذه السفيهة : زليخة أبو ريشة .

الشبهة الثانية: ضرب المرأة

لا ينكر من لديه مسحة عقل، الآثار الباهرة، والنتائج المأثورة التى تفرزها قاعدة أصيلة، وهى: الجزاء على الأفعال والأقوال، سواء أكان الجزاء ثواباً أم عقاباً، يشترك فى ذلك الرجال والنساء، والفتى والفتاة، والصبى والصبية، والبنت والولد، أو الطفل والطفلة، ولو ترك الناس دون جزاء لسادت الفوضى، وسالت الدماء سيلاً منهمراً لا ينقطع إلا بعد سقوط آخر نقطة دم من آخر إنسان فى هذه الحياة، ولو ترك الناس دون جزاء لخربت البلاد، وعم الطغيان والفساد، وانتشر الظلم، وانتشى الباطل، وقطعت الأواصل والأرحام، وتمزقت الأستار، وهتكت الأعراض.. إلخ والإسلام قرر: فعل الخير كهدف ـ مثلاً ـ وقرر الوسيلة الموصلة للخير، ثم قرر الثواب لهذا الفعل الخيرى الذى نادى به الإسلام، وندب الناس إليه، وبين لهم المناهج والسبل الشريفة الموصلة إليه، وقرر أن من يخالف المقاصد النبيلة فى الشريعة، ويتبع طرق الغواية والهوى والشيطان، والتقليد الأعمى، وهوى النفس الأمارة بالسوء، إن من يتبع ذلك، ولم يستجب لشرع الله تعالى فإن الإسلام قد قرر: العقاب المحدد لكل ذنب أو خطيئة أو تمرد أو عصيان..

وتوجد قاعدة فى إسلامنا الأغر مسألة الجزاء سواء أكان ثواباً أم عقاباً.. وهى محاولة بث الهمة، وإعطاء منشطات، وقوة دفع للأمام، وللترقى لكل من يسير فى طريق الصلاح والفلاح... وفى الوقت ذاته يحاول بكل جهد ونشاط وبكل السبل، قطع الطريق، وفى أى مرحلة من مراحل ارتكاب الذنب أو الخطيئة أو الجريمة، آملاً وراجياً أن لا يتم وقوع الذنب أو الخطأ أو الجريمة، ويكون العقاب هنا ـ فى أول طريق الغواية أو وسط الطريق أو حتى قبل نهايته، يكون العقاب أخف على حسب الخطوات التى خطاها فى طريق

الهوى، وفى أى مرحلة يعود المذنب إلى ساحة الإسلام السمحة والرحبة، يتلقاه بالقبول والرضا والفرح.. هذه أمور كلها مسلم بها فى الإسلام، ومدلل عليها بكثير من الأدلة والبراهين، لست الآن فى محل ذكرها..

ومسألة ضرب المرأة، لا تخرج عما سبق، فلكل محسن ثوابه، ولكل مذنب عقابه، رجلاً كان أو امرأة.. وقد تعمدت أن اذكر عنوان هذه الشبهة، ضرب المرأة، وكان فى الإمكان أن اجعل عنوانها مثلاً: تأديب المرأة أو تهذيب المرأة، أو إصلاح المرأة ولكن تعمدت هذا لأن القرآن الكريم والسنة المطهرة ذكرا الضرب وخصوم الإسلام، حاولوا جاهدين إثارة هذه المسألة، وولغوا فى إناء الرذيلة، وترديد الأقاويل، وإثارة الشبهات حول التشريعات الإسلامية، لصد الناس عن دين الله تعالى، لكن ما حقيقة هذا؟ وما القول السديد؟ والرأى الرشيد فى مسألة ضرب الزوجة؟ وما حدود الضرب؟ ومتى يكون؟ وهل هو الأصل أم هو عارض؟ وهل هو أول طريق المعالجة؟ أم آخرها؟ وماذا بعد الضرب؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول:

إن أساس الحياة الزوجية: السكن والمودة والرحمة والمعروف ـ كما هو معروف ـ فإذا حدث ما يعكر الصفو، سواء من أخلاق الزوجة، أو طارئ من خارج نطاق الأسرة، إذا حدث ذلك فعلى الزوج ـ بما أعطاه الله تعالى من عقل وحكمة ومسئولية القوامة على الزوج أن يتخذ من التدابير الشرعية، ما يقوم إعوجاج أسرته وبيته، وطريقه فى ذلك ما نص عليه القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ، فهذا هو السبيل للإصلاح. يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ

فعظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾(١).

فالآية الكريمة جعلت القوامة للرجال، وذلك للفروق الجوهرية سواء البدنية أم العاطفية بين الرجل والمرأة.. ولا يكابر فى هذه الفروق إلا مكابر أو مكابرة، أو جاحة أو جاحدة.. وفى الآية الكريمة أيضاً، نوع من النساء: صالحات قانتات حافظات للغيب.. ولا شك أن هذا النوع من النساء يجعل البيت بستاناً، فيه من الرياحين والورود ما يجعله واحة رضا وهناء وسعادة، وطمأنية واستقرار وهدوء..

كما آن فى الآية الكريمة كذلك نوع من النساء كثيراً ما يتمردن على طاعة الزوج، ويتخذن من الوسائل ما يضايق الرجل، ورويداً رويداً يدب الخلاف والشقاق، وينقلب البيت إلى ميدان حرب، والكل فيها خاسر، الزوج والزوجة والأولاد.. والإسلام لم يترك مثل هذه الأسرة حتى تنفصم عراها.. بل عند أول بادرة للنشوز يتدخل ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ فبمجرد الخوف يتدخل الإسلام لرأب الصدع منذ اللحظة الأولى، ولكن كيف؟

فى البداية يجلس الرجل مع زوجته، دون التدخل من أحد - مهما كان - يعظها ويذكرها، وينبهها للواجب الذى عليها نحوه من الطاعة فى غير معصية الله تعالى، ويلفت نظرها إلى ما يلحقها من الذنب وغضب الرب لهذا التمرد الذى لا مبرر له.. فإذا انتهت، وعادت لسابق حياتها من سكن ومودة ورحمة ومعروف. فقد انتهت المسألة، ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ قال ابن كثير (أى إذا أطاعت المرأة زوجها فى جميع ما يريده منها مما أباحه الله له

---

(١) النساء: ٣٤.

فيها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس ضربها ولا هجرانها، وقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً ﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلى الكبير وليهن، وهو منتقم ممن ظلمهن، وبغى عليهن)[١] هذه المرحلة الأولى. فإن تمادت الزوجة فى عصيانها، ولم تستجب لوعظ زوجها، وتحذيره إياها من مغبة عصانه.. فله بعد ذلك كما أدبه الإسلام أن ينتقل إلى مرحلة ثانية وهى الهجر فى المضجع أى فى الفراش، لا فى الكلام، لأن هجر الكلام لا يجوز أكثر ـ لأى مسلم أو مسلمة ـ فوق ثلاثة أيام.. والزوجة داخلة فى هذه المدة.. فالمقصود بالهجر هنا: هجر الوطء فقط لا غير.. فإن عادت لرشدها، فقد انتهت المسألة ونكرر قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً ﴾، وكل هذا يتم داخل البيت، ولا يعلم بذلك أحداً، حفاظاً على حرمة الأسرة، وأسرارها.. هذه مرحلة ثانية للإصلاح.. فإن تمادت الزوجة بعد ذلك أيضاً فتأتى المرحلة الثالثة: وهى التى خاض فيها أعداء الإسلام وهى ضرب الزوجة، وضرب الزوجة قيدته سنة رسول الله ﷺ بعدة أمور منها:

أولاً: أن رسول الله ﷺ، وهو المثل والقدوة ما ضرب إمرأة قط «فعن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً»[٢] فالرسول ﷺ لم يستخدم الضرب أبداً كعلاج للمرأة..

ثانياً: الذى يضرب النساء ليس من خيار الرجال، بل هو من الصنف اللئيم «فما أهانهن إلا لئيم» وقد جاء حديث فى ذلك «... لا تضربن إماء الله،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٩٢/١.
(٢) رواه ابن ماجة فى سننه، كتاب النكاح، باب: ضرب النساء ٦٣٨/١، دار إحياء التراث العربى.

فجاء عمر فقال: يارسول الله، قد ذئر[١] النساء على أزواجهن، فأمر بضربهن، فطاف بآل محمد ﷺ طائف نساء كثير، فلما أصبح قال: لقد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة، كل امرأة تشتكى زوجها، فلا تجدون أولئك خياركم»[٢]. فالأصل إذن عدم الضرب..

ثالثاً: قيد الضرب بأنه ضرب غير مبرِّح، أى ضرب يسير، قال عنه ابن عباس: ضرب بالسواك، بحيث لا يحصل منه النفور. وقد بوب البخارى باباً فى صحيحه، وجعل عنوانه هكذا (باب ما يكره من ضرب النساء، وقول الله تعالى ﴿ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ أى ضرباً غير مبرح)[٣]. فالمقصود إذا بالضرب التأديب لا التعذيب.

رابعاً: وإذا كان ولابد من الضرب كعلاج أخير فى الإصلاح الأسرى داخل الأسرة، فلا يكسر عظماً، ولا يدمى دماً، ويتجنب الوجه بوجه خاص، لأنه مجمع الجمال فى الإنسان، وبه جل الحواس، ويعبر به عن العزة وكرامة الإنسان إلخ.

وقد ورد النهى عن ذلك «فعن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رجلاً سأل النبى ﷺ. ما حق المرأة على الزوج قال: أن يطعمها إذا طعم، وأن يكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا فى البيت»[٤] فضرب الوجه منهى عنه إسلامياً.. فإذا انتهت الزوجة، وعادت لسابق حياة السكن والمودة

---

(١) من معانى: ذئر: الغضب، والنفور، والتقلب، والأنفة، والإجتراء، والنشور، وتغير الخلق، والإستباب، انظر: لسان العرب ابن منظور ١٤٨١/٣، وفتح البارى ٢٤٩/٩.

(٢) رواه ابن ماجة فى النكاح، باب: ضرب النساء ٦٣٨/١.

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢٤٨/٩.

(٤) رواه ابن ماجة فى كتاب النكاح، باب: حق المرأة على الزوج ٥٩٣/١.

والرحمة والمعروف، فقد انتهت المسألة، ونكرر مرة ثالثة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ فكان الضرب بهذه القيود للإصلاح، لا للإفساد، ولقوام الأسرة، لا لتمزيقها.. ونود التأكيد هنا أن الزوج يجب عليه أن لا ينتقل من مرحلة إلى أخرى من مراحل التهذيب والتأديب إلا بعد أن يبذل قصارى جهده فى المرحلة السابقة، ويلاحظ الترتيب والترقى فى الآية.. قال فى الفتح (.. ومحل ذلك آن يضربها تأديباً إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته، فإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل، ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل، لما فى وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة فى الزوجية، إلا إذا كان فى أمر يتعلق بمعصية الله)(١). وبعد كل هذا لنا أن نسأل الزوجة.. هل هذا المنهاج الإسلامى فى إصلاح حال بيتك وأسرتك، وقيام الحياة الزوجية تظللها رايات المحبة والصفاء وتحمل المسئولية فى تربية أولادك بين أحضانك وذلك بشىء من التأديب عند شرودك أو إتباع الهوى والشيطان، أهذا خير أم طلب الفراق والإنفصال، وعيشك بدون عائل، وتشريد أطفالك، أيهما أقوم قيلاً، وأرشد سبيلاً!! وقد تناول هذا شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت فقال (.. هل من كرامة الرجل أن يهرع إلى طلب محاكمة زوجته كلما انحرفت أو خالفت، أو حاولت أن تنحرف أو تخالف: وجدير بالمرأة العاقلة أن تجيب على هذا السؤال. أتقبل أن يهرعع زوجها كلما وقعت فى شىء من المخالفة إلى أبيها، أو إلى الحاكم، وينشر ثوبها أمامه؟ أتقبل أن تترك تسترسل فتهدم بيتها وتشرد أطفالها، أم تقبل وهى هادئة مطمئنة أن ترد إلى رشدها بشىء من التأديب

---

(١) فتح البارى ابن حجر ٩/٢٤٩.

المادى، الذى لا يتجاوز المألوف فى تربيتها لأبنائها؟ أنا ــ الشيخ شلتوت ـ لا أشك فى أن جواب العاقلة فى حال هدوئها.. سيكون واضحاً فى اختيار ما اختار الله تعالى)(١). إن الله تبارك وتعالى هو الذى خلق العباد، وهو جل ذكره أعلم بما يصلحهم فدلهم عليه، كما أنه تبارك وتعالى أعلم بما يفسدهم فحذرهم منه..

﴿ ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(٢) والواجب على المسلمين جميعاً التسليم والإنقياد لمنهج الله تعالى، بكل حب ورضا. يقول جل ذكره ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(٣). ويقول جل فى علاه ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾(٤). فاختيار الله تعالى أوفقْ، وشريعته أصلح، وسبيله أقوم، وثمرة الطاعة أفلح وأطيب وأنقى وأطهر..

لكن ماذا نقول لقلة من بنى أمتنا ابتلينا بهم سواء ثلة من رجالها أم ثلة من نسائها، خانوا أمتهم، ونزعوا برقع الحيا، وكشفوا عن وجههم الكالح، وسلقونا بألسنتهم الحداد، بما لقنهم أعداؤنا من تردد، وتشكيك فى اختيار خالقنا وذلك لمآرب فى نفوسهم، ومرض فى عقولهم وتفكيرهم، وحقد وحسد كامن

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص ١٥٤ وانظر كتاب: المرأة فى الإسلام ص ٧٦، وعلى عبدالواحد وافى، نهضة مصر، ط ثانية ١٩٧٩م.
(٢) الملك: ١٤.
(٣) النور: ٥١، ٥٢.
(٤) الأحزاب: ٣٦.

ومستقر فى صدورهم، وغشاوات طمست على أبصارهم، وذلك لمآرب يعرفها جميعنا..

وهو محاولة سلخنا من عقيدتنا وتشريعاتنا، وأخلاقنا، أو على الأقل تهميش هذا مؤقتاً، ثم تذويبنا فى فكر ليس فكرنا، وفى أرض ليست أرضنا، ومن ثم انتزاعنا من أوطاننا، وبلادنا، وسلب خيرتنا، ووضعنا خدم وعبيد لعدونا... هل يعى كل هذه المخاطر هذه القلة ؟!

وعلى كل حال، إذا كانت هذه القلة شغوفة باللهث وراء كل غريب وعجيب، وإذا كانت شريعتنا لا تروقهم، وشريعة أسيادهم ومستحمريهم تروقهم، فما قولهم فى الأخبار التى تتوالى من عندهم عن ضرب الأزواج لزوجاتهم..

وليس هناك أى ضابط لهذا، وعلى سبيل المثال: جاء فى جريدة الأخبار المصرية هذا النبأ، وأنقله بفصه ونصه، (الخناقات الزوجية على الطريقة الأمريكية) وتحت هذا العنوان (كشفت دراسة جديدة عن حوادث الخناقات الزوجية فى أمريكا، عن مواقف طريفة فى أسلوب مثل هذه الخناقات. أشارت الدراسة التى أجرتها مجلة التايم الأمريكية إلى أن هناك حوالى ٩ ملايين زوجة أمريكية تتعرض للضرب من أزواجهن كل عام!! وأن عدد آخر يتراوح بين ٢٠٠٠ و٤٠٠٠ سيدة يتعرضن لضرب يفضى إلى الموت..)[١].

هذا فى أمريكا بلد الحرية والديمقراطية، وتقود العالم لإعطاء المرأة حقها!!!

فرنسا: بلد النور والعلوم والإخاء والحرية ـ كما يقولون ـ صدر كتاب فى

---

(١) جريدة الأخبار ١٦ ذو الحجة ١٤٠٣هـ/٢٣ سبتمبر ١٩٨٣م.

باريس كتبته إحدى ضحايا التعذيب والتنكيل من قبل الرجل ضد المرأة: لقد أكدت مؤلفة الكتاب استناداً إلى الإحصائيات الرسمية لدى وزارة الداخلية الفرنسية أن هناك أكثر من ٢ مليون فرنسية يتعرضن للضرب سنوياً، والرقم مخيف حقيقة، والأخطر من هذا الرقم أن الإعتداء على المرأة بالضرب المبرح والمتكرر الذى يتراوح ما بين الضرب الخفيف وكسر العظام والتشويه المتعمد الذى يسبب العاهات الأبدية... والأسباب لهذا كما تقول الجريدة: هناك الرجل الذى يعتدى على زوجته بالضرب المبرح لا لشىء إلا أنها تغار عليه وتحاول منعه من لقاء عشيقته، وهناك الرجل الذى لا يفيق من الخمر، وعندما تحاول زوجته انقاذه ومنعه من المزيد من السقوط فإنه يثور عليها ويضربها بأى شىء يكون قريباً منه..

وهناك المرأة التى تشكو من قلة مصروف البيت فى الوقت الذى ينفق فيه الزوج كل دخله على ملذاته فيكون نصيبها كسر ذراعها أو تشويه وجهها بنصل السكين الحاد. وهناك الزوج الذى لا وظيفة له ولا يتحرك داخل شقته إلا لتحريك جسمه وعضلاته فى ضرب زوجته أو ابنته بلا أى سبب أو خطأ(١).

وتحت يدى أخبار كثيرة، وإحصائيات متعددة عن وضع المرأة فى الغرب ولولا خوف الإطالة لسجلتها هنا، ولكن أذكر خبراً واحداً هنا حتى تتدبر المرأة المسلمة وتتريث قبل أن تمضى قدماً فى اللهث وراء الشعارات المضللة والزائفة، ولتحمد الله عز وجل، وتثنى على رسوله محمد ﷺ بما أعطاها من حقوقها.. ثم تنطلق حرة كريمة لترد كيد الكائدين، وتتحمل المسئولية فى نشر

---

(١) جريدة آخبار الحوادث ١٩ شعبان ١٤١٣هـ ١١/٢/١٩٩٣م.

تعاليم الإسلام وبدلاً من أن تكون مستوردة، فلديها مخزون هائل تصدره.. فتحت عنوان: الإحصائيات الغربية تؤكد: تحرير المرأة فى الغرب أسطورة تكذبها الإنتهاكات التى تتعرض لها، قالت جريدة صوت الأزهر (كتاب حياة مهانة) أسطورة تحرير المرأة لكاتبة أمريكية مشهورة يستعرض بعض هذه الإحصائيات ومنها أن الأجر (الراتب الشهرى) للمرأة فى أمريكا لا يزيد عن نسبة ٦٤٪ من أجر الرجل عن العمل المؤدى نفسه، وفى السويد لا تبلغ النسبة إلا ٨١٪ فقط من أجر الرجل..

أما بالنسبة لحوادث الإغتصاب التى نتجت عن حرية المرأة أو التى تقع فى البلاد التى تزعم أن المرأة بها تنال جميع حقوقها فقد سجلت التقارير: أن فى أمريكا نسبة إمكان اغتصاب المرأة من واحدة إلى خمس، والتقديرات المحافظة: من واحدة إلى سبع، أى أنه على أفضل تقدير فإن واحدة من كل سبع نساء يتعرضن للإغتصاب، وقد كان عدد المغتصبات اللاتى سجلن حوادث اغتصاب عند الشرطة فى عام ١٩٩٦م ٩٠٤٣٠ حالة، أما اللائى لم يسجلن فيقدرون بحوالى ٣١٠,٠٠٠ حالة، وسبب عدم الشكوى اليأس من إمكانية مساعدة الشرطة لهن للتعرف على الجانى، وفى كندا سجلت ٢٠٥٣٠ حالة اغتصاب، وليس هناك إحصاء لغير المسجلين، ويوجد فى كندا ١٥٠ مركزاً لمساعدة المغتصبات، وفى استراليا ٧٥ مركزاً، وفى نيوزيلاندا ٦٦ مركزاً، وفى إسرائيل سبعة مراكز، أما عن قتل النساء فى أمريكا، فإنه يقتل كل يوم عشر نساء من قِبل الزوج أو الصديق، من هذه الحالات ٧٥٪ يتم القتل بعد أن تترك المرأة صديقها فينتقم منها بالقتل أو تطلب الطلاق من زوجها أو تعصى زوجها، وفى روسيا عام ١٩٩٥م نصف حالات القتل فى روسيا تمت ضد النساء من قبل أزواجهن أو أصدقائهن، وفى عام ١٩٩٣م قتل ١٤٠٠٠

امرأة، وجرح ٥٤٠٠٠ جراحات شديدة وحرجة، أما الملاجئ التى خصصت للنساء المضروبات من أزواجهن، وهن اللاتى لا يجدن ملجأ عند الأهل أو الأقارب فيوجد فى الولايات المتحدة ١٤٠٠ ملجأ، وفى كندا ٤٠٠ ملجأ، وفى ألمانيا ٣٢٥ ملجأ، وفى بريطانيا ٣٠٠ ملجأ، وفى استراليا ١٧٠، وفى نيوزيلاندا ٥٣، وفى هولندا ٤٠، وفى ايرلندا ١٠، وفى اليابان ٥ ملاجىء)(١)، ولاحظ الإحصائية فى الخبر الأول والإحصائية فى الخبر الثانى تجد آن الإنحطاط مستمر ومتزايد فى ضرب الزوجات وقتلهن، فهل ترغبى أختى المسلمة فى هذا ؟!

أليس شعار تحرير المرأة أو حقوق المرأة خاص بالمرأة الغربية!! فلماذا إذا ينقلون هذا العفن إلى بلادنا، ويستغلونه أسوأ استغلال فى التدخل فى شئوننا ويحولونه إلى استثمار سياسى واقتصادى واجتماعى.. أليست هذه نفايات سامة وقاتلة، وألغام يريدون تفجيرها على أرض بلاد المسلمين!!

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢).

وأود التنبيه على أن المنهج الإسلامى فى معاملة الزوجة يؤدى فى النهاية إلى سعادة أفراد الأسرة كلها، الزوج والزوجة والأقارب، والأولاد، واستقرار الأسرة، استقرار للمجتمع وسعادته هذا فى الدنيا، أما فى الآخرة فطاعة أحكام الله تعالى ينال بها المسلم الفلاح والفوز والرضوان، ويتقى بها غضب الرحمان، وعذاب الجبار فى الدنيا والآخرة. يبقى أمر آخر وهو فى غاية الأهمية، ومنه نؤخذ، ويتسلل الخصوم من هذه الثغرة للكيد للإسلام، وهو

---

(١) حريدة صوت الآزهر العدد ٢٥٨، ص ١٣.

(٢) المائدة: ٥٠.

عدم تطبيق كثير من الرجال المسلمين لهذا المنهج ـ وبخاصة فى مسألة ضرب الزوجة ـ فالحكم الصحيح والنزيه يؤخذ على من لم يطبق، ولا يؤخذ على المنهج أو التشريع..

ولقد كان سلفنا الصالح فى قمة السمو والطاعة لأحكام الله تبارك وتعالى.. ومثلاً رائعاً فى تطبيق المنهج الإسلامى فى كل جزئية من جزئياته، وبخاصة ما نحن بصدده..

نموذجان:

ليس هناك فى دنيا الأمومة أو الأبوية أرحم، ولا أرق، ولا أحرص على ابنته من الوالد والوالدة.. فالأب عندما يزوج كريمته ـ ابنته ـ يرجو لها السعادة، وراحة البال، وأن تعيش مع زوجها حياة مستقرة، وهنيئة، ترفرف عليها السكن والمودة والرحمة.. وإذا عاشت ابنته مع زوجها هذه الحياة، اطمأن قلبه، وقرة عينه، واستراح باله..

ومثل هذه المشاعر والعواطف تعيشها الأم إن لم يكن أكثر... وإذا حدث ما يعكر صفو حياة ابنتهما أصبح الإثنان ـ الأب والأم ـ فى قلق وحزن وألم.. هذه حقائق لا تحتاج إلى تأكيد، كما أنه لا ينكرها إلا معاند، خرج عن فطرته السوية... وإذا كان ذلك كذلك فإن الوالد والوالدة يفعلان كل ما يؤدى إلى رأب الصدع، واستقرار حياة ابنتهما.. ولا يكون ذلك إلا بتطبيق شرع الله تعالى، وتنفيذ أحكامه.. وبخاصة فى المسألة التى نحن بصددها ـ ضرب الزوجة ـ واذكر هنا نموذجين فقط للإختصار..

النموذج الأول: والد ينصح:

تقول كتب التراجم والتاريخ (قال أبو وداعة[1]: كنت أجالس سعيدين بن

---

(١) زوج بنت سيدنا سعيد بن المسيب، واسمه كثير بن المطلب بن أبى وداعة، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبى ٤/١٣٤، مؤسسة الرسالة.

المسيب ففقدنى أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلى، فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناه؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هلا أحدثت إمرأة غيرها؟ قلت: يرحمك الله، ومن يزوجنى، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: إن أنا فعلت تفعل؟ قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى، وصلى على النبى ﷺ، وزوجنى على درهمين أو قال ثلاثة. قال: فقمت وما أدرى ماأصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائماً، فقدمت عشاى لأفطر، وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من؟ قال: سعيد، ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بداله، فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلىّ فآتيك؟ قال: لا أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمرنى؟ قال: رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هى قائمة خلفه، فى طوله، ثم دفعها فى الباب، ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاءونى وقالوا: ما شأنك؟ فقلت: زوجنى سعيد بن المسيب اليوم ابنته، وقد جاء بها على غفلة، وها هى فى الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمى فجاءت وقالت: وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثاً، ثم دخلت بها، فإذا هى أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج، فمكثت شهراً، لا يأتينى ولا آتيه،ثم أتيته بعد شهر، وهو فى حلقته، فسلمت عليه، فرد على، ولم يكلمنى حتى انفض من بالمسجد، فلما لم يبق غيرى قال: ما حال ذلك الإنسان ـ يقصد ابنته ـ قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شىء فالعصا، فانصرفت إلى

منزلى، وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لإبنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه)[1]. فهذا الرجل حريص على حياة ابنته ويريد لها حياة آمنة مستقرة فإن بدا منها شيء فلا مانع عند الوالد أن يضربها زوجها، الضرب الذى سبق بيانه، حتى لا تتقطع أواصر الأسرة.. أليس قليلاً من الصبر وتعيش الأسرة فى سعادة أفضل من أن تدب الخلافات التافهة وتؤدى إلى الشقاق والطلاق، وضياع الأسرة بأكملها؟!!

النموذج الثانى: الوالدة تنصح:

تذكر كتب التراجم كثيراً من وصايا الأمهات لبناتهن عند الزواج من ذلك ما روى (عن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال: لقينى شريح فقال لى: يا شعبى عليك بنساء بنى تميم، فإنى رأيت لهن عقولاً، فقلت: وما رأيت من عقولهن؟ قال: أقبلت من جنازة ظهراً، فمررت بدورهن، وإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى، فعدلت إليها واستسقيت وما بى من عطش، فقالت لى: أى الشراب أحب إليك؟ قلت: ما تيسر، قالت: ويحك يا جارية ائتيه بلبن، فإنى أظن الرجل غريباً، فقلت للعجوز، وَمَن تكون هذه الجارية منك؟ قالت: هى زينب بنت جرير إحدى نساء بنى حنظلة، قلت: هى فارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوجينيها؟ قالت: إن كنت كفاء، ولم تقل كفؤاً، وهى لغة بنى تميم، فتركتها ومضيت إلى منزلى لأقيل فيها، فامتنعت منى القائلة، فلما صليت الظهر أخذت بيد إخوانى من العرب الأشراف: علقمة، والأسود، والمسيب، ومضيت أريد عمها، فاستقبلنا وقال: ما شأنك أبا أمية، قلت: زينب بنت أخيك، قال: ما

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان ٢/٣٧٥ وما بعدها، دار الثقافة، وانظر: البداية والنهاية ابن كثير ٥/١٣٥، دار الغد، وسير أعلام النبلاء ٤/٢٣٣.

بها عنك رغبة فزوّجنيها، فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت: أى شىء صنعت بنساء بنى تميم، وذكرت غلظ قلوبهن، فقلت أطلقها، ثم قلت: ولكن أدخل بها، فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذلك، فلو شهدتنى يا شعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علىَّ، فقلت: من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين، ويسأل الله تعالى من خيرها، ويتعوذ من شرها، فتوضأت فإذا هى تتوضأ بوضوئى، وصليت فإذا هى تصلى بصلاتى، فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى والبستنى ملحفة قد صبغت بالزعفران، فلما خلا البيت دنوت منها فمددتُ يدى إلى ناصيتها، فقالت: على رسلك أبا أمية، ثم قالت: الحمد لله احمده وآستعينه، وأصلى على محمد وآله، أما بعد: فإنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك، فبين لى ما تحب فآتيه، وماتكره فأجتنبه، فإنه قد كان لك منكح فى قومك، ولى فى قومى مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به، إما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول قولى هذا، واستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين. قال: فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمده واستعينه وأصلى على محمد وآله، أما بعد: فإنك قلت كلاماً إن ثبتِّ عليه يكن ذلك حظاً لى، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا، واكره كذا، وما رأيت من حسنة فابثثيها، وما رأيت من سيئة فاستريها، فقالت: كيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت: ما أحب أن يملنى أصهارى. قالت: فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له؟ ومن تكرهه اكره؟ قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء. قال: فبت معها يا شعبى بأنعم ليلة، ومكثت معى حولاً، لا أرى منها إلا ما أحب. فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، وإذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى، فقلت من

هذه؟ قالوا: فلانة أمَحليلتك، قلت: مرحباً وأهلاً وسهلاً. قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة، وأوفق قرينة، لقد أدبت فأحسنت الأدب، وريضت فأحسنت الرياضة، فجزاك الله خيراً. فقالت: يا أبا أمية إن المرأة لا يرى أسوأ حالاً منها إلا فى حالتين، قلت: وما هما؟ قالت: إذا ولدت غلاماً، أو حظيت عند زوجها. فإن رابك مريب فعليك بالسوط، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء المدللة. فقلت: والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، وريضت فأحسنت الرياضة، قالت: كيف تحب أن يزورك أصهارك؟ قلت: ما شاءوا، فكانت تأتينى فى رأس كل حول توصينى بتلك الوصية، فمكثت معى يا شعبى عشرين سنة لم أعب عليها شيء)(١).

هل هذه الحياة الطيبة السعيدة بهذه الوصايا الغالية من أم لزوج ابنتها خير، أم التحريض، وبذر بذور التسلط والكيد!!

وهل إذا احتاج الأمر للتأديب خير أم الفراق والشقاق والصراع ثم الطلاق.. إن المرأة المسلمة عندما اجتذت ـ للأسف الشديد ـ حذو المرأة الغربية، وتلقفت دعوات التغريب بالفرح أصاب الأسرة المسلمة من الوهن والضعف والشقاق والطلاق ما يجل الدعاة والمصلحون فى حيرة من أمرهم إن الإحصائيات تقول عن مدى تفسخ الأسرة ومن ثم تفسخ المجتمع ما يجعل كل الأجهزة تعيد حساباتها من جديد، وتضع منهاج ربها فوق رءوسها وعلى عينها، وتعمل كل تلك الأجهزة إلى الرجوع إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، وسيرة سلف الأمة الصالح.

---

(١) المستطرف فى كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشبهى ٢/٢٩٤، ٢٩٥، دار مكتبة الحياة ١٩٨٦م.

لقد قرأت فى الصحف ما يجعل العقل فى دوران، تقول إحصائية (حالة طلاق كل ٦ دقائق، و٢٢٤ سيدة يتم طلاقهن يومياً فى مصر) وتحت هذا قالت الصحيفة (تربية الفتيات وإعدادهن لإقامة علاقة زوجية سعيدة فى المستقبل أصبحت من أهم المسئوليات الملقاة على عاتق الأم والأسرة بعد أن زادت فى السنوات الأخيرة معدلات الطلاق بين العِرْسَان حديثى الزواج، فقد أوضحت آخر الإحصائيات أن هناك ٣ ملايين و٤٥٣ ألف حالة طلاق، منها ٢٢٤ سيدة يتم طلاقهن يومياً فى مصر، أى بمعدل حالة طلاق كل ٦ دقائق.. وتنحصر حالات الطلاق بين المتزوجين حديثاً ما بين سن ٢٥ إلى سن ٣٥ سنة، وهو ما جعل الخبراء يدقون ناقوس الخطر لهذه المشكلة التى أصبحت تهدد الإستقرار النفسى والاجتماعى للأسرة المصرية، جاء هذا خلال ندوة من أجل حياة أفضل للمرأة لدعم الاقتصاد...)[1] أليس هذا نتيجة ضرورية من تفسخ الأخلاق، وسوء النشأة للفتى وللفتاة، والغزو العجيب والتغريب، ومحاولة حذونا حذو الغرب بما فيه من سخائم عفنة، هل هذا هو حق المرأة، وحق الرجل؟ وهل هذا مساواة المرأة بالرجل؟ أليس شيء من التحمل والتصبر، واحتضان الأولاد، ودوام الأسرة، ومحاولة رأب الصدع بشيء من الضرب فى آخر مراحل التأديب خير من الفراق والطلاق، وتفسخ القيم، وتقطيع الأواصر بين الأصهار والأنساب، والأخطر من كل هذا ضياع وتشريد الأطفال!!!

وإذا كان الإسلام أباح الطلاق، فقد أباحه فى حالة استحالة الحياة الزوجية، وجعله آخر الأدوية، وهو فى الوقت ذاته علاج حاسم وناجح من

---

(١) جريدة صوت الأزهر، الجمعة غرة صفر ١٤٢٦هـ/ ١١/٣/٢٠٠٥م العدد ٢٨٥، ص١٣، وانظر الجريدة نفسها، الجمعة ٢٢ صفر ١٤٢٦هـ/١/٤/٢٠٠٥، العدد ٢٨٨، ص١٣.

أمراض نفسية واجتماعية شريرة تنجم عن العيش فى هم ونكد وصراع، وانفصال نفسى وجسدى بين الزوجين، وأيضاً ضياع الأولاد، كما يحدث فى الملل والنحل الأخرى، لكن الذى نحذر منه هو وقوع الطلاق لأسباب وحجج واهية.

الشبه الثالثة: تعدد الزوجات:

فى البداية أود الإشارة إلى أن التزاوج والتناغم والإنسجام بين المخلوقات التى أبدعها الخالق عز وجل، سنة من سننه تبارك وتعالى، تجد هذا فى عالم البشر والحيوان والنبات وكل ما بين السماء والأرض وما بينهما. وهذا التزاوج بالذات أو هذه الزوجية تؤدى إلى الخير والنفع والصلاح والنماء إلخ. قال تبارك وتعالى ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١).

وقال جل ذكره ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

ولاحظ: فى الآية الأولى قوله ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وهذا يفيد الشمول، وهو من خصائص القدرة الإلهية.

وفى الآية الثانية قوله ﴿ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا يفيد أنه توجد زوجية فى المخلوقات لا يعلمها أحد من الناس، وقد يعلمون بعضاً منها فى جيل من الأجيال ليدركوا عظمة القدرة الربانية.

وإذا كانت الزوجية سارية فى كل شىء علمنا منها ما علمنا وجهلنا منها ما جهلنا، فإن الزواج فى البشر يختلف عن التزاوج فى الحيوانات وغيرها،

(١) الذاريات: ٤٩.
(٢) يس: ٣٦.

وهذا فى حد ذاته تكريم من الله عز وجل لبنى البشر، ولم يدعمهم ينطلقون فى غرائزهم كالبهائم دون قيد ولا ضابط.. وذلك حفاظاً على التماسك والتواد والتراحم، وحماية للنسل، ومراعاة الأنساب، وحماية للرجل من الأمراض، وحماية ورعاية للمرأة من أن تكون كلأ مباحاً لكل راتع غشوم شره شرس، وهذا فى ذاته تكريم خاص بالمرأة.. وعلى ذلك فقد نظم الإسلام الزواج بين الرجل والمرأة من كل جوانبه.. وبخاصة من حيث رضا كل منهما بالآخر من البداية، ونظم حقوق كل منهما وواجباته.. ورتب على هذا الزواج ثمرات وحقوق وواجبات حتى تسير الحياة سير منتظماً هادئاً هيناً سهلاً، ويبنى الإنسان ويعمر ويعلو البناء جيلاً بعد جيل، ومن قبل ومن بعد يتجه كل من الزوج والزوجة إلى عبادة خالقهما وحمده وشكره على نعمه، وبخاصة نعمة الزواج المنضبطة..

فقه مقاصد الشريعة:

إن فقه مقاصد الشريعة الإسلامية من أجل وأعظم العلوم والمعارف، وذلك لأن الناس ـ كل الناس ـ جبلوا على معرفة الغايات والأهداف، وهم يسعون فى ذلك أشد السعى، ويتخذون لذلك شتى الوسائل، يدركون من المقاصد ما يدركون ويجهلون منها ما يجهلون.. وفقه مقاصد الشريعة الغراء له جماله، وكماله إشراقاته وعطاؤه، وله كذلك جاذبيته القوية فى دعوة الناس إلى الإسلام عندما يتدبرون حكمة تشريع من التشريعات الإسلامية، وبخاصة لو قورن بتشريعات قديمة أو بشرية، فالشرع من عند الله تعالى، والخلق خلق الله عز وجل، وعلى ذلك فالله تبارك اسمه أعلم بما ينفع الناس ويصلح شأنهم وذلك فى دنيا الناس، وفى آخرتهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١).

---

(١) الملك : ١٤.

وأيضاً من خصائص التشريع الإسلامى: أن له الديمومة والإستمرارية، والبقاء والشمولية، فليس لزمن معين، ولا لبيئة معينة، ولا لإناس معينيين، فله عمقه، وله طول الدنيا وعرضها بكل محتوياتها، كما أنه لا يحتاج إلى تعديل، ولا تبديل، فقواعده ثابتة راسخة، وأيضاً هذا الشرع سهل التطبيق والتنفيذ، وليس فيه حرج. أيضاً هذا الشرع واضح وليس فيه غموض، أو طلاسم، وكما أنه سهل التطبيق فهو أيضاً سهل الفهم، وميسر لكل الناس.

ثم إنه يسرى ويمضى وينفذ على الجميع دون تمييز بين الأغنياء والفقراء، والوزراء والخفراء، والذكور والإناث حيث أبان لكل فرد حقوقه وواجباته.. هذه نظرة سريعة، وخطوط عريضة لبعض خصائص الشرع الإسلامى[١].

أما فيما نحن بصدده من فقه مقاصد الشريعة فى مسألة تعدد الزوجات، فهو أمر يطول شرحه.. وسوف اذكرها بإيجاز.. وما ذلك إلا رد على شبهة هؤلاء المتنطعين والمتقولين على شرع الله عز وجل، ومحاولتهم المشؤمة للطعن فيه تحت حجج سخيمة لا تقف ـ بحال ـ على ساقين.. وإن كنا فى الحقيقة لا نحتاج إلى الرد على هؤلاء المغالطين الضالين، بل ولا حتى فهم أو إدراك كل المقاصد، لأننا كمسلمين لا ينبغى علينا إلا أن نستسلم وننقاد إلى شرع ربنا تبارك وتعالى، وأمره ونهيه، علمنا المقاصد أم غابت عنا.. ولكن لا بأس بذكر إفتراءاتهم والرد عليها.

فقد آثار المغرضون والحاقدون من خصوم الإسلام ومن لازبهم، وحام حولهم، ودار فى فلكهم، وتربى فى محاضنهم، ونعق بما نعقوا به، فقد أثاروا

---

(١) انظر هذا بالتفصيل: الخصائص العامة للإسلام، د/ يوسف القرضاوى.

الغبار حول موضوع تعدد الزوجات فى الإسلام، ومن هذه المناورات الخبيثة:

(أ) أن تعدد الزوجات يكثر النسل، من ثم يقل الدخل، ويتدنى مستوى المعيشة وما تأخر المسلمون إلا بمثل هذه التشريعات

(ب) أن التعدد إذا كان يكثر النسل فإنه يتولد عن ذلك مشكلة أخرى وهى مشكلة الأزمة السكانية.

(جـ) أن الزوجة الأولى لو كان لها أولاد، والزوجة الثانية كذلك، فإن الأحقاد والكراهية تسود بين الأولاد هذه وتلك، وهذا بالتالى يفرز سوء العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة.

(د) أن الزوج رجل واحد، وله قلب واحد، فكيف لو تزوج بأكثر من واحدة وكيف يقسم مشاعره وحبه وعواطفه بين أكثر من زوجة؟!

(هـ) وإذا أبيح للرجل بأن يتزوج بأكثر من واحدة. أليس من حق المرأة أن تتزوج بأكثر من واحد هى الأخرى!!! وإلا فأين العدالة؟ وأين المساواة بين الرجل والمرأة؟!!

(و) وأيضاً: إن آدم عليه السلام تزوج حواء فقط، ولم يكن له زوجة ثانية فلماذا التعدد فى ذريته؟!!

تلك بعض الشبه التى ينعق بها خصوم الإسلام ومن لف لفيفهم من بنى جلدتنا.

الرد على شبهة تعدد الزوجات:

ينبغى فى البداية أن نستنطق التاريخ، وندعه يذكر لنا بعض حالات التعدد قبل الإسلام.

اليهود والتعدد:

إذا رجعنا إلى أصول التوراة ـ عند اليهود ـ وهى الأسفار الخمسة من العهد القديم نجد أنها خالية من نص يحرم تعدد الزوجات، بل ذكرت أن من الأنبياء من عدد زوجاته، كذلك لم تحجر على الرجل بأى عدد من النساء. ولكن أحبار اليهود كرهوا التعدد، رغم ما فى كتبهم(١).

المسيحية والتعدد:

لا يوجد فى الأناجيل نص صريح فى منع تعدد الزوجات، لكنها آراء لآباء الكنيسة، وتأولاتهم للنصوص(٢).. ونظر التعدد الفرق المسيحية فقد كان لكل فرقة تفسيرات متغايرة بالنسبة لهذا الموضوع ـ التعدد ـ وقد حرمت الكنيسة التعدد لأنها ترى أن الزواج أصلاً ولو من واحدة فقط يلهى الإنسان عن الرهبنة ـ التى ابتدعوها ـ والرهبنة أو البتولية ـ عدم الزواج ـ أفضل وأحسن من الزواج حتى بزوجة واحدة. إلا أن بعض الطوائف المسيحية بعد ذلك لم تر بأساً بزواج الراهب والراهبة، بل لم تر بأساً بتعدد الزوجات وبخاصة بين أتباع الكنيسة، وقد اشتد هذا التيار ونافح من أجل تعدد الزوجات عند المسيحيين منهم: لوثر مؤسس المذهب الإنجلى الذى كان يعتبر تعدد الزوجات نظاماً لا يتجافى مع أحكام الشريعة المسيحية، ومنهم كذلك: وسترمارك، وجوستاف ليون، وتومى، ومن رأى هؤلاء: أن إباحة تعدد الزوجات تجعل كل امرأة ربة بيت، وأما لأولاد شرعيين، وذلك مما يقضى على كثير من الإنحرافات فى المجتمع الأوربى.. وهناك فرق مسيحية ناضلت وبشدة من أجل تقرير التعدد ومارسته بالفعل، من هذه الفرق مثلاً: الأنابيتست فى ألمانيا

---

(١) انظر: تعدد الزوجات.. د/عبد الناصر توفيق العطار ص ٨٦، ط مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب: السابع والأربعون، غرة صفر ١٣٩٢هـ/ مارس ١٩٧٢م.

(٢) يلاحظ تحريف كل من اليهود والنصارى لكتبهم، ولم نتعرض له هنا.

فى منتصف القرن السادس عشر، ومنها فرقة: المورمون فى أمريكا فى أوائل القرن التاسع عشر. وكانوا يمارسون التعدد، وينظرون إليه باعتباره نظاماً إلهياً، وهكذا. ولما تشددت بعض الكنائس فى منع التعدد فى أفريقيا، دفعت الكنائس الأفريقية إلى الانفصال عن الكنائس الغربية، وكونت كنائس مستقلة تسمح تعاليمها بممارسة التعدد[١].. وهكذا مع تطور الزمن والظروف والتقدم يأتى التعدد.. مع ما لاحظوه من خطورة عدم التعدد. وسيأتى بعضه بعد قليل.

الهند والتعدد:

فقدكانت الهند ـ وما زالت ـ بها مذاهب شتى باطلة، وكان منها مذهب يبيح تعدد الزوجات تعدداً مطلقاً، دون تقيد بعدد معين، وكان من مساوئهم الفجة: أن الكاهن عندهم هو الذى كان يتمتع بالعروس فى أول ليلة زفافها قبل أن يتمتع بها زوجها، وكان ذلك منهم لكى ينشر الكاهن البركة والنعمة على العروس والعريس[٢].

الفرس والتعدد:

لقد ساد بين الفرس وانتشر مذهب مزدك، وقد ادعى بين الفرس أنه يقوم بإصلاح أحوال المجتمع وذلك عن طريق إشاعة مقولة: الكل للكل، ومن ذلك كل الرجال لكل النساء، وكل النساء لكل الرجال. وقد أباح هذا إباحة مطلقة لا قيود عليها، ولا ضابط لها[٣].

---

(١) انظر: تعدد الزوجات... د/عبد الناصر توفيق العطار ص ٩١، مرجع سابق.
(٢) انظر: الإسلام الدين القطرى الأبدى، مبشر الطرازى الحسينى ١/١٨١، دار عمر بن الخطاب ١٩٧٦م.
(٣) انظر: المرجع السابق ١/١٧٩.

وكل هذا ولا ريب أدى إلى فساد الأخلاق، وضياع القيم، وانتشار الفساد والانحلال وكان ذلك من الأسباب القوية لإنهيار دولتهم.

العرب فى الجاهلية والتعدد:

كان التعدد عند العرب قبل الإسلام مشهوراً، ولا يتقيد بعدد معين، وكان للرجل أن يتزوج بالعدد الذى يرغبه من الزوجات وليس أصح ما يدلك على هذه الحقيقة إلا سنة رسول الله ﷺ، فقد جاء فى السنة أن واحداً منهم دخل الإسلام وكان تحته عشر نسوة «فعن مالك عن ابن شهاب أنه قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لرجل من ثقيف أسلم وله عشر نسوة حين أسلم الثقفى: أمسك منهن أربعاً وفارق سائرهن»[1]. وعلى هذا فقد كان التعدد فى العرب هو الآخر - قبل الإسلام - ليس له قيود ولا ضوابط.

وعلى ضوء ما سبق فقد كانت الدنيا تلتحف بالظلمات فى كل دروب الحياة، وظهر الفساد فى البر والبحر، وبخاصة ما نحن بصدده من تعدد الزوجات.. وعندما أشرق الإسلام بنوره، أضاء العقول المغلقة، ووضع الحلول المناسبة والمتوافقة مع قدرات الإنسان، ومنها إباحته بتعدد الزوجات إلى أربع فقط بضوابط وشروط.

التعدد فى الإسلام:

من يقرأ صد سورة النساء يجد هذه الآية الكريمة، وهى قوله عز وجل ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾[2].

---

(١) رواه مالك فى الموطأ على شرح الزرقانى ٣/٢٧٨، دار الكتب العلمية، طـ أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٢) النساء: ٣.

فهذه الآية قد أباحت الزواج بل وأمرت به، انسجاماً مع الجبلة التى خلق الله تبارك وتعالى عليها الإنسان. ثم: أباحت التعدد.. ثم: قيدته بحد أقصى بأربع.. ثم: شرطت لهذا التعدد واجب آخر وهو العدل.. فإذا لم يتوفر شرط العدل والقدرة فقد نصت الآية على الإقتصار على زوجة واحدة.. فالمدار فى التعدد، والأساس فيه هو العدل، وعدم الظلم.

وقد قرر العلماء بالإجماع أن العدل المطلوب يكون فى القسمة والمبيت والمسكن والمأكل والملبس والتداوى إلى آخر هذه الحقوق المفروضة على الزوج نحو زوجته[١].. وأى تصرف أو انحراف عن هذه الحقوق من الزوج نحو إحدى زوجاته، فإن هذا يؤدى إلى الشقاق والصراع، والقلق والاضطراب.. فضلاً عن عذاب الله تعالى له يوم القيامة. فقد جاء فى السنة قول رسول اللهﷺ «من كانت له امرأتان يميل مع أحدهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»[٢] فأى عبث أو استهتار بهذه القيود يعتبر تعد على حدود الله تعالى وأوامره، ولا نشك أن هناك فئات عابثة، وتتخذ إباحة التعدد فى الإسلام ذريعة للكيد والاستمتاع البهيمى، فهذا هو الممنوع حقاً. وفى الأثر «لعن الله كل مزواج ومطلاق».

---

(١) انظر مافتيح الغيب، الرازى ١٤٦/٩، المكتبة التوفيقية ٢٠٠٣هـ، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٤٩/١، دار الفكر العربى، بدون، وانظر: تفسير القرآن الحكيم، المسمى: تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا ٢٧٩/٤، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

(٢) رواه أبو داود برقم ٢١٣٣، والترمذى برقم ١١٤١.

وقال مرة أخرى مشدداً على هؤلاء العابثين «لعن الله الذواقين الذوقات»[١].

وهذا هو الذى يؤدى إلى الأحقاد والشقاق والاختلاف والضياع، وذلك من سوء استخدام إباحة التعدد.

من فقه التحديد بأربع:

من الأمور المسلم بها عند المسلمين أن التحديد العددى فى الشريعة الإسلامية أمر يعلم الله تعالى حكمته وأسراره، ولا يحيط بذلك علماً وحكمة إلا الله عز وجل.. ومع هذا فإن من العلماء من ذهب إلى بيان بعض الحكم والأسرار، وكان منهم ذلك لبيان مقاصد الشريعة للناس ـ كل الناس ـ المسلم وغير المسلم. وإن كان على المسلم أن يستسلم لأمر الله تعالى واختياره، وعليه السمع والطاعة والإنقياد لأمره ونهيه سبحانه ظهرت المقاصد أم خفيت.. ومما رصده العلماء فى اجتهاداتهم فى مسألة التحديد بأربع زوجات للرجل (أنه ربما كان هذا التحديد متفقاً مع فصول السنة ـ فى أغلب العالم ـ وهى أربعة فى الأصل، وقد يستهدف هذا التحديد أن يرجع الرجل إلى كل زوجة كل أربعة أيام على الأقل. وقد يتفق هذا التحديد مع الدورة الشهرية لحيض المرأة، لأن الحيض العادى قد يستمر أسبوعاً فى كل شهر، ويترك الرجل زوجته فى حيضها حتى إذا أتم أربعة أسابيع فى شهر عاد إلى الأولى فوجدها طاهرة. وقد يستهدف هذا التحديد إقامة الحجة على الرجل الراغب فى النساء، لأن التعدد بأربع يستوعب كل أنواع النساء فى الغالب، وللرجل الخيار فى أن تكون لديه الطويلة والقصيرة والنحيفة والبدينة... أو البيضاء والشقراء والصفراء والسمراء... أو ذات الدين وذات الجمال وذات المال وذات الحسب... أو الحادة فى طباعها واللينة والمنقادة والمعتدلة وهكذا.. كذلك قد يكون هذا التحديد

---

(١) بنحوه عن أبى موسى رضى الله عنه ـ الطبرانى فى معجمه الأوسط برقم ٧١٠٤٨ وعزاه فى المجمع للبزار وللطبرانى فى الكبير والأوسط مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمى ٣٣٥/٤.

مقصوداً به ألا تكون هناك عزوبة عند النساء، وألا تكون هناك عزوبة عند الرجال، فلو كان التعدد قاصراً على زوجتين ـ مثلاً ـ لظل عدد من النساء بغير زواج.. ولو زاد التعدد على أربع لأدى ذلك إلى عزوبة عند بعض الرجال، فكان التعدد بهذا العدد هو المعقول)[1] كما أنه هو المنقول.

ونؤكد هنا أنه لا يبقى عذر للرجل أو للمرأة فى ارتكاب جريمة الزنا، ومن هنا شدد الإسلام عقوبة من يرتكبها، كما هو واضح فى أبواب الحدود فى كتب الفقه والتفاسير.. إلخ.

سؤال سخيف:

لماذا لا تعدد المرأة الرجال، كما أبيح للرجل التعدد؟

نهق المرجفون بهذا السؤال الباهت، فأين العدالة؟ وأين المساواة بين حقوق الرجل والمرأة؟ أليس من الغبن أن تُبيحوا هذا التعدد للرجل وتُحرِّموه على المرأة..

وفى الحقيقة أن مثل هذا السؤال وما شاكله، لا يستحق الرد عليه، فهو من سفهاء الناس وإذا كان ولابد من الرد على أمثال هذه المغاليط، فنحن نطرح أمامهم هذه الأسئلة ونرجوهم الإجابة عليها.. لمن ينسب الأولاد؟ ولمن يكون الأولاد؟ ولمن يكون الولاء فى العاطفة؟ ثم أى النساء قادرة على القيام بشئون أكثر من بيت؟ وأى النساء تتحمل تربية الأطفال فى أكثر من بيت فى آن واحد؟ أم أنها شهوة جنسية فقط وليست فى حاجة إلى أولاد بالمرة؟ وكيف تكون الحياة لو انقطع النسل من كل النساء؟ وإذا كان لها رغبة فى الأولاد،

---

(١) تعدد الزوجات... د/عبد الناصر توفيق العطار ص ٢٠٤، ٢٠٥.

فكيف تلبى رغبة كل رجل فى عدد الأطفال الذين يرغبهم؟[١] ثم ما شكل العلاقة بين هؤلاء الديوثيين مع بعضهم البعض؟ وأين الغيرة على عرض الزوج وشرفه؟ أم هم كالحيوانات أضل سبيلاً!! ثم ما شك لاالعلاقات الاجتماعية بين أصهار وأنساب هؤلاء الأزواج لزوجة واحدة!! ثم أين أعمام الأولاد؟ وأولاد عمومهم، وكذا أخواله وأولادهم!! ثم أين يذهب الميراث لو مات أحدهم؟! ثم لو ملها أحدهم، أو هى ملت أحدهم فما الحل عند هؤلاء المجانين؟ وهل يقيد زواج المرأة بأربع هى الأخرى؟ أم يطلق بلا قيد، وأين يقع العدل وعدم الظلم؟!! ثم أين السكن والمودة والرحمة بين الرجل والمرأة المذكورة فى قوله تبارك وتعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]. أين الاستقرار النفسى والاجتماعى؟ وعلى من تقع القوامة والمسئولية؟ إن الذى خلق الرجل والمرأة هو سبحانه وتعالى، وهو جل ذكره أعلم بما يصلحهم، وما ينفعهم ألا فلينتبه المرجفون، ويكفوا عن هذا العبث الشهوانى الشيطانى.. فيدمر المرأة، والمجتمع بأسره، وانظر جيداً لهذا النبأ (٤٠٪ من أطفال الغرب بلا أسر، والوثائق الدولية تحاول نشر ذلك فى عالمنا)[٣] هل هذا هو تحرير المرأة أليس هذا ناتجاً عن الإباحية عندهم؟ ثم هل أدركوا الأمراض الفاتكة للرجل والمرأة على السواء نتيجة هذه الأفكار الشريرة؟ وهل عرفوا حتى الآن دواء لأمراض المناعة ـ الإيدز؟!!

---

(١) انظر: الرجل والمرأة وحقيقة العلاقة بينهما، د/ زهير محمد الزميلى ص ١٣١، ١٣٢، ط دار الإسراء، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٢) الروم ٢١.

(٣) انظر صوت الآزهر العدد ٢٥٦.

هل بعد طرح هذه الأسئلة يتدبرون حكمة الله عز وجل فى التعدد للرجل، ومنعه على المرأة؟!

فقه التعدد فى الإسلام:

أباح الإسلام التعدد للرجل لحكم عديدة، وأسرار كثيرة نذكر بعض ما ظهر منها حتى الآن:

وقد قسم بعض العلماء حاجات التعدد إلى: حاجات فردية، وحاجات جماعية:

أولاً: الدواعى والحاجات الفردية:

أن يظهر بعد الزواج أن الزوجة عقيم عقماً لا برء منه، والزوج له رغبة ملحة فى الإنجاب.. وكثيراً ما يحدث هذا فى حياتنا، وبدلاً من طلاقها يتزوج بأخرى.

ثانياً: أن تمرض الزوجة مرضاً يحول بينها وبين صلاحيتها للحياة الزوجية، والزوج شديد الحاجة إلى من يعف به نفسه، وبدلاً من طلاقها يتزوج بأخرى.

ثالثاً: أن تتعرض فتاة أو امرأة للفاقة بسبب موت من يعولها تعرض يخشى منه انزلاقها إلى الجريمة البشعة ـ الزنا ـ ولم يتقدم لها أحد ليتزوجها ويحميها من الفساد، فإذا تقدم لها رجل ـ هو زوج لأخرى ـ بقصد حمايتها من الفساد فخطبها وتزوجها، فذلك له وفى ميزان حسناته عند الله تعالى، والتعدد هنا مطلوب.

رابعاً: أن يقع رجل ما فى هوى أخرى، ويعلق بها قلبه علقة شديدة، ولا سبيل لشفائه من هذا الميل إلا أن ينال منها وهى عليه حرام، أو يتقدم للتزوج منها فلا نزاع فى إباحة التعدد فى مثل هذه الحالة، ليدرأ عنه وعنها الفعل المحرم الآثم.

الدواعى والحاجات الجماعية:

وهى فى صالح المجتمع ككل، ويظهر هذا فى صورتين ظاهرتين:

الأولى: أن تتعرض دولة إسلامية لزيادة عدد نسائها عن عدد رجالها ـ وهو كثير الوقوع ونحن نعيشه الآن بصورة جلية ـ بحيث يظل ثلث نسائها تقريباً بلا زواج، فلو اقتصر كل زوج على زوجة واحدة وتركهن بلا تزويج فإن هذا يؤدى إلى الحرمان من السكن والمودة والرحمة والرغبة الجنسية، وهذا بالتالى يقود كثير منهن إلى القيل والقال وإلى الفاحشة، فلا علاج فى مثل هذه الحالة سوى تعدد الزوجات.

الثانية: أن تتعرض دولة من الدول الإسلامية وتضطر إلى حماية أرضها وشعبها ودينها من القوى الشريرة الباغية ـ وقد حدث هذا فى كل البلاد الإسلامية وما زال يحدث وسيظل يحدث إلى يوم الدين، لأن الصراع بين الحق والباطل دائم. وهنا يقتل أو يستشهد شباب الإسلام فى تلك المعارك.. والدولة فى حاجة إلى الذكور لتعمير ما تلف.. ولمواجهة الفساد الناجم عن ترك كثير من الفتيات عوانس وبلا زواج.. فلا مناص فى مثل هذه الحالة من الأخذ بمبدأ تعدد الزوجات(١).

مثال صارخ:

وقع فى بعض البلدان الإسلامية والتى حرمت التعدد جرياً وراء الأراجيف المضللة والمفسدة.

رجل مرضت زوجته مرضاً ميئوساً منه وأفقدها القدرة على الوفاء بمطالب الزوجية الخاصة جداً، فكر الرجل كيف يلبى رغبته؟!

بالحرام؟! إنه ميسور الحال، ولكنه لا يريد أن يغضب خالقه سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: المرأة فى عصر الرسالة... د/ عبد العظيم المطعنى، ص ١٥٤، دار الفتح للإعلام العربى، بدون.

هل يطلقها ويتزوج بأخرى؟! إنها مسكينة، فلمن يتركها بعد طلاقها..

هل يتزوج عليها؟! القانون يمنع، ويحبس من يخالفه، ويعيش وراء قضبان السجن!!

ثم قرر أن يتزوج زواجاً عرفياً ـ شرعياً ـ لكنه بعيد عن القانون فأسس مسكناً وأقام مع زوجتيه بالعدل، وأخذ ينفق ويرعى الزوجتين.. ثم شاع الخبر بين الناس وسرعان ما تم القبض عليه، وجرى معه هذا التحقيق:

س: أنت متهم بتعدد الزوجات؟

جـ: كلا لم أتزوج إلا بواحدة.

س: ألم تعاشر فلانة معاشرة الأزواج؟

جـ: نعم.

س: وأجّرت لها سكناً؟

جـ: نعم.

س: وتقيم معها فى شقة واحدة؟

جـ: نعم.

س: فمن تكون هى إذن؟

جـ: عشيقة لا زوجة!!

الحكم: اذهب فأنت برىء[1]..

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون..

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٥٦.

معصية الله عز وجل أصبحت قانوناً، وحلال الله تعالى أصبح محرماً.. فأى فساد ودمار وصراع وخراب ينتج عن هذا؟!! من المعلوم أن تعدد الزوجات ممنوع فى دولة تونس العربية، والتزوج بأكثر من واحدة يستوجب عقاباً بالسجن مدة عام، وغرامة قدرها ٢٤٠,٠٠٠ فرنك، أو بإحدى العقوبتين فقط[١].

اعترافات حكماء الغرب:

وإذا كان فى البلاد الإسلامية من يتشدق ويردد كالببغاوات بعض أقوال السفهاء فى الغرب، فلماذا لا يرددون أقوال عقلاء الغرب من المستشرقين حول تعدد الزوجات فى الإسلام؟! ولا بأس هنا من نقل كلام بعضهم بعد أن درسوا مسألة التعدد فى الإسلام دراسة متأنية ومستفيضة.

فونس اتيين دييه كتب فى كتابه ـ محمد رسول الله الإسلام ـ ما ترجمته: الواقع يشهد أن تعدد الزوجات شىء ذايع فى سائر أرجاء العالم، وسوف يظل موجوداً ما وجد العالم، مهما تشددت القوانين فى تحريمه. ولكن المسألة الوحيدة هى معرفة ما إذا كان من الأفضل أن يشرع هذا المبدأ ويحدد؟ أم يظل نوعاً من النفاق المتستر لا شىء يقف أمامه، ويحد من جماحه؟ ثم قال فونس: وقد لاحظ جميع الرحالة الغربيين ونخص منهم بالذكر: جيرال دى نيرفال، وليدى موجان: أن تعدد الزوجات عند المسلمين وهم يعترفون بهذا المبدأ، أقل انتشاراً منه عند المسيحيين الذين يزعمون أنهم يحرمون الزواج بأكثر من واحدة، وليس ذلك بالأمر الغريب على الفطرة البشرية. فالمسيحيون يجدون الثمرة المحرمة عند خروجهم على مبدئهم. هذا وقد دافع فونس عن تعدد الزوجات فى رسالته (أشعة خاصة بنور الإسلام) حيث قال:

---

(٢) انظر: تعدد الزوجات د/عبد الناصر توفيق ص ٢٨٢

لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التى لا تغلب، وإنما هو يساير قوانينها، ويزاول أزماتها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة، ومصادمتها فى كثير من شئون الحياة... على أن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها، وإنما يدخل فى قوانينها ما يجعلها أكثر قبولاً وأسهل تطبيقاً فى إصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور. حتى لقد سمى القرآن ذلك ـ الهدى ـ لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة، ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير..ثم قال فونس: والأمثلة العديدة على هذا.. ولكننا للاقتصار نأخذ بأشهرها وهو: تعدد الزوجات الذى صادف النقد الواسع، والذى جلب للإسلام فى نظر الغرب مطاعن كثيرة.

ومما لا شك فيه أن التوحيد هو المثل الأعلى، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق، بل هو الحال الذى يستحيل تنفيذه، لم يكن الإسلام أمام الأمر الواقع وهو دين اليسر، إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج.. والإسلام أنقص عدد الزوجات الشرعيات، وقد كان عند العرب الأقدمين مباحاً دون قيد، ثم أشار بعد ذلك إلى التوحيد فى الزوجة فى قوله ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ وأى رجل فى الوجود يستطيع أن يعدل بين زوجاته المتعددات. ثم انظر هل حقيقى أن الديانة المسيحية بتقريرها الجبرى لفردية الزوجة وتشديدها فى تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات عملياً؟ وهل يستطيع شخص أن يقول نعم دون أن يأخذه الضحك؟! وإلا فهؤلاء ملوك فرنسا ـ دع عنك الأفراد ـ كانت لهم الزوجات المتعددات، وفى الوقت نفسه كان لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام. وختاماً قال فونس: إن تعدد الزوجات قانون طبيعى سيبقى ما بقى العالم، مع أن نظرية التوحيد فى الزوجة وهى النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهراً تنطوى تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص فى ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر، جسيمة البلاء تلك هى:

الدعارة.... والعوانس من النساء.... والأبناء غير الشرعيين..

= مك فارلين وهو من كبار كتاب أوربا قال: إذا نظرنا إلى تعدد الزوجات فى الإسلام من الناحية الاجتماعية أو الأخلاقية أو المذهبية فهو لا يعد مخالفاً بحال من الأحوال لأرقى أسلوب من أساليب الحضارة والمدنية، بل هو علاج عملى لمشاكل النساء البائسات، والبغاء، واتخاذ الحظايا، ونمو عدد العوانس على الاستمرار فى المدن الغربية، وأوربا وأمريكا.

= دكتورة آنى بيزانت قالت: إن فردية الزواج أو نظام الزوجة الواحدة المتبع فى بلاد الغرب ما هو إلا نظام إدعائى، أو طريقة تصنيعية، فهناك تعدد عملى فى الزوجات، ولكن من غير مسئولية، ودون تحمل تبعية، ألا وهو اتخاذ المحظيات اللائى يصبحن بعد ما يملهن الرجل منبوذات، وتغرق الواحدة منهن إثر واحدة فى حمأة الرذيلة، فتوصف بوصف امرأة الشارع، لأن حبيبها الأول الذى أفسدها، وحظى بها لم يكن مسئولاً عن مستقبلها، وهى بهذه الحالة تصبح أحط وأحط مائة مرة، لا مرة واحدة، من الزوجة المصونة، أو الأم التى تعيش فى منزل رجل له زوجات متعددة.. ثم قالت: من المستحسن جداً إذن واحترامها أن تعيش فى نظام الإسلام المبيح لتعدد الزوجات حاملة فوق ذراعها طفلاً شرعياً، وهى محاطة بأنواع من الرعاية والعناية والحماية، وأليس هذا خيراً لها من أن تتبذل ثم تنبذ إلى الشارع وحدها أو حاملة معها ابناً غير شرعى، لا يحميها إنسان، ولا يهتم بحالها أحد، وتصبح كل ليلة ضحية عابر من عابرى الطريق المفترسين الأشرار، محرومة من كل ما تتمتع به الأمومة.

= دكتور جراهام يقول: لم تتمكن المسيحية من حل مشكلة تعدد الزوجات ـ المحظيات والعوانس ـ فيما مضى من الزمن، وإذا عجزت عن ذلك فى هذا العصر أيضاً فالخسارة خسارتها. أما الإسلام فقد نظر إلى بعض العلل الاجتماعية وسمح من جرائها بتعدد الزوجات، كحل اجتماعى للطبيعة البشرية داخل حدود محكمة، وضوابط شرعية، ولكن البلدان الغربية تبدى

قولياً حماساً شديداً لموضوع فردية الزواج، وأما عملياً فإنها تستعمل تعدد الزوجات.. فإن أحداً لا يجهل موضوع المحظيات وما يلعبنه من دور كبير فى المجتمع الغربى.. فالإسلام من هذا الاعتبار يعد مذهباً شريفاً طاهراً نقياً يسمح للمسلم أن يتزوج زوجة ثانية، ويحرم عليه اتخاذ أية عشيقة سراً، وإنما ذلك لبقاء المجتمع الإنسانى طاهراً من الناحية الخلقية(١).

ولولا خوف الإطالة لذكرت عشرات بل مئات من أقوال المنصفين من الغربيين حول حكمة التعدد فى الإسلام، لعل المرجفون يتفكرون!!

العدل المنفي بين الزوجات:

سبق أن ذكرت الآية التى فى صدر سورة النساء والتى أباحت التعدد بضوابطه وقيوده.. لكن بعد مجموعة من الآيات فى السورة نفسها نقرأ هذه الآية يقول العزيز الحكيم ﴿ولن تَسْتَطيعُوا أن تَعْدلُوا بَيْن النّسَاءِ ولَوْ حرصْتُمْ فلا تميلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فتذرُوهَا كالْمُعلَّقَةِ وإن تُصْلحُوا وتَتَّقُوا فإنَّ اللَّه كانَ غفُورا رَحيمًا﴾(٢).

وقد يتوهم بعض الأغبياء أن التعارض قائم بين هذه الآية والآية التى فى صدر السور والمبيحة للتعدد بشرط العدل.. وليس الأمر كذلك بالمرة... والحقيقة التى أجمع عليها العلماء(٣) أن العدل الموجود فى صدر السورة هو

---

(١) انظر: الإسلام الدين الفطرى الأبدى، الأستاذ/ مبشر الطرازى الحسينى، ٢/١٩٣ وما بعدها، دار عمر بن الخطاب، طـ ١٩٧٦.

(٢) النساء: ١٢٩.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازى ٩/١٤٦، طـ ٢٠٠٣م، المكتبة التوفيقية، وانظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٥٦٣، دار الفكر العربى، بدون.
وانظر: تفسير القرآن الحكيم، المسمى بالمنار، محمد عبده، والسيد رشيد رضا ٤/٢٧٩. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

العدل فى المبيت والمسكن والمأكل والكسوة والدواء، وكل مطالب الحياة المادية، وحتى فى السفر يقرع بينهن إذا أراد الرجل سفر إحداهن معه.. وقد وضحت ذلك فيما سبق ولله الحمد والمنة.. أما هنا فإن العدل المنفى هو ميل القلب إلى إحداهن، فهذا ما ليس فى طاقة ولا قدرة بشر، ولما كان الإسلام دين واقعى، ومنسجم ومتناغم مع ما جبل عليه الإنسان، فقد تسامح فى الميل القلبى للرجل مع بعض أو أحدى زوجاته.. على ألا ينعكس هذا الميل إلى الجور على الأخريات فى الحقوق التى أوجبها الله تعالى عليه.

وقد جاء فى السنة أن الرسول ﷺ وهو سيد العادلين على الإطلاق قال «اللهم هذا قسمى فيما أملك، وأنت أعلم بما لا أملك»[١].. فالقلوب بيد الرحمن يصرفها كيف شاء.

وغنى عن البيان أن الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً كانوا يعددون الزوجات وكذا التابعين وتابع التابعين، وسوف يظل التشريع الإسلام هو الخالد وله استمراريته وديمومته، وهو المنارة التى يأوى إليها الحيارى فى كل الدنيا.

نساء العالم يقبلن على الإسلام:

رغم ما قيل وقال ويقال عن التعدد فى الإسلام فإن الغرب كله يرتجف بانتشار الإسلام بين أبنائه، وذلك لأنه دين الفطرة، ودين الحق، والسماحة، والرحمة، والنظام، والنظافة إلخ السمات المشرقة للإسلام، ومن الأمور الطيبة والمبشرة، وفى الوقت نفسه تخيف الغرب، أن المرأة هناك تقبل على الإسلام أكثر من الرجال، وما كان ذلك منها إلا أنها أدركت يقيناً عدالة هذا المنهاج

---

(١) رواه أبو داود فى النكاح، رقم الحديث ٢١٣٤.

الربانى، وبخاصة ما نحن بصدده من حقوق المرأة، وهى تعرف جيداً قبل دخولها ساحة الإسلام أنه يبيح تعدد الزوجات.

وقد وقع تحت يدى مقال لا بأس بنقله كاملاً وذلك للاعتبار فتحت عنوان: إحصائيات حديثة تؤكد: أغلب المقبلين على الإسلام فى الغرب من النساء (كتب عصام الشغنوبى: تناقلت وسائل الإعلام مؤخراً ترجمة لتقرير صادر عن جهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد جاء فيه: أن الإسلام أصبح ينتشر فى الغرب بطريقة مخيفة، وأن المسلمين الجدد يعملون على تأدية جميع شعائر الإسلام بمنتهى الدقة، ويصبحون أكثر تديناً من المسلمين بالوراثة، وأن العالم كله يجب أن يحترس من هذه الظاهرة المخيفة والرهيبة فى آن واحد، خاصة فى ظل إقبال المرأة الأوروبية والأمريكية على الدخول فى الإسلام، وما يمثله هذا من خطر جسيم باعتبار أن المرأة تدخل فى الإسلام ومن خلفها أسرة بأكملها لا يقل متوسط عددها عن خمسة أفراد، وأن المرأة التى تعتنق الإسلام حديثاً تؤكد لكل من حولها أنها اعتنقت الإسلام، كونه الدين الوحيد الذى يمنح المرأة حقها كاملاً غير منقوص، ويمنحها حريتها كاملة، وفى الوقت نفسه يمنحها قدسية خاصة، ويسبغ عليها الحماية. ومع إيمان المرأة بهذه الأفكار تستطيع بسهولة أن تجذب صديقاتها، وهكذا تدور الدائرة بشكلها المخيف.. وترجمت وسائل إعلامية ما نشرته صحيفة هاآرتس الإسرائيلية مؤخراً حول هذا الموضوع وهو: أن أجهزة المخابرات الأوروبية والأمريكية والموساد الإسرائيلى قدموا تقارير مطولة إلى وكالة المخابرات الأمريكية يحذرون من ارتفاع معدل انتشار الإسلام فى الغرب، رغم كل الأزمات التى تحيط به، وأن العامين الماضيين شهدا دخول الكثير من الغربيين للإسلام، أغلبهم من النساء. ومن ناحية أخرى انتقد الكاتب الأمريكى الشهير، هنرى

ماكور، حال المرأة الأمريكية، وأكد أن تحرير المرأة خدعة من خدع النظام العالمى الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأمريكيات، وضربت الحضارة الغربية، ووضح أن المرأة الغربية بوضعها الحالى تجد نفسها ملكاً للعامة، تسوق جسمها إلى المزايد الأعلى سعراً، وأن المقياس الثقافى لقيمة المرأة فى أمريكا هو جاذبيتها، وبهذه المعايير تنخفض قيمتها بسرعة، وهى تشغل نفسها، وتهلك أعصابها للظهور. والفتاة الأمريكية بهذا الوضع تعلم أنها ستكون محبوبة فقط إذا مارست الجنس، وهكذا تتعلم التعلق بالعواطف الفارغة بدلاً من الخطوبة والحب الحقيقى والصبر، والفتاة الأمريكية بفضل ما يدعونه تحرير المرأة تعيش حياة ماجنة، فالعشرات من الذكور يعرفونها قبل زوجها، فتفقد براءتها التى هى جزء من جاذبيتها، وتصبح جامدة وماكرة، وغير قادرة على الحب، بل تصل إلى أن تكون عدوانية مضطربة وقلقة ولا تصلح أن تكون زوجة أو أماً. ورغم أن من يشنون حملات تشويه صورة المرأة فى الإسلام أغلبهم مستشرقون يهود، إلا أن هؤلاء نسوا أن توراتهم التى زوروها هى التى تسىء للمرأة وأنها المتهمة الأولى فى إخراج آدم من الجنة.. وهل هناك أكثر من دعواهم أن المرأة اليهودية ممنوعة من قراءة التوراة..وعلق أكثر من كاتب على هذه الإحصاءات متسائلين، أنه إذا كان هذا هو محور اهتمام أجهزة المخابرات الغربية والإسرائيلية، وإذا كان معدل انتشار الإسلام فى الغرب بكل ما يثيره أعداؤه حوله، وحسب ما شهد به هؤلاء فإن الإسلام فى ارتفاع، وإذا كانت المرأة الغربية هى الأكثر إقبالاً على الدخول فى الإسلام، رغم اتهام الغرب للإسلام بدينونة النظرة الإسلامية للمرأة، إذا كان هذا هو حال أعدائنا من رصد لمعدل وفئوية أسباب انتشار الإسلام. فالسؤال الذى يطرح نفسه وبقوة هنا هو.. هل أحْسنَّا استخدام مثل هذه الحقائق التى أوردتها هذه

الإحصائيات فى نشر الدعوة الإسلامية بين الأوساط النسائية الغربية؟ وهل ركزنا فى خطابنا الدينى الموجه إلى الغرب على كل هذه المعانى السامية التى يحفظها الإسلام للمرأة؟ وإلى أى مدى نستطيع الاستفادة من هذه الحقائق فى خدمة قضايانا الإسلامية المعاصرة؟ وهل درسنا كيف استطاعت المبادىء الإسلامية العبور إلى المرأة الغربية رغم الجسور والموانع التى يضعها الغرب)[1] وإذا كان الضرب أو مقدار الميراث أو الحجاب أو تعدد الزوجات شبه يرددها الغرب، فلماذا دخلت المرأة الغربية فى أحضان الإسلام، وهل تعتبر المرأة العربية بكل هذا، وتفخر بأنها مسلمة.

دعوى زيادة السكان:

إن دعوى زيادة السكان يسببه تعدد الزوجات دعوى مرفوضة وباطلة فى أساسها، فالتعدد فى بلدان المسلمين أساساً قليل ثم إن زيادة شباب أى دولة يعطيها القوة والحيوية، وتعتبر بلداً فتية شابة دائماً ولو روعى استغلال طاقات الشباب لأدى ذلك إلى زيادة الإنتاج ومن ثم زيادة الدخل، ولا داعى للخوض فى هذه المسألة كثيراً، وأنقل هنا ما قالته إحدى الصحف عن بلاد قل نسلها، وانقله بنصه للاعتبار، وبدلاً من وضع حلول فاشلة، نعيش الواقع ونضع حلولاً نافعة له والخبر يقول (خبراء غربيون يحذون: أوروبا تتجه للانتحار بسبب نقص المواليد) وتحت هذا العنوان قالت الصحيفة بالحرف (باريس: من مكتب الأهرام: حذر خمسة من الخبراء من خطورة الوضع السكانى فى أوروبا، وأكدوا أن مستقبل أوروبا فى خطر حقيقى بسبب نقص المواليد، واقترحوا خطة

---

(١) جريدة صوت الأزهر، العدد ٢٤٥، الجمعة ١٦ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤/٦/٤م، ص١٣.

لتحريض السكان على مزيد من الإنجاب، وتقديم تسهيلات للشباب لكى يتحمسوا لفكرة الزواج، وجاء فى التقرير وهو بعنوان انقذوا الشباب، إن ظاهرة عدم تجدد الأجيال أصبحت تضرب جميع شعوب أوروبا، وتهدد جيلها الحالى بالشيخوخة، ويطالب التقرير بضرورة اعتماد سياسة طموحة تستهدف زيادة عدد السكان، وقال الخبراء إن ديناميكية أوروبا السكانية والاقتصادية مهددة لأن زيادة السكان تعنى زيادة الاستهلاك. وأكد التقرير أن هذا الخطر ليس جديداً، فقد تنبه له عدد من كبار المؤرخين والساسة فى أوروبا، فذكر المؤرخ الفرنسى المعروف، ريمون أرون: أن الأوروبيين فى طريقهم إلى الانتحار، بسبب عدم الإنجاب، والرئيس فرانسو ميتران كان من أوائل من أدركوا خطورة هذه الظاهرة، عندما قال: إن فرنسا فقيرة فى أبنائها، وكذلك الحال فى أوروبا كلها. أما الرئيس شيراك الحالى فقد أشار إلى أهمية وجود سياسة عائلية طموحة، لأن نقص المواليد يهدد التوازن القائم بين المتطلبات الاجتماعية، وديناميكية الحياة فى فرنسا، وطالب الخبراء بضرورة أن تتبنى أوربا سياسية عاجلة لزيادة مواليدها قبل فوات الأوان)[١] ولا تعليق، فالبخر واضح، والفرق بيننا وما نفعله وبين ما يفعله الغربيون أيضاً واضح.

دعوى العلاقة السيئة بين أولاد الزوجات:

علاقة أولاد الزوجات بعضهم ببعض قد أثاروا حولها القيل والقال، فهؤلاء الأولاد يتعصب أولاد إحدى الزوجات ضد أولاد الأخرى، وهنا تسود الأحقاد والاحتقار، وتسوء العلاقة الاجتماعية والأسرية بين الجميع، وتشتعل نار الغيرة بين الزوجات، ويصبح البيت أو البيوت جميعاً جحيماً لا يطاق وكل هذا أفرزه التعدد بين الزوجات.

---

(١) جريدة الأهرام، ١٨/٢/١٩٩٦م، ص ٥.

والرد فى بساطة شديدة: أن كل هذا ناتج عن سوء التربية والتنشئة، وسوء قوامة الرجل، وتحمل مسئولياته بين الأولاد جميعاً، وحسم الموقف بين الزوجات.. ولقد قرأنا وشاهدنا كثيراً من سوء العلاقة بين الأخوة الأشقاء واشتعال نار الحقد والكراهية بينهم، فلو أحسن الأب قوامته وعدل بين زوجاته وأولاده، لساد الحب والمودة بين الجميع.

الشبه الرابعة: مسألة الحجاب:

خاض السفهاء كثيراً حول جمال المرأة وزينتها، ومن ثم خاضوا حول فرض من فروض الإسلام المتعلق بالمرأة، وقالوا: إن الحجاب الذى يفرضه الإسلام على المرأة يخفى جمالها، ويعوق حركتها وتقدمها، ويقيد حريتها الشخصية فى اختيار ملابسها، ثم إن الحجاب ضرر على صحتها من حيث المضايقة وسقوط شعرها إلى آخر هذه الأراجيف، ونحن نقدم هذا الموضوع بإيجاز، ونقدم له بتمهيد:

الجمال فى الإسلام:

إن الله عز وجل قد أحسن كل شىء خلقه ـ هذه حقيقة ـ قال تعالى ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾(١)، وقد جمّل الله تبارك وتعالى كونه كله من سمائه إلى أرضه فقال تعالى فى شأن جمال السماء وما فيها ﴿ .. وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾(٢) وقال ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾(٣)، وقال

---

(١) السجدة: ٧.
(٢) فصلت: ١٢.
(٣) الحجر: ١٦.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾(١) والآيات هنا كثيرة.. وإذا انتقل الإنسان من تدبر جمال السماء وجال ببصره وبصيرته إلى الجمال فى الأرض، وجد هذا الجمال مبثوثاً حيثما جال، يقول تبارك وتعالى ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾(٢)، ويقول ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾(٣) والآيات فى هذا كثيرة أيضاً.. والله تبارك وتعالى جعل الجمال سمة عامة فى جميع مخلوقاته، وأمر الإنسان أن يتملى هذا الجمال، ليصل من ورائه إلى شكر مبدعه، قال تعالى ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤).. والإسلام يحب الجمال فى كل شيء حتى فى مواجهة الشدائد والأزمات، فعندما أوذى سيدنا يعقوب فى ولده سيدنا يوسف عليهما السلام قال: كما جاء فى الذكر الحكيم ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٥)، وأيضاً لم تجد السيدة عائشة رضى

---

(١) ق: ٦.
(٢) ق: ٧ : ١٢.
(٣) النمل: ٦٠.
(٤) النحل: ٥ : ٨.
(٥) يوسف: ١٨.

الله عنها عندما ابتليت بحديث الإفك إلا ما قاله سيدنا يعقوب ؛.. والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبى يوسف قال ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(١) والمتتبع لنتيجة الصبر الجميل من سيدنا يعقوب، وسيدتنا عائشة ـ عندما ألم بهما ما حدث وصبرا صبراً جميلاً ـ يجد الفرج الجميل، فسيدنا يعقوب تمتع بولده يوسف بلقائه، واعتلا يوسف عرش مصر، والسيدة عائشة لم تجد من يبرؤها إلا ملك الملوك وأنزل فى براءتها قرآناً يتلى إلى يوم الدين، وهذه عبر ودروس نستلهمها ونحن نمضى فى طريق الدعوة إلى الله عز وجل، ويتأكد لنا هذا وسيد الدعاة محمدﷺ يواجه أعتى الطغاة، وهم يقفون عقبة كؤد أمام النور النازل من عند الله تبارك وتعالى، وذلك بقصد الصد عن سبيل الله، والمضى قدماً لنشر دعوة الإسلام، دون الوقوف أمام عقبات وأشواك الكفرة التى يقذفونها فى طريق الدعاة، وهذا درس لهم، فيقول الله تبارك وتعالى للرسول ﷺ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾(٢)، وهذا الصفح الجميل كان فى إحدى مراحل الدعوة، ذهب إلى هذا مجاهد وقتادة وغيرهما وأيد ذلك ابن كثير قال (كان هذا قبل القتال... فإن هذه ـ الآية ـ مكية والقتال إنما شرع بعد الهجرة)(٣).. وجاء الصبر الجميل أيضاً فى قوله تعالى ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾(٤)، وفى قوله تعالى ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخارى، كتاب التفسير، تفسير سورة النور ٨/٣٨٥.
(٢) الحجر: ٨٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٥٦، دار الفكر.
(٤) المعارج: ٥.
(٥) المزمل: ١٠.

وحتى فى العلاقات الاجتماعية وبخاصة العلاقة الزوجية، عندما تتعرض للعواصف، ويكون التسريح، أمر الله تعالى أن يكون جميلاً، ففى آية التخيير أمر الله رسوله أن يخيير أزواجه بين الحياة الدنيا وما فيها وبين الله ورسوله والدار الآخرة وما فيها، فإن اخترن الدنيا فعليه أن يسرحهن سراحاً جميلاً، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١)، وكان هذا بسبب أنهن سألن الزيادة فى النفقة، ولم يكن هذا فى وسع رسول الله ﷺ، جاء فى صحيح البخارى «أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: لما أُمِر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بى فقال: إنى ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك، وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قالت: ففى أى هذا استأمر أبوى، فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبى ﷺ مثل ما فعلت»(٢). ومن التسريح الجميل فى الذكر الحكيم قوله جل ثناؤه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾(٣). وهذا التسريح الجميل فى هذا المجال بالذات يحل مشاكل كثيرة ومفزعة فى البلدان الإسلامية، والتى تؤدى إلى الشقاق، والصراع الاجتماعى، كما أن يُوئد الضغائن فى مهدها، وينشىء بدلاً منها الألفة، وهكذا كان الجمال الربانى فى كل شىء يثمر أطيب وأجمل الثمار.

(١) الأحزاب: ٢٨، ٢٩.
(٢) أخرجه البخارى، كتاب : التفسير، باب: قوله «وإن كنتن تردن الله ورسوله ٨/٤٢٢.
(٣) الأحزاب: ٤٩.

وإذا انتقلنا إلى خلق الله تعالى للإنسان نجد هذا الجمال فى أبدع صوره.. وجعل الله عز وجل جمال الإنسان فوق جمال كونه، بل جعل جمال الكون مسخراً لجمال الإنسان.. فالله تعالى قد خلق الإنسان، وجعله فى أحسن صورة، وأحسن تقويم، قال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١) قال ابن كثير (هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان فى أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سوى الأعضاء حسنها)(٢). وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(٣) وهذا امتنان من الله تعالى على خلقه للإنسان فى هذه الصورة البديعة، وداعياً إياه لينفذ ببصره وبصيرته للتدبر فى إحكام الله تعالى فى خلقه، ومنفراً إياه فى الوقت ذاته من غروره وجهله. ويقول جل ذكره فى معرض بيان إبداع صنعه، وقدته، وعظيم فضله على خلقه فى أجمل صورة يقول ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٤). والآيات فى هذا الشأن كثيرة.

ومن الملفت للنظر أن هذا الخلق الجميل يؤدى رسالته المنوط بها، وفق مراد الله تعالى ومنهاجه، دون ما آن يحيد عن رسالته، كما أنه منضبط تماماً وفق ما خلقه الله تعالى، فما رأينا منه مسخاً، ولا تشويها، ولا تمرداً.

---

(١) التين: ٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٢٧.
(٣) الإنفطار: ٦ ـ ٨.
(٤) المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

ومن فضل الله تعالى أن خلق بالإنسان أجهزة تستقبل هذا الجمال، وتتملاه، وتنعم به، وينعكس هذا على سلوك الإنسان، وعليه أن يقوم بأداء رسالته المكلف بها منسجماً مع كون الله تعالى دون مسخ أو تشويه.. إن فى السنة حديثاً حوى الجمال كله فيقول رسول الله ﷺ «إن الله تعالى جميل يحب الجمال»(١).

إن على الإنسان أن لا يمسخ ويبدل جمال الله تعالى المثبوت فى كونه ـ ومنه الإنسان ـ من إحكام واتقان وإبداع والكائن فى شرعه، والمدون فى كتابه.

المرأة المسلمة بين الجمال والتقاليد الوافدة:

إن من فضل الله تعالى ورحمته أن أرسل للإنسانية رسلاً مبشرين ومنذرين، ليأخذوا بيدها من وحل الجاهلية وظلماتها، إلى الطريق السوى، والنور الهادى.. وكان من تمام فضل الله تعالى ورحمته أن أنزل كتاباً معجزاً على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبين فيه ما أحله الله تعالى، وهو النافع الصالح لتحقق من خلاله مصالحها، وذاتيتها، ولتمضى قدماً فى مناكب الأرض ودروبها معمرة إياها، مستخرجة كنوزها المستكنة.. كما بين فيه من جهة أخرى ما حرمه الله تعالى، ونهى عنه، وهو القبيح والضار والمفسد والمهلك، والمعرقل لموكب الحياة عن مسيرتها المباركة، كما أن انتهاك حرمات الله تعالى يقف حجرة عثرة أمام قافلة النور الهادى المتمثل فى القرآن والسنة، كذلك يقف حاجزاً أمام تلك القافلة معرقلاً مسيرتها نحو هدفها السامى النبيل، من عفة وطهر، وأمن ورخاء، وسعادة أبدية، محاولاً الإمساك بزمامها لجذبها

---

(١) فيض القدير ٢/٢٢٤، دار النهضة الحديثة ط ١٣٩١هـ.

إلى التقهقر والخسران الأبدى... ومن صور المحرمات ما هو خاص بالنساء من سفور وتبرج، وعراء أو شبه عراء، ووصل الشعر أو قصه، ووضع المساحيق.. واستخدام الإصباغ بألوانها المتنوعة.. إلخ وهو ما يطلق عليه عامة (مستحضرات التجميل) إن كثيراً من النساء المسلمات تركن تعاليم الإسلام فى هذا الشأن، واقتحم حمى المجتمعات الإسلامية تقاليد وافدة من هنا وهناك، لمسخ جمال المرأة المسلمة الذى أراده الله تعالى لها، والعمل على تبديل خلق الله تعالى.. وانساق كثير منهن وراء دعوى التقدم والتحضر والمدنية، وأساليب الأناقة المزيفة، وتمخض عن هذا الإنقياد الأعمى أخطاراً جسيمة، وأضراراً مرعبة وكلها تؤدى إلى مسخ هذا الجمال الربانى وأتناولها بإيجاز فيما يلى:

أولاً: أضرار مستحضرات التجميل على الصحة:

إن الإسلام حريص على صحة المسلم وسلامته، ويناشده البعد عن كل ضار ومفسد، يجلب عليه الأمراض، فيصبح هزيلاً وقعيداً، تتناوشه الأمراض من كل جانب، فيقع فريسة سهلة تحت أقدام الأعداء، فلا يستطيع مقاومة، لا عن دينه وشرفه، ولا عن أرضه ونفسه.. والإسلام ينشد القوة النفسية والبدنية الهادفة، لمقاومة الطغاة وبغيهم، وليمضى قدماً فى أرض الله بانيا ومنتجاً، من أجل ذلك حرم عليه الخمر والخنزير والزنا والربا... وجعل العبادات نفسها ممزوجة بالصحة، فالوضوء والغسل والصلاة والصيام الخ تشتمل ـ ضمن ما تشتمل ـ على النظافة والجمال، والوقاية من الأمراض.. ومما حرمة الإسلام مستحضرات التجميل التى فتن بها مسلمات من أجل الأضرار الناجمة عن استخدامها فلقد ثبت علمياً أن أحمر الشفاه وطلاء الأظافر ـ مثلاً ـ من أخطر الأشياء التى تصيب المرأة فأفتك الأمراض، وأشدها خطراً على الإطلاق، وبخاصة مرض السرطان.. ويأتى هذا الوباء اللعين نتيجة استمرار المرأة

لاستخدامها هذه الأشياء، والسبب كما يقول الخبراء والأطباء، أن المواد المستخدمة لتصنيع هذه المستحضرات، مكونة من مواد كيماوية غاية فى الضرر والخطورة، ويتم ذلك بتحلل عناصرها عند استخدامها، ومن المعلوم أن الشفاه التى ترتسم عليها هذه الأصباغ هى الباب الأوحد لدخول الطعام والشراب، والأظافر التى تطلى بهذه الأصباغ تعتمد المرأة عليها فى تجهيز الطعام، ومع مضى الأيام تتسرب هذه المواد السامة ـ بعد التحلل ـ إلى معدة المرأة، وإلى معدة من تعد لهم الطعام، فتتأثر المسكينة، وتصاب بهذا المرض الخبيث ـ السرطان ـ وكذا من تقوم على رعايتهم، وفى الغالب ـ كما يقول الخبراء والأطباء لا تعرف سببه لأن أعراضه وتأثير هذه المواد، لا تظهر إلا بعد مدة قد تطول قليلاً أو كثيراً، على حسب قوة الجسم وضعفه، وقدروها بمدة لا تقل عن عشرة أعوام[1]، هذا بالنسبة لأحمر الشفاه وطلاء الأظافر.. أما بالنسبة للملونات الأخرى الخاصة بالوجه والعيون، فإنها تصيب الوجه بخاصة بتغير رهيب مع دوام الاستعمال، فإذا كان وجه المرأة يبدو ذو نضارة ـ من جراء ذلك ـ فهى مؤقتة، لكن مع تقدم السن تظهر الأعراض المختلفة لبشرة الوجه، من تجاعيد مبكرة، وظهور الألوان المختلفة المرتسمة على الوجه، ويظهر كأنه مشوه أصابه حريق، ولا يمكن إخفاؤه، أو التحايل على إخفائه ويحدث به مسخ وتشويه وتغيير، لكن النساء اللاتى حماهن الله تعالى من هذا واستجبن لأوامره ونواهين فقد سلمن من هذه الأمراض والتشويهات.

ويلاحظ: أن الصيدليات ساهمت إلى حد كبير فى خداع كثير من النساء، وذلك ببيع ما يفسد صحتهن وأخلاقهن.

---

(١) انظر: مجلة نادين، العدد ١٧٨، ١٩٨٣/٩/٢٤م، وذكرت عدداً من الفنانات اصبن بمرض السرطان نتيجة استعمالهن مواد التجميل.

ثانياً: خطر من الناحية الاقتصادية:

قد يبدو من النظرة الأولى أن ههنا العنصر ذو خطر بسيط، أو لا خطر له، لكن البحث الدقيق، والتحقيق العلمى يكشف خلاف ذلك، فهناك الملايين من الجنيهات ضائعة فى هذا المجال، كما هناك عمالة تقدر بالآلاف مسخرة فى هذا النطاق، وهناك علاقات دولية قائمة بسبب هذه التجارة البائرة. فبعض الدول ـ المتقدمة ـ تصدر المواد الخام لهذه الصناعة للدول النامية ـ المتخلفة[١] ـ فى مقابل تصدير المواد الأساسية، وهذا إجحاف فاضح، فمثلاً بعض الدول الإسلامية تستورد كميات ضخمة من المواد الخام لتصنيع مستحضرات التجميل، وقد قدر الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء[٢] حجم هذه الكمية بطن ونصف الطن تقريباً، خلال خمس سنوات فقط ٨٥:٨٩/ ٩٠ كما قدر قيمتها بمائة مليون جنيه، وأوضح أن هذه المواد تجلب من عدة دول منها: أمريكا، فرنسا، سويسرا، ألمانيا، إيطاليا، انجلترا، الصين، اليابان، بليجكا، أسبانيا، استراليا، الاتحاد السوفيتى ـ سابقاً ـ ... إلخ، وعند جلب هذه المواد الخام تقوم عدة مصانع لتصنيعها، وهذا الجدول يوضح ذلك:

البيـــــان	قطاع عام	قطاع خاص	قطاع استثمارى	الإجمالى
عدد المصانع	١	٣٠	١٩	٥٠

وهذه المصانع يقدر المركز قيمة ما تنتجه فى خلال عام واحد ٨٨/ ٨٩ كالتالى:

---

(١) يلاحظ أن الدول الإسلامية واقعة فى نطاق الدول المتخلفة.

(٢) بحث قام به كاتب هذا البحث، وأخذه من قطاع التعبئة العامة للجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء، بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٩٩٠م

اسم المنتج	قطاع عام	قطاع خاص	قطاع استثمارى	الإجمـالى
مستحضرات تجميل	٢٧،٠٠٠	٦٤،٢٣٥	١٩،٥٣٠	١٠٠،٧٦٥

لاحظ: أن القيمة بالمليون دولار.

ونبدى بعض الملاحظات على ما جاء بالتقرير المركزى:

١ ـ أن جهات مسئولة تشجع هذه الصناعة ـ بشكل ما ـ على الرغم أنها ليس لها فائدة على الإطلاق، بل على العكس كلها أضرار.

٢ ـ يتضح من الجدول (١) أن هناك عدداً كبيراً من المصانع المنتجة لهذه المواد، فى حين أن هناك عجزاً كبيراً فى المصانع المنتجة للضرورات الملحة للشعوب الإسلامية.

٣ ـ من قراءة الجدولين يتضح وجود قطاع ثالث ـ القطاع الاستثمارى ـ وهو يتدخل فى مثل هذه الصناعة المفسدة، لكثرة أرباحها، ولوجود سوق رائجة بين نسائنا، وكان الأجدر أن يوجه رأس ماله لإنشاء مصانع لتنمية الموارد الاقتصادية النافعة والتى تساهم فى زيادة دخل الأسرة، وحل المشكلات الاقتصادية التى يئن منها الفرد والمجتمع.

٤ ـ يوجد عدد كبير من العمال المدربين الشباب يعمل فى هذه المصانع، وكان الأولى أن توجه طاقاتها إلى مجالات متعددة مفيدة مثل قطاع الزراعة، والثروة الحيوانية والسمكية، وكذا الصناعات الهادفة، لسد النقص الرهيب الذى تعانى منه البلدان الإسلامية من الإنتاج الغذائى، والذى يجلب أغلبه من الدول الأخرى بديون باهظة وفوائد لها مركبة.

٥ ـ وإذا كان هناك عدة آلاف من العمالة المدربة الشابة تعمل فى

مجال صناعة مستحضرات التجميل فإن هناك آلافاً من الأيدى العاملة تهدر طاقتها وجهودها فى العبث بنسائنا، وذلك فى داخل حوانيت اطلقوا عليها (كوافير) ومن الغريب المريب هنا أنه توجد محلات كوافير يعمل فيها الشباب لتزيين الفتيات، وأخرى تعمل فيها الفتيات لتزيين الشباب، ويعدون هذا إنطلاقة للمرأة، لقدرتها على العمل فى جميع المجالات، وأنها تستطيع منافسة الرجل، ويقاس بهذا مدى تحضر البلاد!!

٦ ـ عند جلوس المرأة للتزيين أمام المرآة فإنها تقضى وقتاً طويلاً ـ قدرته إحدى الفتيات بأكثر من ساعة ـ لوضع هذه المساحيق، ثم تنطلق بها إلى الشارع ليراها كل من هب ودب، وهذا وقت ضائع لا جدوى من ورائه.

٧ ـ رغم أن دخل الفرد منحدر للغاية إلا أن المرأة تستقطع جزءاً من راتبها ـ إذا كانت عاملة ـ أو جزءاً من دخل بعلها لشراء ما يلزم مكياجها وهذا ولا شك يكون على حساب ضروريات الحياة المعيشية الملحة، والمعروف أن أسعار هـه الأشياء باهظة الثمن.

٨ ـ يساعد كل هذا وسائل الإعلان المختلفة ـ المرئية والمسموعة والمقروءة ـ فتساهم مساهمة جبارة ـ بما أوتيت من إمكانات ـ فى انتشار هذه السلع الضارة المفسدة، ولو شاهدت مثلاً التلفاز فى إحدى فقرات الإعلان، فلن تعدم امرأة خليعة تبين للنساء كيفية وضع هذه المساحيق، ومدى ضرورتها لأناقتها، ويتم كل هذا بطريق إغراء رهيب يستحى القلم من تسجيله هنا.

ثالثاً: خطر من الناحية الاجتماعية:

إن العلاقات الاجتماعية متدنية إلى الحضيض، وبخاصة بين الشباب والشابات، وغارقة فى الوحل والدنس، ومستحضرات التجميل لها دور أساسى فى هذا التدنى والتدهور، ويتضح هذا فيما يلى:

١ ـ تخرج المرأة فى أبهى زينتها إلى الشارع، فتتساقط عليها النظرات من كل جانب، متفحصة ما بها وما عليها. ويسفر هذا عن تعرضها للقيل والقال، بل قد يعرضها للخطر، كما أنها بمظهرها السافر تدفع الشباب إلى أخطار تؤدى إلى ارتكاب ما لا يحمده عقباه.

٢ ـ أن محلات الكوافير ـ والتى وضع بذرتها الأولى فى بلاد المسلمين أعداء الإسلام(١) ـ أغلبها يدير أعمالاً مخلة لا يقرها شرع ولا قانون، مثل المخدرات وحبوب الهلوسة بأنواعها المختلفة، ولا يجادل أحد فيما يسفر عن تعاطيها.. وكذلك يقوم أصحاب الكوافير ـ فى الغالب أيضاً ـ بعقد صفقات خاسرة بين الشباب والفتيات، وذلك بوعدهم بالزواج، ومن ثم يقومون بترتيب اللقاءات والمواعيد، وبعد فترة تتكشف الحقيقة المرة، وهى الدجل والغش والخداع، وتوقع الفتاة أسرتها فى مشكل طاحنة لا قبل لهم بها، هذا فضلاً عن سلوك صاحب الكوافير المشين.

٣ ـ إن الممثلات والمغنيات والراقصات والمذيعات، وأغلب القيادات النسائية، إن هؤلاء جميعاً يحرصن على وضع المساحيق، ويتزين بأدوات التجميل المختلفة، وهؤلاء لهن تأثير السحر على بقية نساء المجتمعات، ويقلدونهن، حيث يعتبرونهن المثل والقدوة، كل هذا يتم دون مراعاة لأحكام الإسلام، والإقتداء بالصالحات العفيفات، ويتم هذا تحت ستار الحضارة والموضة والتحرر، وقد ذكرت إحدى الصحف ما هو خطير وفظيع وذلك بأن تقوم بعض النساء الشهيرات بعمليات تجميل فى مناطق متعددة من جسم المرأة مثل شد الوجه وتغيير الأنف، وتصليح الذقن، والجفون، وعمليات تحجيم

---

(١) انظر: فقه السنة الشيخ سيد سابق ١٨٨/٧.

وتصنيع ثدى المرأة وفق ما تريد إلخ[١] وهذه العمليات مكلفة للغاية، وباهظة الثمن، وهى فى غاية الخطورة والضرر الجسيم على المرأة، وقد ذكرت المجلة الكثير من الأسماء اللاتى قمن بهذا العمل المشين والمشوة والمغير لخلق الله تعالى بدون أية علة إلا بالظهور والشهرة.

٤ ـ لوحظ أن السياح السيدات يسرفن فى وضع المساحيق، مع ارتدائهن الملابس الخليعة، مما يجعل بناتنا عرضة لتقيدهن، بحكم تقدمهم المادى، وغلبهم إيانا فى بعض الميادين، فالتقليد هنا له خلفياته، مع وجود مركب النقص الذى استحكم فى بعض النفوس المريضة.

٥ ـ فى العادة أن المرأة التى تضع المساحيق تكون سافرة، مرتدية الملابس الرقيقة والمجسمة، فتظهر عوراتها، وهذا ولا شك يؤدى إلى التفسخ الخلقى، ولو أضيف إلى هذا الإختلاط بين الشباب والشابات فى المواصلات والمسارح والسينمات، وعلى شواطىء البحار، والمنتزهات والحدائق ـ وللأسف ـ فى دور العلم من مدارس وجامعات، ومهرجانات تصفيف الشعر وملكات الجمال الخ، فإن التفسخ الخلقى والاجتماعى يشتعل سعاره، مما يتمخض عنه عواقب وخيمة من العبث، وضياع الوقت، وعدم الإكترات بالعمل المفيد، وتحصيل العلم، وقضاء المنافع والمصالح الخاصة والعامة، والصراع النفسى، والوعود الكاذبة، والتخيل والسرحان، وأحلام اليقظة، وممارسة العبث الجنسى، والإنغماس فى الجرى وراء قصص الحب الوهمية الخ.

وهكذا كانت المساحيق والسفور والاختلاط إحدى عوامل الصراع

---

(١) انظر: مجلة حريتى، الأحد، ٢ ربيع الآخر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣/٩/١٩م، العدد ١٨٩، ص٥١.

الاجتماعى والتشتت والضياع،والتفسخ الأخلاقى، ومرتعاً خصباً لإشاعة الفاحشة، والتمزق الأسرى.

الناحية الإسلامية:

إن الإسلام كرم الجنس البشرى كله ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١) وكرم الموحدين المتقين منه أفضل تكريم ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٢) وكما كرم الإسلام الرجل المسلم كرم المرأة المسلمة، فأعطاها حقوقها التى سلبتها منها البشرية فى عصورها الجاهلة، فكانت مهيضة الجانب، مسلوبة الحرية، مهضومة الحقوق، وكانت فى بعض المجتمعات وفى بعض الديانات - وللأسف قائمة إلى الآن - تعد شيطانة، ولا يجوز الإقتراب منها، لأن ظلها هو الآخر ظل شيطان، وكانت تباع وتشترى بثمن بخس، جاء الإسلام وهى فى هذه الحالة البغيضة، فحررها من هذه الأفكار المتبلدة، وأعلى من إنسانيتها، وجعل لها حق الاختيار، وحق التملك، وحق البيع والشراء، وحق التصرف، وحق التعلم، وحق فى الميراث الخ، وحافظ على شرفها وعرضها، وكبح جماح الطامعين فيها، والباغين عليها، ورفع مكانتها، وأعلى منزلتها - كما سبق بيانه أكثر من مرة - كل ذلك دون أن ترفع صوتاً، أو تقوم بإضراب، أو اعتصام، أو مظاهرات، أو إراقة نقطة دم واحدة، كما حدث فى البلاد الغربية.. وعندما طلب الإسلام من المرأة المسلمة عدم السفور، وكشف عوراتها وتبرجها، وعدم وضع المساحيق أمام الأجانب عنها، وعدم الاختلاط، ليس

---

(١) الإسراء: ٧٠.
(٢) الحجرات: ١٣.

هذا امتهاناً لها، أو هضماً لحق من حقوقها، بل حفاظاً على طهارتها وسمعتها، وشرفها وصيانتها وعفتها، حتى لا تكون مبتذلة ضائعة، رخيصة، ومن هنا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية توضح للمرأة المسلمة هذا السلوك العفيف النقى، لتحظى بالطمأنينة والكرامة فى دنيا الناس، كما تحظى برضا ورضوان الله تعالى فى الآخرة وهذا هو الجمال الحقيقى.

بعض الآيات:

يقول تبارك وتعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١] وهاتان الآيتان وإن كانتا أمراً من الله تعالى لنساء النبى ﷺ فنساء الأمة تبع لهن كما قال ابن كثير[٢]. وقال جل ثناؤه ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣] وحرمة السفور ووضع المساحيق، وإبراز

---

(١) الأحزاب: ٣٢، ٣٣.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٤٨٢.
(٣) النور: ٣١.

المفاتن واضح جلى فى هذه الآية.. ويلاحظ الحصر فى الآية لمن يجوز للمرأة إبداء زينتها أمامهم، أما ما عداهم فلا.. ويقول جل من قائل ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١).

والأمر هنا وفيما سبق ليس ندباً أو فضيلة بل هو للوجوب، ليس للمرأة أو لمن يعولها خيار ـ إن شاء عمل به وإن شاء ترك ـ بل فرض لازم، حرصاً من الإسلام عليها.. وقال تبارك وتعالى ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢) وإذا كانت المرأة بلغت سن اليأس ـ من انقطاع حيض ومن ثم ولد ـ ولا تتشوف إلى التزوج، وأمرها الإسلام ألا تتبرج بزينة، فكيف بالفتاة المرغوبة.

بعض الأحاديث:

إن السنة النبوية سبحت سبحاً طويلاً وأكدت وفصلت ما جاء فى الذكر الحكيم فى بيان حرمة التبرج على أى وجه، حتى يصان للمجتمع حرمته، وتكون العفة مرآته، ومعلوم أن التبرج هو: إظهار الزينة، وما يستدعى به شهوة الرجل، ومنه التكسر فى المشى والتبختر، وإظهار زينة المرأة للناس الأجانب كما قال ابن منظور(٣)، وقال ابن كثير (والتبرج أنها ـ أى المرأة ـ تلقى خمارها على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك

---

(١) الأحزاب: ٥٩.
(٢) النور: ٦٠.
(٣) انظر: لسان العرب ١/٢٤٣.

كله)[١]، ومعلوم شرعاً أن جسم المرأة كله عورة ما عدا الوجه واليدين. «عن علقمة عن عبد الله قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى، مالى لا ألعن من لعن النبى ﷺ وهو فى كتاب الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٢]». والنماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما، قال أبو داود (النامصة التى تنقش الحاجب حتى ترققه، والمتنمصة المعمول بها)[٣]، وقال رسول الله ﷺ «لعن الله الواصلة والمستوصلة»[٤]، ووصل الشعر: أى الزيادة فيه من غيره.. والواصلة: هى التى تصل الشعر سواء أكان لنفسها أم لغيرها.. والمستوصلة: هى المرأة التى تطلب فعل ذلك أو يفعل بها.. وقال ابن حجر (وكما يحرم على المرأة الزيادة فى شعر رأسها يحرم عليها حلق رأسها بغير ضرورة)[٥]، «وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»[٦]، «وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعن النبى ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال: أخرجوهم من بيوتكم قال: فأخرج النبى ﷺ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٨٢، ٨٣.

(٢) أخرجه البخارى، كتاب: اللباس، باب: المتفلجات للحسن ١٠/٣٠٦، والآية من سورة الحشر رقم ٧.

(٣) فتح البارى لابن حجر ١٠/٣١٠، ولسان العرب لابن منظور ٦/٤٥٤٧ دار المعارف.

(٤) أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمرو وغيره، كتاب: اللباس، باب وصل الشعر ١٠/٣٠٧.

(٥) فتح البارى ١٠/٣٠٧.

(٦) أخرجه البخارى، كتاب: اللباس، باب: المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال ١٠/٢٧٣.

فلاناً وأخرج عمر فلانة»[١]، «وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[٢]، وقال رسول الله ﷺ «إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى زانية»[٣]. هذا والأحاديث فى هذا الأمر كثيرة، مما يؤكد حرمة التبرج، واستخدام مستحضرات التجميل وما يسفر عن هذا من أضرار، ومن غضب الرحمان، من الركون والاستسلام للعادات المجلوبة من أعداء الإسلام، وتغيير خلق الله والجمال الذى أبدعه فيها بتشويهات سخيمة، ويتأكد هذا مرة بعد أخرى وذلك فى قوله الله تبارك وتعالى ﴿إن يدْعُون من دُونه إلاَّ إناثا وإن يدْعُون إلاَّ شيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لعنَهُ اللَّهُ وَقَال لأَتَّخذَنَّ منْ عبادك نصيبا مَّفْرُوضًا (١١٨) ولأُضلَّنَّهُمْ ولأُمَنِّيَنَّهُمْ ولآمُرنَّهُمْ فلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعام ولآمُرنَّهُمْ فلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّه ومن يتَّخذ الشَّيْطَانَ ولِيًّا مِّن دُون اللَّه فقَدْ خسر خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يعدُهُمْ ويمنِّيهمْ وما يعدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُورًا (١٢٠) أُوْلَئك مأْواهُمْ جهَنَّمُ ولا يجدُون عنْها محيصًا﴾[٤].

خامساً: أحكام فقهية:

يتعلق بهذا الموضوع أحكام وجب التنبيه عليها.

---

(١) أخرجه البخارى، كتاب: اللباس، باب: إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت ١٠/٢٧٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات ١٤/١٠٩، ١١٠، ومعن اسنمة البخت: سنام البعير أعلى ظهره، والمراد: السافرات اللاتى يجمعن شعورهن فوق رؤسهن، وهذا الحديث من معجزات رسول الله فقد وقع هذا، كما قال: النوورى.

(٣) فيض القديز للسيوطى شرح المناوى ١/٢٧٦، ورمز له بالحسن.

(٤) النساء: ١١٧: ١٢١.

(أ) أجمع علماء المذاهب الأربعة على وجوب إزالة كل حائل يمنع وصول الماء إلى ما تحته فى الوضوء والغسل[١]، وعلى هذا فالمرأة التى تضع على أظفارها هذا الطلاء لا يصح لها صلاة، لأن وضوءها أو غسلها باطل، وذلك للحائل الذى وضعته دون حاجة.

(ب) أحمر الشفاه مبطل للصيام، وذلك لتسرب هذا الطلاء إلى المعدة عن طريق ابتلاع الريق.. ومن المعروف أن هذا الطلاء ـ أحمر الشفاه ـ سائل مائع ويتحلل شيئاً فشيئاً داخل الحلق، وإذا حدث هذا فلا شك فى فساد صومها. قالت المالكية (يفسد الصوم أمور... رابعاً: وصول مائع إلى الحلق من فم أو أذن أو أنف، سواء كان المائع ماء أو غيره، وصل عمداً أو سهواً أو غلبة)[٢].

(جـ) الذى يعمل فى الكوافير ـ من رجال ونساء ـ مطعمه حرام، لأنه يعمل فى مجال ضار ومفسد، وعليه أن يختار عملاً شريفاً يطيب به مطعمه، ومطعم أولاده وينفع به مجتمعه، ويساهم فى صلاحه وتقدمه.

(د) الرجل الذى يسمح لابنته أو زوجته أو أخته للذهاب للكوافير، ويعطيها مالاً لهذا، فقد أساء التصرف، والله تعالى سوف يحاسبه عنهم وعن ماله فيماأنفقه.

سادساً: تحديد المسئولية:

إن تحديد المسئولية تجاه أى عمل يؤدى إلى النجاح فيه، ونجاح القائمين به، وتحديد المسئولية فيما نحن بصدده يقضى على هذه الظاهرة المتفشية الخطيرة، والمسئولية هنا متشعبة، وتقع على عاتق عدة جهات، وعند توحدها

---

(١) انظر: الفقه على المذاهب الأربعة ص ٩٧، طـ وزارة الأوقاف.

(٢) المرجع السابق ص ٥٣٠.

وتتجه جميعها إلى طريق النور الهادى، طريق العفة والشرف، والغيرة على الأعراض، المتمثل فى الكتاب المجيد، والسنة الشريفة، إذا صدقت النيات فإن هذا الوباء الذى تفشى، ونشب أظفاره، وعمل عمله فى بلاد المسلمين فإنه زائل لا محالة بعون الله تعالى.

ـ إن للأسرة مسئولية كبيرة حول تنشئة الفتاة المسلمة، وتربيتها ـ منذ الصغر ـ على حب الإسلام وتعاليمه، من العفاف والتستر والحجاب، وتنفيرها من السفور ووضع المساحيق وأخطار كل هذا، يقول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾(١)، قال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصيته، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية قذعتهم وزجرتهم عنها، ليكون ذلك تمريناً لهم على العبادة، لكى يبلغوا وهم مستمرون على العبادة والطاعة، ومجانبة المعاصى وترك المنكر(٢)، وقال القرطبى: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب(٣).

وقال عبد الله بن عمر: أدب ابنك فإنك مسئول عنه، ماذا أدبته، وماذا علمته؟(٤) وفى السنة حديثاً جميلاً وعد المسئولين عن تنشئة بناتهم النشأة الإسلامية بأفضل ما يرجوه مسلم، ألا وهو الجنة والبعد عن النار «فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الل ﷺ: من ابتلى من البنات بشىء فأحسن

---

(١) التحريم: ٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٩١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٨/٦٦٧٥، الشعب.
(٤) تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية ص ١٧٦، ١٧٧.

إليهن كن له ستراً من النار»(١)، «وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه»(٢) قال النووى (ومعنى عالهما: قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما، مأخوذ من العول وهو القرب)(٣).. إن الرجل الذى لا يغار على شرفه وعرضه يطلق الإسلام عليه: الرجل الديوث.. ومن لا يغار لا يكون متجملاً بجمال الشريعة الإسلامية.. وفى السنة «إن الله يغار وغيرةُ الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله»(٤)، وفيها «ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش»(٥)، وفيها أيضاً «قال سعد بن عبادة لو رأيتُ رجلاً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مُصْفِح فقال النبى ﷺ: أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه والله أغير منى»(٦)، هذا وفى السنة أحاديث كثيرة تظهر غيرة السلف الصالح على نسائهم، فهلا أقتدت الأسرة المسلمة بهم.

- وإن على دور التربية والتعليم دوراً لا ينبغى تجاهله، ومسئوليتها فى تربية بناتنا على الشغف بالفضائل والعفاف، وأن تقدم لهن المناهج التربوية الإسلامية وبخاصة فى هذا الشأن، لماذا - مثلاً - لا يقدم لهن دراسة وافية حول ستر عوراتهن، وعدم الإبتذل والتبرج للمسلم وغير المسلم، وسوق النماذج الطاهرة من زوجات سلفنا الصالح، وسرعة الإستجابة والتوجه إلى المنهاج الربانى.

(١، ٢) أخرجهما مسلم فى كتاب: البر والصلة، باب: فضل الإحسان إلى البنات ١٦/١٧٩، ١٨٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٨٠.

(٤، ٥) أخرجهما البخارى، كتاب: النكاح، باب: الغيرة ٩/٢٦٣.

(٦) أخرجه البخارى فى الكتاب والباب السابقين ٩/٣٦٢.

إن السيدة عائشة رضى الله عنها أشادت بفضل المرأة المسلمة، وسرعة إستجابتها لأمر رب العالمين وكذا استجابة المسئول عنها «ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكنى والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد نزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ فانقلب رجالهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين متعجرات كأن على رؤسهن الغربان»[1]، والتاريخ الإسلامى لا ينسى أسماء بنت أبى بكر ولماذا أطلق عليها أسماء ذات النطاقين؟ والنماذج هنا كثيرة ومشرفة.. إن هذا يجب أن يكون محل اهتمام أمام المربين لبناتنا فى دور التربية والتعليم فى جميع المراحل.. وفى الوقت ذاته الإزدراء من السافرات، وبيان خروجهن عن تعاليم الإسلام.

ـ وإن للحكومات فى البلدان الإسلامية دوراً لا يمكن أن يستهان به فى طهارة المجتمع وعفافه من هذا الدنس، وهذا المرض المتفشى المهلك.. فالإختلاط وما يفرزه من مفاسد، ومحلات الكوافير، ومهرجات تصفيف الشعر، ومسابقات ملكات الجمال، وعروض الأزياء، ومصانع وشركات توزيع أدوات التجميل، والسباحة المائية والحفلات.. إلخ يجب أن يصدر قرار جرىء من مسلم غيور مسئول، لطهارة المجتمعات الإسلامية من هذه الأرجاس، وتحكيم شرع الله تعالى بدلاً من تحكيم أساليب علمانية، ونظريات فرويدية صهيونية، ليست لنا ولسنا لها، وفى السنة «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده

---

(١) فتح البارى لابن حجر ٣٩٧/٨.

فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته،[١] فالحديث أعطانا المنهاج فى تحديد المسئولية لكى نفلح فى اجتزاز هذا الخطر الوافد.

إن حكومة سقطت، ورئيساً عزل بسبب التهاون فى سفور وتبرج نساء مجتمعه، قال الشيخ محمد رشيد رضا (حدثنى الأمير شكيب ارسلان فى جنيف سويسره عن طلعت باشا الصدر الأعظم أن عاهل الألمان لما زار الإستانة فى أثناء الحرب، ورأى النساء التركيات سافرات متبرجات عزله على ذلك، وذكر له ما فيه من المفاسد الأدبية، والمضار الاقتصادية التى تئن منها أوربا، وتعجز عن تلافيها.. وقال له: إن لكم وقاية من ذلك كله بالدين، أفتزيلونها بأيديكم؟)[٢]، فيجب أن تحمل الرعية إلى الطريق السوى، وأن تسد أمامها ذرائع الفتنة، وروافد الفساد.. وقد قال ابن تيمية (إن الذريعة إلى الفساد يجب سدها)[٣]، إن المتتبع لتدهور الأمم يجد من أسبابه: الفسق والفجور والعراء يقول: اندريا مورا ـ كاتب فرنسى ـ (من أهم أسباب انهيار فرنسا ـ فى الحرب العالمية الثانية ـ هو تفسخ الشعب الفرنسى نتيجة لإنتشار الرذيلة بين أفراده، وهذا ما حدا بالجنرال ديجول فى أعقاب تسلمه زمام السلطة لأن يستدعى رئيس شرطة باريس ويقول له: أغلق لى هذه المواخير، وأوكار الخنافس فى عاصمتى)[٤].. إن المرأة المسلمة فى الدول الإسلامية يجب أن تكون قدوة لأخواتها المسلمات فى المجتمعات الأخرى ـ وبخاصة الغربية ـ فى فرنسا قامت فتاتان مسلمتان ووضعتا الخمار على رؤسهما وتجملتا به وفق

---

(١) أخرجه البخارى، كتاب: النكاح، باب المرأة راعية فى بيت زوجها ٢٤٦/٩.
(٢) الخلافة ص ١٥٥.
(٣) حجاب المرأة المسلمة.. ص ٨ حققه وعلق عليه محمد ناصر الألبانى.
(٤) من كتاب: الإسلام والجنس، فتحى يكن ص ٦٤ مؤسسة الرسالة.

تعاليم الإسلام، فقامت فرنسا على بكرة أبيها، ونادت بفصل الطالبتين من المدرسة بحجة أن هذا الزى مخالف لتقاليد المدرسة، فنهض الرأى العام المسلم فى فرنسا ـ يوجد فى فرنسا ثلاثة ملايين مسلم ـ بعد أن وجدوا الرأى العام الفرنسى يهاجم الإسلام والمسلمين فى كل وسائل الإعلان، وتمسكت الطالبتان مع أسريتهما بحقوقهما، وقامت معارك كلامية عنيفة.. وأخيراً خضعت السلطات لصوت الحق، وقضت بحق الفتاة المسلمة أن ترتدى الخمار فى المدارس الفرنسية(١). فلا يعقل أن تجاهد الفتاة المسلمة فى بلاد الغرب فى سبيل تعاليم إسلامها، وتتراجع المرأة المسلمة فى بلاد الشرق الإسلامى العربى إلى الجاهلية الأولى، مخذلة بذلك نفسها وأخواتها فى كل بلاد الدنيا، متتبعة صيحات كل ناعق، ضاربة بتعاليم دينها وراء ظهرها. جاء فى السنة قول رسول الله ﷺ «لتتبعن سَنن من كان قبلكم شبرا شبرا، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم، قلنا يارسول الله: اليهود والنصارى، قال: فمن»(٢).

ـ وإن لوسائل الإعلان المختلفة مسئولية خطيرة، فبدلاً من نشر وإذاعة وتحسين التبرج والسفور، ووسائل التجميل المزيفة، بدلاً من ذلك تعمل على نشر الفضيلة والحجاب وتحسينه فى قلوب وعيون الرجال والنساء على حد سواء، ولا تكن سبباً فى إشاعة وتزيين السفور بينهم.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) انظر: مجلة آخر ساعة، العدد: ٢٨٧٦، ١٩٨٩/١٢/٦م، ص ١٨، ١٩.
(٢) أخرجه البخارى عن أبى سعيد الخدرى فى كتاب: الإعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبى ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم ٢٥٦/١٣.
(٣) النور: ١٩.

﴿وعد اللهُ الَّذين آمنوا منكمْ وعَملُوا الصَّالحات ليستخلفنَّهمْ في الأرْض كما استخْلف الَّذين من قبْلهمْ ولَيُمكِّننَّ لهُمْ دينهُمُ الَّذي ارْتضىٰ لهُمْ ولَيُبدِّلنَّهُم مّنْ بعْد خوْفهمْ أمْنًا يعْبُدُونني لا يُشْركُون بي شيْئًا ومن كفر بعْد ذلك فأُولٰئك هُمُ الفاسقُون﴾(١).

ولنقرأ أخيراً هذه الدراسة العلمية حول دعوى تساقط الشعر بسبب لبس الحجاب، فتحت عنوان (الحجاب برىء من تساقط الشعر) قالت الجريدة (يزعم الذين فى قلوبهم مرض أن الحجاب يعد واحداً من أهم أسباب سقوط الشعر، وتشويه جمال المرأة، تؤكد د/ مى السماحى أستاذ الطب التجميلى جامعة عين شمس: أن الحجاب برىء تماماً من أى تأثير سلبى يحدث للشعر، فقد أكدت البحوث العلمية التى أجريت على عدد من النساء المحجبات وغير المحجبات، أن الحجاب ليس له أية صلة بتساقط الشعر أو تقصفه بل على العكس، فالحجاب يحفظ الشعر من عوامل البيئة ويحميه، وإن كنا نفضل أن يكون الحجاب قطنى، لأنه صحى بالنسبة للشعر والبشرة، وتشير الدكتورة إلى أن تساقط الشعر يرجع إلى أمرين لا ثالث لهما. الحالة النفسية غير المستقرة، والحالة الصحية العامة... ويؤكد د/ محمد ندا أستاذ الأمراض الجلدية بجامعة القاهرة: أن الحجاب حماية للشعر، فتيارات الهواء، وأشعة الشمس المباشرة تؤدى إلى فقدان الشعر لنعومته، وشحوب لونه وضعفه، كما ثبت أن تهوية الشعر لا تؤثر فى تغذيته، لأن الجزء الظاهر من الشعر على سطح الرأس خلايا ليس بها حياة، حيث يتغذى الشعر من الأوعية الدموية داخل الجلد)(٢) هل

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) جريدة صوت الأزهر، الجمعة ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/١٣/٨/٢٠٠٤م، ص١٣.

تكف المرأة السافرة عما هى فيه من سفور وتبرج، وتعود إلى رحاب الإسلام، وهل تفخر المرأة المحجبة بحجابها، وتحمد الله تعالى على ما فرض عليها ما يحفظها ويصونها

ترويح: وفى نهاية هذه المسألة أود الترفيه والترويح عن القارىء بهذا الخبر وأنقله بنصه.

قالت الجريدة (عمليات تجميل للكلاب!! الطلاب ضربت رقماً قياسياً فى الخضوع لعمليات جراحية من أجل التجميل خاصة فى بلدة بيفرلى هيلز الشهيرة بالأثرياء، وأصحاب الملايين بولاية كاليفورنيا الأمريكية!! فى هذه البلدة يتم إجراء ٢٠٠ عملية تجميل يومياً للكلاب، ومعظم هذه العمليات تتم فى وجه وفم الكلب ليبدو أكثر جمالاً!!)(١) هل هذا هو الجمال المطلوب!!!

---

(١) جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩٩٤/٨/٦م.

الفصل الثالث

نماذج من الداعيات عبر التاريخ

تمهيد:

إن المرأة الداعية إلى سبيل ربها لا يعدمها الباحث عبر تاريخ البشرية، وفى أى مرحلة من مراحل الأزمان، يجد كثيرات منهن فى محراب الدعوة، والعمل فى حقلها المزهر.. تبذل أقصى الجهد فى سبيل رضوان الله تعالى مثلها مثل الرجل الداعية.. وسوف اذكر نماذج منهن عبر التاريخ منذ بداية وجود الإنسان على ظهر الأرض حتى عصرنا الحاضر.. وذلك ليتأكد للأخت المسلمة الداعية أنها ليست بدعاً فى هذا الميدان.. ولتعقد العزم وتمضى فى مواكب الدعوة إلى الله عز وجل.. فلا تترك معروفاً إلا وقالت به، ولا منكراً إلا ونهت عنه، ولا خيراً إلا فعلته، ولا شراً إلا ونأت عنه.. ولها فيمن سبقنها قدوات صالحات، ذكرهن التاريخ بكل إجلال وتقدير... ولن اذكر الآن كيفية إعداد المرأة الداعية، ولا أسلوبها، ولا مجالاتها فى الدعوة.. فعند ذكر النماذج سوف يتضح هذا جلياً.

وأتناول فى هذه النماذج عدة نساء لهن مواقف فذة ومشرفة.. إلا أن الذى أود أن أشير إليه هنا أننى لم ولن أستطيع ذكر كل النساء الداعيات فهذا أمر يطول بيانه، بل ربما يقضى الإنسان حياته كلها فى ذكرهن.. لذا كانت هذه النماذج البسيطة، ولن أتناول هذه النماذج بالتفصيل من حيث مولدونسب ووفات كل داعية، وترجمة وافية لكل حياتها، ومواقفها الدعوية كلها، فهذا هو الآخر أمر يطول بيانه، لكنى كما اقتصر على بعض النماذج سوف اقتصر على بعض المواقف الدعوية منهن.

النموذج الأول: أم البشر:

لا ينبغى لنا أن نمضى قدماً فى ذكر بعض النماذج للصالحات الداعيات إلى الله عز وجل بالأقوال أو بالفعال دون الوقوف ولو لحظة احتراماً وتقديراً، وتحية إجلال لأم البشر على الإطلاق وأصل من أصلين لكل إنسان ذكراً كان أو أنثى، ولقد تفرع من هذين الأصلين الجنس البشرى كله، وكان الأصل واحداً - زوج وزوجة آدم وحواء[1] - لتعتبر البشرية على كر الزمان، وعبر تاريخ الحياة كلها، طالت أم قصرت، وعلى اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأماكن تواجدهم بل وعلى اختلاف عقائدهم إنهم جميعاً من أصل واحد.. وبهذا - لو اعتبر الطغاة - لا استكبار ولا تعالى، ولا ظلم، ولا قتل، ولا حقد، ولا تخريب ولا تدمير، والفرق الوحيد هو التقوى، ومعرفة الله عز وجل.. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢).

إن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام من تراب - كما هو معروف - وخلق حواء عليها السلام من آدم - كما هو معروف أيضاً - لتكون سكناً له، كما يكون هو سكن لها.. فآدم أبو البشر، وحواء أم البشر على الإطلاق، ودون منازع إلا من من فقد عقله.

ولقد ذكر القرآن الكريم آدم وزوجه فى أكثر من موضع، من ذلك فى

---

(١) وهذا رد على من يقول لماذا لم يتزوج آدم بأكثر من زوجة؟ وعلى هذا فلا يجوز التعدد. أقول: إذا كان البشر كل البشر من أب واحد وأم واحدة. وقد دب بينهم الصراع والشقاق والقتل وسفك الدماء، وإثارة النعرات العصبية والقبلية والحضارية إلخ مخازى البشرية، فكيف لو كان آدم عليه السلام تزوج بأكثر من زوجة. ألا فليعتبر المغفلون.

(٢) الحجرات: ١٣

مسألة خلقهما، وإسكانهما الجنة، والأمر بالآكل رغداً حيثما شاءا إلا من شجرة بعينها، وذكر معاً فى مسألة إغواء إبليس لهما، وما حدث لهما نتيجة تلك المخالفة ـ وهى الأكل من تلك الشجرة إلخ، وكما سبق بيانه لم يذكر القرآن الكريم موقفاً واحداً، فى آية واحدة من آياته الكثيرة المحكمة أن حواء هى التى أغوت آدم من الأكل من الشجرة المحرمة.. وعلى هذا نقول:

ـ إن حواء مبرأة تماماً فى الإسلام من إغواء آدم، وتحملت المسئولية كاملة فى هذا مثلها مثل آدم عليهما السلام، وليس لأحدهما إغواء للآخر، كما تذكر الكتب المحرفة.

ـ إن حواء كانت مع زوجها نعمت الزوجة هى، فلم تذكر لنا الكتب المعتبرة أن حواء عصت زوجها فى أى شأن من شئون الحياة.. فكانت زوجة صالحة تقية، تعاونت مع زوجها فى مكابدة الحياة على الأرض، وبخاصة أنهما كانا أول من سكن الأرض، والحياة بكل جزئياتها عليهما جديدة بكراً.. وعاشا حياتهما فى قمة السمو والرقى البشرى، والأخلاق النبيلة، وبخاصة أنها كانت زوجة نبى ورسول، لأن آدم عليه السلام كان نبياً ورسولاً ـ كما هو معلوم ـ ولنضرب صفحاً عما يقوله المتقولون الجاهلون الذى يبنون نظرياتهم على الظن والتخمين، والتحليل الباهت المردود.. وذلك مثل قولهم بنظرية التطور فى خلق الإنسان وأن تطوره جاء بعد أن عاش ردحاً من الزمن قرداً.

والذى نود التأكيد عليه أن حواء أم البشر كانت زوجة صالحة وتقية ومطيعة لزوجها، ولم يشتك آدم عليه السلام منها مرة واحدة، حيث لم يثبت ذلك إطلاقاً فى المراجع الموثقة كما لم يذكر القرآن الكريم ذلك.

ـ إن حواء عليها السلام كانت زوجة صابرة تحملت أعباء الحياة الجديدة بكل ما فيها من ابتلاءات، وهذا ظاهر فى عدة مواقف لها من ذلك:

الموقف الأول: أنها حملت ووضعت أكثر من عشرين مرة، وفى كل مرة كانت تلد توأماً، أحدهما ذكر والثانى أنثى.. وقد تحملت كل هذا فى صبر.. ولم نر أو نقرأ عن امرأة أنجبت مثل هذا العدد(١).

الموقف الثانى: أنها رأت وعايشت مقتل هابيل وهو ولدها وقاتله قابيل وهو الآخر ولدها.. وهذا من أصعب المواقف على الأم.

الموقف الثالث: ثبت أن آدم مات قبل حواء بسنة على أرجح الأقوال، وعلى هذا فقد واجهت الحياة وهى مترملة بعد وفاة زوجها، وشريك عمرها، وتحملت صعاب الفرقة.

الموقف الرابع: أن حواء كانت مؤمنة صادقة فى إيمانها، ولم تلجأ أبداً إلى الشعوذة، أو اتباع الشيطان بعد أن ابتليت وزوجها آدم بوسوسته، نقول هذا لأن فى بعض الكتب (لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره)(٣).

وهذا الكلام غير صحيح، ولا يصح أن يقع من حواء.. وما كان لها أن تقع فى حبائل إبليس، وعهدها بوسوته قريب، وزوجها نبى ورسول، وما كان يحدث هذا تحت سمعه وبصره، ولا يرده، فهذا تقاول عليها وإفتراء.. وقد فند ابن كثير هذا القول تفنيداً رائعاً، وأجاد عند تفسيره لقوله تبارك وتعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ١/١١١.
(٢) انظر المرجع السابق ١/١١٤.
(٣) المرجع السابق ١/١١١.

الشَاكرين ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١].. وبعد تفنيده لما نسب إلى حواء، وأن يكون حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وأظهر علته القادحة فى كونه حديثاً، وأن هذا متلقى من كعب الأحبار الذى يروى الإسرائيليات، قال (فالله تعالى إنما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر، وليبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد)[٢].

مشكل: هناك مشكل يقع كثير من الناس فيه، وهو حول حديث صحيح وهو قول رسول الله ﷺ «لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها»[٣]. ومعنى يخنز: يتغير وينتن، والمعنى (أن نبى إسرائيل ادخروا لحم السلوى، وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك... وقال بعضهم معناه: لولا أن بنى إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما أدخر فلم ينتن... وجاء فى بعض الكتب: لولا أن الله كتب الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء عن الفقراء)[٤].

والشاهد هنا قوله ﷺ «ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها» المقصود هنا بحواء هى زوجة آدم.

سبب تسميتها حواء: سميت حواء بذلك لأنها أم كل شيء، قال هذا ابن حجر، والمقصد كل حى من البشر، لأن الأحياء أجناس كثيرة جداً، ولا تقع تحت حصر، من غير البشر، وذهب ابن كثير فى سبب هذه التسمية وقال:

---

(١) الأعراف: ١٨٩، ١٩٠.

(٢) البداية والنهاية ١/١١٢.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته ٦/٢٨٣.

(٤) فتح البارى، ابن حجر ٦/٢٨٣.

(٥) انظر: البداية والنهاية ١/٨٧.

لأنها خلقت من شيء حي وهو آدم عليه السلام.. ويمكن الجمع بين القولين وقبولهما معاً في هذه التسمية.

وقد قسم ابن كثير أقسام بني آدم، وإعجاز الله عز وجل في خلقه، وبيّن طرفا من قدرة الخالق تبارك وتعالى عند تفسيره لقوله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾(١).

أما قوله ﷺ «ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها» ليس المقصود أبداً أبداً أن حواء خانت زوجها، وعلى ذلك تخون كل أنثى زوجها، فهذا التفكير مستبعد تماماً، وذلك للأسباب الآتية:

(أ) أن حواء أم البشر لم يكن هناك بشر – رجل – حينئذ على ظهر الأرض غير زوجها آدم، فمع مَنْ خانت؟!!

(ب) أن حواء كانت زوجة صالحة وتقية وورعة، وقد شغلت كل سني حياتها بالإنجاب الذي سيكون في مستقبل الحياة كلها تعمير هذا الكون، فلم يكن لديها الوقت لمجرد خاطر يخطر ببالها مسألة الخيانة الزوجية، وهي لم تعرف مجرد المعرفة بهذا العمل المشين.

(جـ) أنها زوجة نبي ورسول، وحاشا لزوجة نبي ورسول أي نبي ورسول أن تقع زوجته في مثل هذا السوء.. وما جاء في القرآن الكريم من ذكر خيانة زوجة نوح، وزوجة لوط، لم يكن هذا خيانة زوجية – كما يفهمه البعض – بل كانت خيانة عقدية، كما هو ثابت عند جميع أهل التفسير. ولا بأس بنقل كلام واحد منهم قال ابن كثير في ذكر خيانة زوجة نوح وزوجة لوط هي

(١) الشورى ٤٩، ٥٠. انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢١.

(خانتاهما فى الدين، فلم يتبعاهما فيه، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة، حاشا وكلا ولما)[١] ثم قال (فإن الله لا يقدر على نبى أن تبغى امرأته،كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف والخلف: ما بغت امرأة نبى قط، ومن قال خلاف هذا فقد أخطأ خطأ كبيراً)[٢]. وارتكب جرماً فظيعاً، وخالف القرآن والسنة، ومعلوم أن القرآن الكريم قد برأ السيدة عائشة رضى الله عنها من حديث الإفك، كما سيأتى إن شاء الله تعالى عند ذكرها كأحد النماذج فى الداعيات.

إذاً: فما معنى خيانة حواء هنا: أقول والله أعلم: إن كثيراً ما يحدث بين الزوجين من سوء فهم، وربما حدث شىء من هذا بين حواء وزوجها آدم، فعد ذلك من الخيانة، على حد قول أهل الصلاح: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

أو أن حواء لما زين لها الشيطان الأكل من الشجرة مع زوجها، ومالت إلى شهوة النفس وأكلت هى وزوجها من الشجرة عُدَّ ذلك خيانة.

أو لعل هذا سيق لبنات حواء، وتحذيرهن من خيانة أزواجهن.. وليس المقصد أن كل بنات حواء خائنات، فكل زوجة تخون زوجها بإرتكاب الفاحشة، فهذا مستبعد تماماً.. لأن من المعروف أن خيانة كل زوجة بحسبها، فمنهن من تخون بالأقوال، أو بالمال أو ما شابه ذلك من التصرفات الجزئية التى كثيراً ما تقع من الزوجات.

ولعل هذا من قبيل حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه «كتب على ابن آدم الزنا لا محالة، فالعين تزنى وزناهما النظر» إلخ الحديث. قال ابن حجر (وقريب من هذا حديث «جحد آدم فجحدت ذريته»، وفى الحديث ـ لولا حواء

(١، ٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٠٧/١.

ـ إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط فى لوم من وقع منها شىء من غير قصد إليه، أو على سبيل الندور، وينبغى لهن أن لا يتمكن بهذا الإسترسال فى هذا النوع، بل يضبطن أنفسهن، ويجاهدن هواهن)(١) هذه حواء عليها السلام أم البشر، وغنى عن القول أن الله عز وجل قد تاب عليها وعلى زوجها، فعليك سلام الله يا أم البشر، وجزاك الله خيراً، وجمعنا الله وإياكم فى الجنة.

النموذج الثانى: سارة

جاء ذكر السيدة/ سارة زوج سيدنا إبراهيم عليه وعلى جميع الأنبياء أفضل السلام وأزكى التسليم فى القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإن كان اسمها بهذا اللفظ لم يذكر فى القرآن الكريم صراحة، لكن الوارد أنها امرأته وكتب السنة صرحت تماماً بأن اسمها: سارة، وأذكر هنا موضعين فقط ورد فيهما امرأة سيدنا إبراهيم فى القرآن المجيد:

الموضع الأول: يقول جل جلاله ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾(٢).

ويلاحظ أن سيدنا إبراهيم وهو أول من ضيف الضيفان، فكان الكرم سمة

---

(١) فتح البارى ٦/٣٨٣.

(٣) هود: ٦٩: ٧٣.

بارزة فى حياته، كما كان لا يأكل طعاماً حتى يبحث عمن يأكل معه، ومعنى عجل حينئذ: أى سمين، وأن السيدة سارة هى التى أعدت هذا الطعام كما هو واضح فى الموضع القادم.

وأنها كانت عجوز لا تلد، وأن الملائكة بشرتها بولدين وهما إسحق ومن ورائه يعقوب عليهما السلام، مع كبر بعلها هو الآخر، وهذا من قدرة الله عزوجل، وعند ما تعجبت من هذا كله دعت الملائكة لهم وقالت «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت» وكل هذا يعطى السيدة/ سارة منزلة وفضلاً عند ربها.

الموضع الثانى: يقول جل وعز ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾(١).

وقد ورد فى بعض كتب التفسير أن السيدة/سارة كانت تخدم الضيوف وزوجها جالس معهم(٢).

بل إن من المؤكد أن السيدة/سارة هى التى أعد هذا الطعام، وشاركت زوجها فى استقبال الضيوف، وتلقت البشرى بنفسها من الملائكة، وهذا يؤكد على شرفها ومكانتها عند ربها.

---

(١) الذاريات: ٢٤: ٣٠.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبى، وتفسير الطبرى، وتاريخه ١/١٤٩، المكتبة التوفيقية.

في السنة المشرفة:

جاء حديث صحيح فى كتب السنة يذكر لنا فترة من فترات جهاد سيدنا إبراهيم وزوجه سارة فى سبيل الله تبارك وتعالى ونصه «عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هى من أحسن النساء، فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التى معك؟ قال: أختى ثم رجع إليها فقال: لا تُكذِّبى حديثى، فإنى أخبرتهم أنك أختى، والله إن على الأرض من مؤمن غيرى وغيرك ـ يعنى زوج وزوجته ـ فأرسل بها إليه، فقام إليها، فقامت توضأ وتصلى، فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجى إلا على زوجى، فلا تسلط على الكافر، فغُط حتى ركض برجله. قال الأعرج ـ أحد رواة الحديث ـ قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أبا هريرة قال: قالت اللهم إنْ يمُتْ يقال هى قتلته، فأرسل، ثم قام إليها، فقامت توضأ وتصلى وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجى إلا على زوجى، فلا تسلط على هذا الكافر، فغط حتى ركض برجله، قال عبدالرحمن قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: فقالت: اللهم إن يمت فيقال هى قتلته، فأرسل فى الثانية أو فى الثالثة، فقال: والله ما أرسلتم إلىَّ إلا شيطاناً ارجعوها إلى إبراهيم عليه السلام، وأعطوها أجر ـ هاجر ـ فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام، فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر، وأخدم وليده»[1].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب البيوع، باب بيع الأرض والودر والعروض مشاعاً ٣٢٧/٤٠٠.

وأخرجه البخارى أيضاً فى كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى «واتخذ الله إبراهيم خليلا» ٣٠١/٦، والنص المنقول هنا من كتاب البيوع.

قال ابن حجر وهو يذكر ما يؤخذ من الحديث (وفى الحديث مشروعية أخوة الإسلام، وإباحة المعاريض، والرخصة، فى الإنقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص النية، وكفاية الرب لمن أخلص فى الدعاء بعمله الصالح.. وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم، ويقال: إن الله كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة، وأنه لم يصل منها إلى شىء، ذكر ذلك فى التيجان، ولفظه: فأمر بإدخال إبراهيم وسارة عليه ثم نحى إبراهيم إلى خارج القصر، وقام إلى سارة، فجعل الله القصر لإبراهيم كالقارورة الصافية فصار يراهما، ويسمع كلامهما، وفيه ـ أى الحديث ـ أن من نابه أمرهم من الكرب ينبغى له أن يفزع إلى الصلاة، وفيه أن الوضوء كان مشروعاً للأمم قبلنا وليس مختصاً بهذه الأمة ولا بالأنبياء لثبوت ذلك عن سارة، والجمهور على أنها ليست بنبيه)(١). ونستطيع أن نقرر للسيدة سارة بإيجاز بخلاف ما سبق:

أنها كانت من أجمل النساء، ولم تكذب زوجها بل صدقت حديثه وقالت ما قاله لها، وهذا من حسن تبعل المرأة، وإكرام الله تعالى لها، فقد ساق على يديها كبت الكافر الفاجر، وأُخِذَ وصرع، وهذا معنى فغط حتى ركض برجله. وظهرت لها تلك الكرامة.. وكان ذلك كذلك لأنها حفظت فرجها وحصنت نفسها، وكذلك قوة إيمانها بالله عز وجل، وحسن توجهها إليه جل ذكره فى وقت محنتها، وأيضاً ذكاءها وفطنتها، وإدراكها عواقب الأمور وهى فى تلك الشدة، وأبت قتله أو دعت بموته حتى لا تتهم بذلك، واستعانة بالصلاة وقت شدتها إلخ.

---

(١) فتح البارى ٦/٣٠٤.

فرحم الله تعالى السيدة سارة، وجزاها خيراً، وأصبحت مدرسة تتلقى الأجيال: جيلاً بعد جيل خبرها الصادق، بكل حب واحترام وتوقير، وصارت سارة مثلاً يقتدى بها.

النموذج الثالث: السيدة/هاجر:

هى الأخرى زوج سيدنا إبراهيم خليل الرحمن، ولها مواقف كلها مواقف دعوية بالغة فى سبيل الله عز وجل.. واذكر بعضاً منها:

ـ العمدة فى هذه المواقف هذا الحديث الصحيح «عن سعيد بن جُبير قال ابن عباس: أول ما اتخذ النساء المِنْطَق[1] من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتُعَفِّىَ أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهى ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة، فوق الزَّمزم فى أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمراً، وسقاءً فيه ماء. ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذى أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه فقال «ربنا إنى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع.. حتى بلغ «يشكرون» وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم

---

(١) ما يشد به الوسط. المرجع السابق ٦/٣٠٧.

استقبلت الوادى تنظر: هل ترى أحداً فلم ترى أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم ترى أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: فذلك سعى الناس بينهما.

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هى بالملَك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوّضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت أو قال: لو لم تغرف من زمزم لكانت زمزم عيناً معيناً، قال فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هذا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع...»(١) الحديث.

وفى الحديث مواقف:

الموقف الأول: حسن تبعلها لزوجها، وذلك عندما هاجر، هاجرت معه، فكانت الزوجة المطيعة لزوجها، وحلت معه أينما حل وارتحل.

الثانى: رضاها بحكم الله تعالى وقضائه، وتوكلها على الله عز وجل،

---

(١) الحديث بطوله أخرجه البخارى فى كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى «واتخذ الله إبراهيم خليلا».. ٣٠٧/٦، وقوله «لا تخافوا الضيعة، أى الهلاك، وفى حديث أبى جهم: لا تخافى فى أن ينفد الماء، وفى رواية: لا تخافى على أهل هذا الوادى ظمأ فإنها عين يشرب بها ضيفان الله.. وفى حديث أبى جهم فقالت: بشرك الله بخير، انظر: فتح البارى، ابن حجر ٣٠٩/٦.

وثقتها المطلقة بأن الله عز وجل لن يضيعها، وهى وحيدة فريد، لا أنيس ولا جليس، ولا زرع، ولا ضرع ولا ماء.

الثالث: السعى، وطلب الرزق، حيث سعت بين الصفا والمروة، المرة تلو الأخرى، حتى بلغ ذلك السعى سبعة أشواط، حتى أصابها الجهد، وأصبح ذلك معلماً من معالم الحج والعمرة، وسيظل هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكل من يسعى وهم بالملايين كل عام بين الصفا والمروة يتذكر هذه السيدة العظيمة، وهذا من تكريم الله تعالى لها، ومثل السعى بين الصفا والمروة، ماء زمزم.

الموقف الرابع: جاء فى بعض الكتب أن سيدنا إبراهيم عندما أمره الله تعالى بذبح ولده جاء الشيطان إلى إبراهيم فرماه بسبع حصيات، ثم جاء إلى إسماعيل فرماه بسبع حصيات، ثم جاء إلى سارة فرمته بسبع حصيات، فكان هذا: رمى الجمار، وإذا كان حدث هذا فإن التى رجمت إبليس هى أم سيدنا إسماعيل وهى هاجر، فهو الذبيح دون شك ولا جدال، ومعلوم أن أم إسماعيل هى هاجر دون شك أو نزاع ومن قال أن الذبيح هو إسحاق وأمه سارة، فقد أبعد النجعة، وحطب بليل، وهو من أقوال اليهود حقداً وحسداً على العرب.

النموذج الرابع: بلقيس ملكة سبأ:

جاء شأنها فى القرآن الكريم، وكانت ملكة متوجة، وذات مُلْك عريض، وعرش عظيم، وكانت فى عهد سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، ولن أدخل فى تفاصيل كل ذلك، فإن هذا شرحه يطول[١]، ولكن لنأتى إلى كتاب ربنا عزوجل ولنقرأ ما جاء فى شأنها يقول تبارك وتعالى ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ١/٤٠٥ وما بعدها.

لا أرى الْهُدْهُد أمْ كَانَ منَ الْغَائبين (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَديدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَو لَيأْتيَنِّي بسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بنبأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ

وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(١).

مشهد من مشاهد الحق، قصه علينا الحق جل جلاله. فى أسلوب معجز يأخذ بالألباب، ولن أتعرض لقصة سيدنا سليمان، وقواعد بنيان مملكته.

من الحق والعدل والإنصاف والدقة المتناهية، والمتابعة الدقيقة، وبذل الجهد فى سبيل نشر دعوة الحق.. لست بصدد كل هذا، ولكنى بصدد تلك المرأة العجيبة والعظيمة فى مواقفها الآتية: ملكة متوجة على مملكة شاسعة وذات ثراء، وأدبها الجم فى حسن استقبالها وتلقيها مكتوب سيدنا سليمان، وحرصها الشديد على مشاورة رجالات دولتها، وعدم الإستبداد والطغيان، وجميل صنعها وذكائها فى الرد على نبى الله سليمان، وكذلك إدراكها عواقب الأمور، وكشفها للمستقبل وقراءتها له بدقة وحساب، وكذلك سياستها البارعة والحكيمة فى إدارة هذا الحوار، وإدراكها الموقف وما فيه وتوابعه، كذلك وهذا هو المهم أنها أسلمت لله رب العالمين، واستجابت لصوت الحق والعقل.

أليست هذه المرأة بهذه المواقف الفريدة والتى سجلها القرآن المجيد مثل يحتذى لكل النساء، بل لكل الرجال والنساء على السواء.

النموذج الخامس: زوجة أيوب عليه السلام:

أيوب نبى الله ورسوله وقد جاء ذكره فى القرآن المجيد أكثر من مرة

---

(١) النمل: ٢٠: ٤٤.

منهـا قـوله تـعـالى ﴿ وَأَيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(١).

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضى المتسعة.. وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له، وكان له أولاد وأهلون كثير فسلب من ذلك كله جميعه وابتلى فى جسده.. وهو فى ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عز وجل فى ليله ونهاره وصباحه ومسائه، وطال مرضه حتى عافه الجليس، وأوحش منه الأنيس، وانقطع عنه الناس)(٢)، وقد مكث سيدنا أيوب على هذا الحال مدة طويلة قدرتها بعض المراجع بأنها ثمان عشرة سنة(٣).

فلو أخذنا بهذا القول فإنها مدة طويلة حقاً فى المحنة.. لكنه كان صابراً وشاكراً.

موقف زوجة أيوب:

لو ابتلى واحد منا بمرض أو سلب ماله ـ بكل أنواعه ـ وكانت له زوجة، فأشك أنها تقف من زوجها مثل ما وقفت زوجة سيدنا أيوب من الوفاء والإخلاص والصبر.

يقول ابن كثير عنها (ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه، وتعرف إحسانه إليها، وشفقته عليها. فكانت تتردد إليه، فتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته، وضعف حالها، وقل

---

(١) الأنبياء: ٨٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ١/٢٠٥.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازى ١١/ ١٨٠، والبداية والنهاية ١/٢٥١، ٢٥٢.

مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه، وتقوم بأوده، رضى الله عنها وأرضاها، وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد، وخدمة الناس بعدة السعادة والنعمة والخدمة والحرمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون... ثم إن الناس لم يكونوا يستخدونها لعلمهم أنها امرأة أيوب خوفاً أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته، فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير، فأتت به أيوب فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره، فقالت: خدمت به أناساً. فلما كان الغد لم تجد أحداً فباعت الضفيرة الأخرى بطعام، فأتته به فآنكره أيضاً، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها فلما رأى رأسها محلوقاً قال فى دعائه «أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين»)[١].

ضرب أيوب لزوجته:

قال تبارك وتعالى ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٢] قال ابن كثير (هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط، فقيل حلفه ذلك لبيعها ضفائرها، وقيل لأنه عرضها الشيطان فى صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب، فأتته فأخبرته، فعرف أنه الشيطان، فحلف ليضربها مائة سوط، فلما عافاه الله عز وجل أفتاه: أن يأخذ ضغثاً وهو كالعثكال الذى يجمع الشماريخ، فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلاً

---

(١) المرجع السابق ١/٢٥١.
(٢) ص: ٤٤.

منزلة الضرب بماءٍ سوط ويبر ويحنث)(١). وهكذا جعل الله تعالى لها فرجاً ومخرجا، ولم تتأبى على أمر زوجها، بالضرب، والله عز وجل لم يكن ليكافئ تلك الزوجة التى قال عنها ابن كثير (المرأة الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضى الله عنها)(٢) ما كان الله جل جلاله ليكافئ زوجة أيوب هذه بالذى أقسم به أيوب، وما كان جزاؤها هذا بعد الخدمة التامة، والرحمة والشفقة والإحسان والصبر بالضرب وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب إليه(٣).

فهل فى عصرنا هذا من تعتبر وتصمد أمام العواصف، وضربات الأيام، وقسوة الحياة، وتقلبات الأحوال، وترضى بما قسم الله تعالى لها، وتطيع أمر ربها فى زوجها.. بدلاً من الجرى وراء الأوهام والأحلام، وعدم تحمل المسئولية، وضياع الزوج والأولاد، ومن بعد ومن قبل تبوء بغضب الرحمن. أليست زوجة أيوب مثلاً يحتذى بها عبر القرون.. ومنارة من منارة الصالحات، ومعلماً من معالم الزوجات الصابرات.. ألا فلتعتبر كل زوجة لا ترعى حق الله تعالى وحق زوجها وبخاصة لو دارت به الأيام، وتقلبت به الأحوال سواء فى صحته أو فى ماله.

النموذج السادس: نساء في زمن موسى عليه السلام:

فى زمن سيدنا موسى نبى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وأنت تقرأ فى سيرته الطيبة تقف على مجموعة من النساء الصالحات، وكان لكل واحدة منهن دورها البارز فى خدمة الدعوة وهاك بعضهن.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ١/ ٢٥٤.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٥٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٠.

أم موسي:

جاء ذكرها فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تبارك وتعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾(١). والوحى هنا إلى أم موسى: وحى إلهام وإرشاد كما قال تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾(٢)، وليس هو بوحى نبوة كما زعمه ابن حزم وغير واحد من المتكلمين، بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعرى عن أهل السنة والجماعة كما قال ابن كثير(٣).

وقد ألقى الله عز وجل فى خلدها وروعها أن لا تخافى ولا تحزنى فإنه ـ أى موسى ـ إن ذهب فإن الله سيرده إليك، وأن الله سيجعله نبياً مرسلاً، يعلى كلمته فى الدنيا والآخرة، فكانت تصنع ما أمرت به، وكان فرعون مصر ملكاً جباراً طاغياً، وكان قد أخبروه أن من أولاد بنى إسرائيل سيخرج ولد منهم يكون سبباً فى هلاكه، فلهذا أمر بقتل الغلمان حذر من وجود مثل موسى، هذا والقدر يقول: يا أيها الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه، وإتساع سلطانه قد حكم العظيم الذى لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف أقداره، إن هذا المولود الذى تحترز منه، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد، لا يكون مرباه إلا فى دارك، وعلى فراشك، ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك فى منزلك، وأنت الذى تتبناه وتربيه، ولا يطلع على سر معناه، ثم يكون هلاكك فى دنياك وأخراك على يديه لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين، وتكذيبك ما أوحى إليه، لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السموات والأرض هو الفعال لما يريد، وأنه

---

(١) القصص: ٧.
(٢) النحل: ٦٨.
(٣) انظر: البداية والنهاية ١/٢٦٩.

هو القوى الشديد،ذو البأس العظيم والحول والقوة والمشيئة التى لا مرد لها[١].

والمقصود هنا: أن أم موسى تلقت الوحى الإلهامى من الله عز وجل أن تلقى ولدها فى البحر، بعد أن وضعته فى التابوت، وهذا أمر فى غاية الصعوبة والمشقة، أن ترضع امرأة وليدها ثم تلقيه فى أليم!! إلا أنها استجابت لأمر خالقها، لإيمانها القوى، وثقتها بوعد الله عز وجل لها.. وقد عبر الذكر الحكيم عن حالة أم موسى فقال ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢]. حتى قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية (يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها فى البحر أنه أصبح فارغاً من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، وقوله «إن كادت لتبدى به» أى إن كانت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها، لولا أن الله ثبتها وصبرها)[٣]. «وقالت لأخته قصيه» ومعنى «قصيه» (أى اتبعى أثره، وخذى خبره، وتطلبى شأنه من نواحى البلد)[٤]، وقد حقق الله تعالى وعده، فعاد موسى إلى أمه للرضاعة منها بعد أن حرم الله عليه المراضع، وقرت عينيها بوليدها وذهب الغم والحزن عنها، وانشرح صدرها بقضاء الله تعالى وقدره، ثم بلغ واشتد واستوى وآتاه الله تعالى حكماً وعلماً وصار نبياً ورسولاً من أولى العزم.. تلك كانت نبذة عن أم موسى أليس هذا تكريم من الله تعالى للمرأة، حين يوحى إليها، وحين تستجيب لأمرربها، أليست أم موسى عليه السلام، أم نبى الله ورسوله، أليست هى التى

---

(١) انظر المرجع السابق ٢٦٩/١.

(٢) القصص: ١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٨١/٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٨١/٣.

ربته ورعته، أليس هذا مكتوباً ومسجلاً بحروف من نور فى القرآن المجيد.. نعم الأم أم موسى، ونعم التربية والعناية التى قامت بهما أم موسى، لقد ولدت نبياً، ورعته وليداً، ونشأته تنشئة تشرئب لها أعناق الأمهات.

امرأة فرعون:

من النساء الصالحات القانتات العابدات الصابرات والتى عاشت فى زمن سيدنا موسى امرأة فرعون.

وقد كان لها دور أساسى فى إقناذ حياة هذا النبى وهو موسى عليه السلام، واسمها: آسية بنت مزاحم[١] وقد جاء ذكرها فى الذكر الحيكم فى أكثر من موضع نذكر من ذلك:

قوله تبارك وتعالى﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[٢] فزوجة فرعون هذه: ألقى الله تبارك وتعالى محبة موسى فى قلبها، وجعلها الله تعالى سببا فى إنقاذ حاته ـ لمسنقبل يريده الله تبارك وتعالى لهذا الوليد، وكان موسى وهو بهذه الحالة لا يراه أحد إلا أحبه كما قال ابن كثير(وكان موسى عليه لسلام لا يراه أحد إلا أحبه، فالسعيد من أحبه طبعا وشرعا، قال الله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [٣]، وكان فرعون (لما رآه همَّ بقتله خوفا من أن يكون من بنى اسرائيل، فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذب دونه وتحببه إلى فرعون فقالت «قرة عين لى ولك»، «عسى أن ينفعنا»، «أو نتخذه ولدا»، وذلك أنه لم يكن لها ولدا منه)[٤].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ١/ ٢٧٠.

(٢) سورة القصص الآية ٩.

(٣) سورة طه آية ٣٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٣٨١.

آسية تدافع عن موسي الوليد:

ومع ما سبق إلا أن امرأة فرعون أخذت تتعهده، وتتولاه، وترعاه أينما حل وارتحل مع أمه، ووقفت تنافح عنه وتحتفى به فى كل المواقف، وفى كل مراحل حياته، ما كان فيها حياة، ومن ذلك هذا الموقف:

قال ابن كثير فى حديث الفتون (قالت امرأة فرعون لأم موسى: أزيرينى ابنى، فدعتها يوما تزورها إياه فيه، وقالت امرأة فرعون لحزانها وظؤرها وقهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابنى اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك، وأنا باعثة أمينا يحصى ما يضع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته، وفرحت به، ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ثم قالت: لآتين به فرعون فلينحله وليكرمه، فلما دخلت به عليه جعله فى حجره، فتناول موسى لحية فوعون، فمدها إلى الأرض، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون: ألا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه أنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك، فأرسل إلي الذباحين ليذبحوه،... فجاءت امرأة فرعون فقالت: ما بدالك فى هذا الغلام الذى وهبته لى؟ فقال: ألا ترينه يزعم أنه يصرعنى ويعلونى!! فقالت: اجعل بينى وبينك أمرا يعرف الحق به، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب إليه الجمرتين واللؤلؤتين، فتناول الجمرتين

فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده، فقالت المرأة- امرأة فرعون -: ألا ترى؟! فصرفه الله عنه بعد ما كان قد همَّ به، وكان الله بالغا فيه أمره)(١).

وعندما بلغ أشده - سيدنا موسى - وبلغ، وآتاه العلم والحكمة والنبوة أمنت به زوجة فرعون، ولاقت فى هذا العذاب والعنت والإضطهاد، بل وقد راحت ضحية هذا الفرعون الطاغى، وصارت شهيدة من شهداء الدعوة الإسلامية، وصارت مثلا خالدا على مر الزمان، وكر الدهور. ولنقرأ حول هذا المشهد قوله تبارك وتعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

داعية في مواجهة طاغية:

امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة إلا بالله عز وجل وحيدة فريدة، تواجه جبارا من جبابرة الأرض، أهلك الحرث والنسل، وسفك الدماء، لديه كلاب مسعورة تأتمر بأمره، وجيش جرار، كفرة وظلمة، وكل هؤلاء يقفون فى مواجهة تلك المرأة لوحيدة الموحدة بالله تعالى. فكيف دارت المعركة، قال ابن كثير (قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض، واكفرهم بالله، فوالله ما ضرَّ امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها، ليعلموا: أن الله تعالى لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه وكانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها فى الجنة، وكانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون، فتقول: أمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على

(١) المرجع السابق ١٤٩/٣.
(٢) سورة التحريم الآية ١١.

قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهى امرأتى، فلما أتوها، رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها فى الجنة، فمضت على قولها وانتزعت روحها، والقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح فقولها «رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة» قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار.. وعن أبى العالية قال: كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جسلت تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها، فقالت: تعس من كفر بالله، فقالت لها بنت فرعون، ولك رب غير أبى؟ قالت: نعم، رب ورب أبيك ورب كل شىء الله، فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين ربا غيرى؟ قالت: نعم ربى وربك ورب كل شىء الله إياه أعبد. فعذبها فرعون، وأوتد لها أوتادا، فشد يديها ورجليها وأرسل إليها الحيات، فكانت كذلك، فأتى عليها يوما فقال لها: ما أنت منتهية؟ فقالت له: رب وربك ورب كل شىء الله، فقال لها إنى ذابح ابنك فى فيك؟ إن لم تفعلى!! فقالت له اقض ما أنت قاض، فذبح ابنها فى فيها، وإن روح ابنها بشرها، فقال لها: أبشرى يا أمه، فإن لك من الثواب عند الله كذا وكذا، فصبرت، ثم أتى عليها يوم آخر، فقال لها: مثل ذلك، فقالت له: مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر فى فيها، فبشرها روحه أيضا، وقال لها: اصبرى يا أمه، فإن لك من الثواب كذا وكذا. قال: فسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر، ثم الأصغر، فآمنت امرأة فرعون، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون، وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها فى الجنة لإمرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيمانا ويقينا وتصديقا، فأطلع الله فوعون على إيمانها، فقال للملأ: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبد غيرى، فقالوا له: اقتلها، فأوتد لها أوتادا، فشد يديها ورجليها، فدعت آسية ربها فقالت «رب ابن لى عندك بيتا

فى الجنة، فوافق ذلك أن حضرها فرعون، فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها؟!! إنا نعذبها وهى تضحك، فقبض الله روحها فى الجنة رضى الله عنها)(١).

هذا وقد لوحظ فيما سبق: أن امرأة فرعون - أسية بنت مزاحم - رضى الله عنها وأرضاها قد كفلت نبيا من أنبياء الله تعالى، وكانت سببا فى استبقاء حياته، وأنها آمنت بالله ورسوله موسى عليه السلام، وأنها دافعت عنه بكل قوة وهى المرأة الضعيفة، وأنها واجهت أعتى الطغاة والجبابرة، وأنها ضحت بحياتها بعد أن عذبت فى سبيل الله تعالى أشد أنواع العذاب، وفى سبيل الله استشهدت وبذلت روحها وهى معتصمة بحبل الله تعالى، وأنها بشرت برضوان الله وهى فى الدنيا، وهذا من البشارات والكرامات لهذه الصديقة، وأن الله تعالى قد استجاب دعاءها وبنى لها بيتا فى الجنة، وقد نجاها الله تعالى وعصمها من ظلم الظالمين فى رغبتهم فى فتنتها... وقد رأينا أيضا امرأة خازن فرعون وما أصابها من ابتلاء عظيم فى تعذيبها وذبح أولادها وسفك دمائهم فى فيها وهى صابرة مستمسكة بعقيدتها، قمم شامخات من نساء طاهرات داعيات صابرات مجاهدات فى سبيل الله عز وجل فهل من مدكرات...؟

أخت موسي:

فى زمن سيدنا موسى عليه السلام كان لأخته دور فى خدمة الدعوة والدعاة إلى الله عز وجل وقد ذكرها الله تعالى فى قرآنه المجيد حين قال ﴿ وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩٤/٤.

الْمَـرَاضِعَ مِن قَـبْلُ فَـقَـالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾(١). فحالة أم موسى حين أمرت بإلقائه فى اليم كانت حالة فى غاية الصعوبة على أى أم، فلم يهدأ لها بال، ولم تقف أخت موسى موقفا سلبيا، بل هى الأخرى أخذت دورها الإيجابى فى التحرى عن أخيها أين ذهب، وأين استقر؟ ومن أخذته؟ وماذا فعلوا به؟ واستجابت فورا لقول الأم، وأخذت تتحرى وتبحث عن أخيها، وتعرفت بكل لباقة وحكمة حين رأت أخاها فى قصر فرعون، وهو لا يلتقم ثدى أى امرأة، فدلتهم وهم لا يشعرون بأنها أخته على امرأة ترضعه ولم تصرح، ولم ترتجف، ولم تتلعثم، فكان أن عاد موسى إلى أمه بفضل ذكاء أخته، فنعم الأخت أختك يا موسى.. قال ابن كثير (أمرت - ام موسى - ابنتها وكانت كبيرة تعى ما يقال لها، فقال لها «قصية» أى اتبعى أثره، وخذى خبره، وتطلبى شأنه، من نواحى البلد، فخرجت لذلك «فبصرت به عن جنب» أى عن بعد، وقال قتاده جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده،... فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه «قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون» قال ابن عباس: فلما قالت ذلك، أخذوها وشكوا فى أمرها، وقالوا لها: ما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت لهم: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم فى سرور الملك، ورجاء منفعته، فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك، وخلصت من آذاهم، ذهبوا معها إلى منزلها فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه)(٢) الخ القصة. تلك هى أخت موسى النبى رضى الله عنها وأرضاها.

وهنا سؤال ينبغى طرحه، أختى المسلمة أين أنت من أخيك؟ هل أنت معه، كما فعلت أخت موسى بأخيها؟ وما علاقة الأخوة بينكما بعدما فارقتما بيت

---

(١) سورة القصص الآيتان ١١، ١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٨١، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير ١/٢٧١.

الأسرة، وكل منكما ذهب إلى بيت أسرته الجديدة؟ أو بعد موت ابويكما؟ أرجو إجابتك، وعلى درب أخت موسى مع أخيها سيرى.

زوجة موسى:

امرأة أخرى كانت من أزكى الأزكياء، الطاهرة النقية الفاضلة العفيفة الشريفة، زرجة سيدنا موسى عليه السلام، وقد ورد ذكرها فى القرآن المجيد، ولنبدأ من البداية.

عندما خرج موسى عليه السلام خوفا من بطش الطاغية فرعون، وآوى إلى الظل ورأى الناس، يسقون ومن بينهم امرأتين، ونقف هنا. ولنقرأ أجمل وأبلغ وأعجز وأصدق ما جاء فى الذكر الحكيم ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ

آنس من جانب الطُّور نارًا قَالَ لأَهْله امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَة مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾(١). والمشهد هنا كبير، ويحتاج إلى حديث طويل، لكنى آخذ منه فقط ما يتعلق بالمرأة، وبخاصة التى تزوجها موسى عليه السلام.. أقول

إن المرأة كانت تعمل فى عمل مناسب لها، وكان عملها للضرورة القصوى، وكان سببه كما هو واضح هنا «وأبونا شيخ كبير»، فلما عمل لهم موسى وكفاهم تركتا العمل.

ولما جلس موسى فى الظل بعد أن سقى لهما «قال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير» قال ابن كثير سمعته المرأتان فيما قيل، فذهبتا إلى أبيهما، فيقال إنه استنكر سرعة رجوعهما فأخبرتاه ما كان من أمر موسى عليه السلام، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه، فجاءته إحداهما تمسى على استحياء، أى مشى الحرائر(٢). قالت: إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، صرحت له بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة، وهذا من تمام حيائها وصيانتها، فلما جاءه وقص عليه القصص، وأخبره، وما كان من أمره فى خروجه من بلاد مصر فرارا من فرعونها(٣).. فلما أضافة وأكرم مثواه.. بشره بأنه قد نجا، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها: يا أبت استأجره لرعى الغنم، ثم مدحته بأنه قوى أمين... فلما قالت ذلك، قال أبوها: وما علمك بهذا؟ فقالت: إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة، وأنه لما جئت معه تقدمت أمامه، فقال: كونى من ورائى، فإذا اختلف الطريق فاقذفى لى بحصاة أعلم بها كيف

(١) سورة القصص الآيات ٢٠ : ٢٩.
(٢) لا مشى العواهر فى تكسرهن، وتمايلهن، ونظراتهن، وعريهن، واختلاطهن
(٣) ليس صاحب موسى هذا هو سيدنا شعيب النبى كما هو مذكور فى بعض الكتب.

الطريق. قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامرأته أكرمي مثواه، وصاحبة موسى حين قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وأبوبكر: حين استخلف عمر بن الخطاب)(١) . تلك هى زوجة نبى الله ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام، وانظر إلي مراحل عمرها، فكانت الفتاة العاملة النقية، وكانت المخطوبة لشرفها وعفتها وتقائها وحسن تدبيرها، وكانت الزوجة الصالحة العابدة المطيعة لزوجها، وتركت بلاد أبيها وارتحلت بل هاجرت مع زوجها أينما ذهب أو هاجر، تلك مجموعة من النساء فى زمن واحد زمن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، فعبر التاريخ تجد المرأة بكل شموخها وعزتها وكرامتها وعفتها ودورها فى الخير والنفع والتعمير والبناء..

النموذج السابع:-

مريم:

تلك المرأة التى طار ذكرها فى كل الكتب والمراجع والسير، ولقد نالت حظا عظيما من ذكرها فى الذكر الحكيم، والقرآن المجيد، ولها مواقف رائعة لا ينساها الناس، ومَن منَّا لم تأخذه الرأفة والرحمة والعظمة إذا جاء ذكر مريم أم سيدنا عيسى عليه السلام.. ويحتار الباحث كل الحيرة عندما يتناول تلك السيدة العظيمة، فهل يتحدث عنها عن أصالتها والبيئة النقية الطاهرة التى خرجت منها؟ هل نتحدث عنها حين نذرتها أمها وهى مازالت فى رحمها لتكون عابدة لله الواحد الأحد؟ هل نتحدث عنها عندما وضعتها أمها وعلمت أنها أنثى وسمتها مريم، ودعت ربها أن يعيذها من الشيطان الرجيم، وينبتها نباتا حسنا وقد استجاب الله لها، هل نتحدث عنها عندما كفلها نبى من أنبياء الله تعالى وهو سيدنا زكريا؟ هل نتحدث عنها وهى فى محراب الطاعة لربها

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ١/٢٧٤، ٢٧٥، وانظر: تفسيره ٣/٣٨٥، وانظر: تاريخ الطبرى ١/٢٣١.

وخشوعها وخضوعها لأوامر بارئها، ويأتيها رزقها من حيث لا تدرى؟ اللهم إلا أن يكون من عند الله وحده، وهل نتحدث عنها عندما حملت بعيسى النبى عليه الصلاة والسلام، وأصابها ما أصابها، هل نتحدث عنها والملائكة تناديها وتبشرها بالإصطفاء والنقاء والطهارة، وتفضيلها على نساء العالمين، هل نتحدث عنها وقومها يلومونها على حملها هذا؟ هل نتحدث عنها عند هجرتها بولدها وتقطع المسافات الشاسعة من بلد إلى بلد وفق مراد ربها.. هل نتحدث عنها وقد قدر الله تعالى أن يسوق بها معجزة خارقة لا مثيل لها ولا نظير لها، حيث ولدت عيسى من غير زوج لها، وهل نتحدث عنها وهى فى قمة الضعف ويأمرها ربها بهز جذع النخلة فيتساقط عليها رطبا جنيا. وهل نتحدث عنها عندما اتخذها الضالون وابنها إلهين من دون الله الخ مواقف رائعة، وذكر فى العالمين، وعبرة جارية على مر الزمان والدهور كانت بطلتها امرأة.. ألا وهى مريم التى لا نظير ولا مثيل لها فى دنيا النساء.. ولكن أذكر هنا فقط بعض المشاهد القرآنية التى جاء ذكرها فيها.

يقول جل جلاله ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) ويقول جلت قدرته ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

(١) آل عمران الآيات ٣٣ : ٣٧.

وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(١). وجاء ذكر مريم في سورة سميت باسمها، وهو ذكر خالد أبدي معجز يقول جل ذكره ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا

---

(١) سورة آل عمران الآيات ٤٢ : ٧٤.

كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾(١) ويقول جل حكمته ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾(٢) ويقول تبارك وتعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾(٣) هذه هى مريم بنت عمران، حياتها كلها كفاح وجهاد ومواقف نادرة، وبطولات شامخة، قمة من القمم الراسخة، ومنارة من منارات الهدى والنور، ومعلم من معالم الصبر والفداء والتضحية ومثال فى الشرف والعفة، فأين أنت منها أيها الأخت المسلمة أليست مريم كفلت نبى الله ورسوله وعبده عيسى ولدها، أليست مريم هذه مثلا تحتذى بهاو وتسير على دربها، أليست قدوة تقتدى بها فى دنيا النساء. ومنارة تهتدى بها فى دياجير ظلمات هذا الزمان.. سلام الله عليك يا مريم. أليست مريم هذه داعية صادقة لله الواحد الأحد، أليست حياتها كلها بكل أطوارها وتطورها، وكل لحظة من لحظات حياتها تصلح بأن تكون مواقف دعوية نادرة.

امرأة بريئة:

يظن بعض الناس أو كثير منهم أن المرأة دائما هى البريد الأول لإرتكاب الفاحشة، وهذا وهم وظن سوء بالمرأة، وليس هذا على إطلاقة، بل العكس فإن

---

(١) سورة مريم الآيات ١٦ : ٣٤.
(٢) سورة المائدة الآية ١١٦.
(٣) سورة التحريم الآية ١٢.

كثيرا من الرجال قد يكون هو البريد الأول لإرتكاب الفاحشة، وعلى كل حال فإن فى التاريخ شواهد كثيرة ودلائل متعددة، وأدلة يقينية على عفة المرأة، وطهارة زيلها، ونقاء سيرتها، وكثير من النساء الطاهرات العفيفات قاومت الرجل بكل قوة وهو يريد الإعتداء عليها، وها كم صور من ذلك:

جاء فى السنة حديث وهو من الأحاديث المشهورة بين الدعاة وبين الناس وقد عنون له البخارى بحديث الغار.

حديث الغار: «عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذا أصابهم مطر، فأووا إلى غار، فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض، إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل لى على فرق من أرُزّ، فذهب وتركه، وأنى عهدتُ إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمر أنى اشتريت منه بقرا، وأنه أتانى يطلب أجره، فقلت: أعمدُ إلى تلك البقر فسقها. فقا: إنما لى عندك فَرُق - مكيال معين - من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لى فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقداو وأهلى وعيالى يتضاغون من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبوايا، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشتيك ففرج عنا، فانساحت الصخرة حتى نظروا إلى السماء. فقال الآخر: اللهم إن كنت أنه كانت ابنة عم من أحب الناس إلىّ، وأنى كنت راودتها عن نفسها فأبت إلا أن

آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتنى من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة الدينار. فإن كنت تعلم أنى قد فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا»(١). ولا بأس بنقل بعض روايات هذا الحديث، مما هو خاص بتلك المرأة العفيفة.

قال ابن حجر وهو يذكر قولها لإبن عمها وهى تزجره، وتخوفه، وتدعوه إلى البعد عن مثل هذا العمل الشنيع، وتذكره بالله وعذابه وانتقامه (فقالت: اذكر الله أن تركب منى ما حرم الله عليك قال: فقلت: أنا أحق أن أخاف ربى.. وفى رواية فلما أمكنتنى من نفسها بكت. فقلت: ما يبكيك؟ قالت: فعلت هذا من الحاجة، فقلت: انطلقى... وفى أخرى: فلما كشفتها ارتعدت من تحتى، فقلت: مالك؟ قالت: أخاف الله رب العالمين، فقلت: خفتيه فى الشدة، ولم أخفه فى الرخاء فتركها، وفى رواية: فلما جلست منها مجلس الرجل من المرأة: أذكرت النار، فقمت عنها والجمع بين هذه الروايات مكن، والحديث يفسر بعضه بعضا)(٢) أرأيت يا أختاه، كيف دافعت هذه المرأة بكل قوة عن عفتها، وكيف دعت ابن عمها عن البعد عن ارتكاب مثل هذه الفواحش، وبأسلوبها التى تنوعت فيه، وهى تعظه وتذكره الله والنار، ومازالت به حتى تركها وآمن بقولها وقبل دعوتها، وأعطته درسا، وعليه فلن يعود إلى ذلك أبدا.. فهل تأخذى أنت أيضا درسا وعبرة، وتضربى على منوالها فى العفة والنقاء، وخشية الرحمن والخوف من عذابه، وطمعا فى رضوانه. واتركى

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن نبى اسرائيل ٦/ ٣٩٤ وما بعدها.

(٢) فتح البادى، ٦/٣٩٨.

كل ما هو حرام، ولا تكونى سببا فى إغواء أو إغرا، أو طمع الرجال فيك. بل كونى سببا فى هدايتهم

امرأة أخري بريئة:

وهذا حديث آخر فيمن كان قبلنا ،عن عبدالرحمن حدثه أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينما امرأة ترضع ابنها إذ مرَّ بها راكب وهى ترضعه، فقالت: اللهم لا تمت ابنى حتى يكون مثل هذا، فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم رجع فى الثدى، ومُرَّ بإمرأة تُجرُّ ويلعب بها، فقالت: اللهم لا تجعل ابنى مثلها، فقال: اللهم اجعلنى مثلها، فقال: أما الراكب فإنه كافر، وأما المرأة فإنهم يقولون لها: نزنى وتقول: حسبى الله. ويقولون: تسرق، وتقول: حسبى الله،(١).. وهكذا عبر تاريخ البشرية الطويل من آدم وزوجته عليهما السلام وجدنا النساء يضربن بسهم وافر فى العفاف، والبناء والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقد سجل القرآن الكريم كل هذا وزيادة، وقد سجلت السنة كل هذا أيضا وزيادة..

نساء الأمة المرحومة:

إلى رحاب نساء الأمة المرحومة، نساء خير الأمم، نساء أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. وأخذ نماذج فقط منهن، لأن الحديث عنهم طويل جدا، ولا طاقة لى به وأول امرأة تقابل الباحث فى هذه الأمة، امرأة لها من الفضل ما لا يقدره لها إلا خالقها.

هى أول زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وهى أم المؤمنين، وهى أم أولاده صلى الله عليه وسلم وهى أول المؤمنات على الإطلاق، هى:

---

(١) فتح البخارى، ابن حجر ٣٩٨/٦

السيدة خديجة بنت خويلد:

منذ زمن وأنا أحب الحديث عن هذه السيدة حبا جما، وودت أن اذكر بعض فضائلها فى سطور، وقد حان الوقت لذلك... وحصل المراد، فهى السيدة الفريدة من نوعها بين النساء جميعا، ذات الحسب والنسب، بنت الأكابر، أما وأبا، أعماما وأخوالا، قد جمل الله تعالى الوجود بوجودها، وساق الخير على يديها، صاحبة الرياض النضرة، والمقاصد الحسنة، أنارة الدنيا بمصابيح الهدى، وملأت سمع الزمان بمواقفها الفذة، أصل بيت النبوة، ومنها تفرعت الشجرة العطرة الطاهرة. سيدة النساء على الإطلاق، وأم المؤمنين الأولى، أول من آمنت بالرسالة، وأول من حملت الأعباء التى تنوء منها الجبال الرواس، فى سبيل الإسلام. أحبها الله عز وجل، ،سلم عليها من فوق سبع سماوات، وسلم عليها جبريل عليه السلام، شجرة طيبة أصلها ثابت، وفرعها فى السماء تأتى أكلها كل حين بإذن ربها، صاحبة الفضل الأول على كل المسلمين والمسلمات منذ بداية الدعوة إلى نهاية الحياة الدنيا، فمن الذى أو التى توازيها وتساويها فى الفضل!! كوكبة منيرة، ونجمة متألقة فى أفق السماء.. عقل راجح، وذكاء لماح، وفكر متقد، الفقيهة البليغة المجاهدة الصابرة التقية الداعية الأولى.. السيدة/ خديجة بنت خويلد.

زواج الرسول من خديجة:

قال ابن كثير (كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال على مالها مُضاربة. فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها فى مال تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما تعطى

غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وخرج فى مالها ذاك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى. ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته - يعنى تجارته - التى خرج بها واشترى ما أراد أن يشترى. ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يُظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملائكة إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامتها، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له:- فيما يزعمون - يا بن عم. إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك - من الوسط - فى قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت نفسها عليه. وكانت أوسط - من أوصاف المدح والتفضيل - نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه. فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد[1]، فخطبها إليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام. ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

---

(١) وقيل ان الذى زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أخوها: عمرو بن خويلد، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ١/٧٣٥

فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلّهم إلا إبراهيم ولدت له: القاسم وكان به يكنى - والطيب، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة)[١]. وكانت له الزوجة البارة المطيعة الهادئة، وملءت البيت راحة وسعادة... ولم تعكر عليه صفو حياته مرة واحدة.. وكل أملها أن ينعم زوجها، ويمضى فى حياته مطمئن القلب، هادىء البال... وبذلت كل لحظة من عمرها فى سبيل سعادة زوجها، وما يؤديه من رسالة فى حياته. ولها مواقف شامخة لصد المعتدين، وكيد الكائدين له صلى الله عليه وسلم، وكانت له وزيرة صدق، ومواقف فى نصرة الدعوة الإسلامية، وبذلت نفسها ومالها فى سبيل الإسلام فلها منا جميعا الفضل، والثناء الجميل، ولنذكر بعض هذه المواقف.

موقف خديجة من بداية الرسالة:

لن أكتب موقفها هنا من عندى، بل أنقل فقط أعظم الكلمات، وأصدقها خبرا، وأنقاها لفظا، وذلك من كتب السنة وبخاصة ما ذكره البخارى، فهو يأتينا بالنبأ العظيم الصادق فيقول «عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى: الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ.

---

(١) المرجع السابق ١/٧٣٤، ٧٣٥، وانظر تاريخ الطبرى ١/٥٢٩

قلت: ما أنا بقارىء، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال: اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال: زملونى زملونى، فزملوه، حتى ذهب عنه الروْع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجة. كلا والله ما يخزيك الله أبدا: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ[1]، وتكسب المعدوم، وتَقْرِى الضيف، وتعين على نوائب الحق.. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل.. ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الانجيل بالعبرانية، ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى...»الحديث[2]..

فانظر هدانا الله وإياك: كيف أكرم الله تعالى السيدة خديجة بزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف أكرمها عندما كان بداية الوحى معها، وكيف كانت تتعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المرحلة ويتزود ويتركها الليالى ذوات العدد ويتعبد فى غار حراء، ولم تتبرم، وكيف كان موقفها الرائع الشامخ عندما جاءها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار بعد أن نزل عليه «اقرأ»، وانظر إلى صدق حديثها عن زوجها عندما قال لها

---

(١) الكل هو: من لا يستقل بأمره، انظر: فتح البارى، ابن حجر ١/ ٢٠

(٢) الحديث بطوله أخرجه البخارى فى كتاب: كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١/ ١٨ وما بعدها.

«لقد خشيت على نفسي» فقالت بالاستقراء والمخالطة والمعايشة ما قالت له، ووصفه بأصول مكارم الأخلاق وطمأنت فؤاده، وطيبت خاطره، وهدأت من روعة، ولكنها لم تقف عند هذا، بل ذهبت به إلى ورقة بن نوفل وهو صاحب خبره، لعله ينبئهم عن هذا، بل بعض الروايات تذكر أنها رضى الله عنها تركت زوجها نائماً بعد أن زملته، وذهبت هى إلى ورقة وقصت عليه الخبر[1].. فانظر إلى حرصها على الداعية، والعمل على راحته.. وهاكم بعض الأحاديث التى جاءت فى ذكرها:

فضل أم المؤمنين خديجة:

جاء في صحيح البخارى جملة من الأحاديث فى بيان فضل السيدة خديجة رضى الله عنها وأرضاها منها «عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة»[2].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها. ولكن كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاه ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة. فربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة. فيقول: إنها كانت، وكانت، وكان لى منها ولد»[3].

«وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو

---

(١) انظر: فتح البارى، ابن حجر ١/٢١.

(٢)، (٣)، أخرجها البخارى فى كتاى: أحاديث الأنبياء، باب: تزويج النبى صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضى الله عنها ٧/١٠٥ : ١٠٩

شراب، فإذا هى أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها، ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب ولا نصب»[١].

وأنقل هنا بعض ما ذكره ابن حجر عن أم المؤمنين الأولى السيدة خديجة رضوان الله تعالى عليها (وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة... وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم من ثناء عليها واستغفار لها... وقوله «وكانت وكانت» أى كانت فاضلة، وكانت عاقلة، ونحو ذلك، وعند أحمد قوله «آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء» وكان جميع أولاد النبى صلى الله عليه وسلم من خديجة إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية... وفى حديث «قالت عائشة: فأغضبته يوما، فقلت: خديجة، فقال: إنى رزقت حبها» قال القرطبى: كام حبه صلى الله عليه وسلم لها لما تقدم ذكره من الأسباب وهى كثيرة، كل منها كان سببا فى ايجاد المحبة، ومما كافأ النبى صلى الله عليه وسلم خديجة فى الدنيا، أنه لم يتزوج فى حياتها غيرها، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم.. وفيه دليل على عظم قدرها، وعلى مزيد فضلها، لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به ما اشترك فيها غيرها مرتين، لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما، وهى نحو الثلثين من المجموع، ومع طويل المدة. فصان قلبها من الغيرة، ومن تكدر الضرائر الذى ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهى فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: تزويج النبى صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضى الله عنها ١٠٥/٧ : ١٠٩.

مثل أجرهن لما ثبت: أن من سن سنة حسنة، وقد شاركها فى ذلك أبوبكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل. وقال النووى: فى هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية وحرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف ذلك الصاحب... وقوله «بيت من قصب» المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف... وفى رواية «من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت»، قال السهيلى: النكتة قوله فى قصب ولم يقل من لؤلؤ، أن فى لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها ، ولذا وقعت هذه المناسبة فى جمع الفاظ هذا الحديث.. وفى القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر.. وكذا كان لخديجة من الإستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه - صلى الله عليه وسلم - بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يبغضه قط كما وقع لغيرها، وأما قوله «ببيت» فقال أبوبكر الإسكافى فى فوائد الأخبار: المراد: بيت زائد على ما أعده الله تعالى لها من ثواب عملها، ولهذا قال «لا نصب» أى لم تتعب بسببه، قال السهيلى: لذكر البيت معنى لطيف، لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث، ثم صارت ربة بيت فى الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض فى أول بعث النبى صلى الله عليه وسلم بيت إسلام إلا بيتها، وهى فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها، قال: وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه، وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء فى الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر.. وفى ذكر البيت معنى آخر، لأن مرجع أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم إليها، لما ثبت فى تفسير قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» قالت أم سلمة(١).

---

(١) سيأتى ذكر أم سلمة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

لما نزلت: دعا النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى، الحديث أخرجه الترمذى وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأن الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتها، وعليٌّ نشأ فى بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوى إلى خديجة دون غيرها وقوله «لا صخب فيه ولا نصب»... أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعا، فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب فى ذلك. بل أزالت عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهوّنت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذى بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها.. وقوله «فأقرأ عليها السلام من ربها ومنى» فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته.. وفى رواية زادت: وعلى من سمع السلام إلا الشيطان. قال العلماء فى هذه القصة دليل على: وفور فقهها، لأنها لم تقل: وعليه السلام، كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون فى التشهد: السلام على الله، فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم، وقال إن الله هو السلام، فقولوا التحيات لله، فعرفت خديجة لصحة فهمها: إن الله لا يرد عليه السلام، كما يرد على المخلوقين، لأن السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضا دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصح أن يرد به على الله، فكأنها قالت: كيف أقول عليه السلام، والسلام اسمه، ومنه يطلب، ومنه يحصل. فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه، فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره، فقالت: وعلى جبريل السلام، ثم قالت: وعليك السلام..)(١). ثم ذكر ابن حجر كلام العلماء حول أفضل نساء النبى صلى الله

---

(١) فتح البارى، ابن حجر ١٠٥/٧ وما بعدها (بتصرف كبير).

عليه وسلم[١]- تلك كانت زوجة من زوجات سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، فرحم الله السيدة خديجة، وجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء... وجمعنا الله تعالى معها فى مستقر رحمة. وكان المقصد فى البداية الحديث عن كل زوجات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن الحديث عنهن طويل، فأكتفى بذكر واحدة منهن كنموذج وقد يأتى ذكر بعضهن ضمنا...

داعية تدعو خطيبها للإسلام:

أم سليم: امرأة من نساء الأمة المرحومة، عاشت حياتها كلها داعية مخلصة للإسلام، فقد وقر الإيمان فى قلبها، وسرى الإسلام فى عروقها، وامتلأ قلبها حبا بالإسلام، أطاعت ربها، صلت وصامت وحجت وزكت وتطوعت فى كل الفرائض، بالنوافل، طاهرة نقية عفيفة، لكن كل هذا لا يكفى فى الدعوة الإسلام، وإلى دين الله عز وجل فماذا تفعل بعد ذلك لننظر:

زواجها: إن كل فتاة ترغب فى الزواج تحلم ولاشك فى زوج ذو منصب، ومن زوج ذو ثراء، وله قصر منيف أو على الأقل شقة فى موقع كذا مكونة من كذا غرفة، فى كل غرفة كذا من الفراش الخ، ثم تأتى الخطبة، ثم الشبكة، ثم المهر، ثم المكث مدة ليتعرف كل منهما على الآخر، قبل ليلة الزفاف ثم تأتى ليلة الزفاف، وما أدراك ما يحدث فى كل منهما، ولا تنسى الكوافير- كما سبق - هذا هو الواقع للأسف، لكن أختى المسلمة تعالى معى لنشهد قصة زواج أم سليم، عسى أن تقتدى بها، وتكونى مثلها.. لتنعمى بالسعادة الحقيقية، وراحة البال، والسكن والمودة، وليست السعادة الوهمية، والغم والنكد، ثم ارغبى من قبل ومن بعد برضى الله عز وجل، وإليه اسعى وتنافسى، هذا هو الميدان

---

(١) انظر: المرجع السابق ٧/١١٠.

الصحيح، لكن التنافس على الدنيا، والحديث عن زميلتك أو قريبتك من خطبها، وكيف جهزها فهذا ما لا ينبغي... وبعد ماذا فعلت أم سليم عندما جاءها أبوطلحة يخطبها ويريد زواجها؟ تقول كتب التراجم والسير (أم سليم بنت مِلْحَان بن خالد.. أم أنس بن مالك، اختلف فى اسمها فقيل: سهلة، وقبل: رميلة، وقبل: الغميصاء، وقيل: الرميصاء. كانت تحت مالك بن النضر والد أنس بن مالك فى الجاهلية، فلما اسلمت غضب عليها وخرج إلى الشام، ومات هناك، فخطبها أبوطلحة الأنصارى وهو مشرك، فقالت : أما أنى فيك لراغبة، وما مثلك يرد، ولكنك كافر، وأنا إمرأة مسلمة، فإن تسلم فذاك مهرى، ولا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها وحسن إسلامه)(١).

وفى روايات أُخَرْ جاء فيها، كيف دعته إلى الإسلام باللين والحجة والعقل (فقالت له ـ عندما أراد خطبتها ـ: يا أبا طلحة، ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد ينبت من الأرض، ينجرها حبشى بنى فلان؟ قال: بلى، قالت: أفلا تستحى أن تعبد خشبة!! إن أنت أسلمت، فإنى لا أريد منك الصداق غيره. قال: انظر فى أمرى، فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)(٢). وفى الطبقات (أنها ـ أم سليم ـ آمنت برسول الله، قالت: فجاء أبوأنس وكان غائبا فقال: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكنى آمنت بهذا الرجل، قالت: فجعلت تلقن أنسا وتشير إليه قل: لا إله إلا الله، قل أشهد أن محمدا رسول الله، قال: ففعل: قال: فيقول لها أبوه: لا تفسدى علىَّ ابنى. فتقول: إنى لا أفسده. فخرج مالك أبوأنس فلقيه عدو فقتله، فلما بلغها قتله قالت: لا جرم، لا أفطم أنسا حتى يدع الثدى حيا، ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس. فيقول: قد قضت الذى عليها، فترك الثدى، فخطبها أبوصلحة وهو مشرك فأبت، فقالتله

---

(١)، (٢) اسد الغابة، ابن الأثير ٧/٣٤٥، ٣٤٦.

يوما فيما تقول: أرأيت حجرا تعبده، لا يضرك ولا ينفعك، أو خشبة تأتى بها النجار فينجرها لك، هل يضرك أو ينفعك، قال: فوقع فى قلبه الذى قالت. فأسلم، فتزوجته أم سليم وكان صداقها الإسلام)(١). وكان هذا أغلى مهر فى الإسلام.. ويلاحظ: دعوتها لزوجها الأول ليدخل فى الإسلام بعد أن سبقته هى إلى الإسلام، فسرعة استجابتها لدين الله كانت سريعه.

وكذلك حسن تنشئتها لولدها وهو مازال رضيعا حين كانت تلقنه شهادة التوحيد، وكذلك وفاءها بما قالت: فلم تفطم أنسا حتى ترك الثدى، وكبر وجلس فى المجالس وزوج أمه وهى أم سليم، ثم يلاحظ أكثر وهو المطلوب هنا: أنها عرضت على خطيبها الإسلام ودعته إليه. ليدخل فى عداد المسلمين، وانقاذه من براثن الشرك وظلماته، فكانت على مثل ذلك حريصة على الناس. ثم يلاحظ أيضا أسلوب الدعوة، فهو أسلوب سهل، ولين، ومقنع تماما.. لذا قبله أبوطلحة، ويلاحظ أخيرا أنها لم تتفق معه على إعداد منزل الزوجية، وما يحرى من الخاطب لمخطوبته، ولا حتى المهر إلا فقط دخول الرجل فى حظيرة الإسلام. أليست هذه داعية من طراز فريد، وهل يوجد لها مثيلة..

ثمرة إسلام أبي طلحة:

إن دخول أبى طلحة فى الإسلام فى حد ذاته لثمرة طيبة لكن الرجل لم يقف على أنه مسلم وفقط، بل ذهب بإسلامه فى كل ناحية من نواحى الحياة، وفى كل جزئية من جزيئات عمره، فها هو يموت ولده ويحتسبه، ثم انطلق إلى ميدان الشرف والعزة والكرامة، ميدان الجهاد فى سبيل الله عز وجل، بعد أن أعد العدة، لكل من تسول له نفسه لمحاربة الإسلام والمسلمين، فهو له

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٨/٤٦٥، المكتبة القيمية، بدون

بالمرصاد، ولا نطيل، وأنقل هنا حديثا واحدا عنه وفيه دروس كثيرة ونافعة «عن أنس رضى الله عنه قال: لما كان يوم أحد أنهزم الناس عن النبى ﷺ، وأبو طلحة بين يدى النبى ﷺ نجوِّب - مترس - به عليه بحجفة له، وكان أبوطلحة - واسمه: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام - رجلا راميا شديد القدِّ - سير من جلد غير مدبوغ -، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا، وكان الرجل يمر معه الجَعْبة من النَّبل فيقول: انشرها لأبى طلحة، فأشرف النبى ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبوطلحة: يا نبى الله بأبى أنت وأمى لا تُشرف تصيبك سهم من سهام القوم، نحرى دون نحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر، وأم سليم، وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونها تفرغان فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيان فتفرغانه فى أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يدى أبى طلحة إما مرتين أو ثلاثا»[1].

وفاة ولدها:

وفى وفاة أحد أبنائها أيضا دروسا وعبرا، أعطتها أم سليم لكل أم تفقد ولدها، وكيف تحتسبه عند بارئها، وهاكم خبر موت ابنها، قال ابن سعد (.. عن أنس أن أبا طلحة، مات له ابن، فقالت أم سليم: لا تخبروا أبا طلحة حتى أكون أنا أخبره، فسجت عليه ثوبا، فلما جاء أبوطلحة وضعت بين يديه طعاما فأكل، ثم تطيبت له فأصاب منها، فقالت له: يا أبا طلحة إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية، فبعثوا إليهم أن ابعثوا إلينا بعاريتنا، فأبوا أن يردوها، فقال أبوطلحة: ليس لهم ذلك، إن العارية مؤداة إلى أهلها، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله، وإن الله قد قبضه فاسترجع. قال أنس: فأخبر النبى ﷺ، فقال «بارك الله لهما فى ليلتهما» قال: فتلقت بغلام فأرسلت به معى أم سليم إلى

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٨/٤٧٣، ٤٧٥ بتصرف.

النبى ﷺ، فحملت معى تمرا، فأتيت النبى ﷺ وعليه عباءة وهو يهنأ بعيرا له، فقال رسول الله ﷺ هل معك تمراً؟ قلت نعم، فأخذ التمرات فألقاهن فى فيه فلاكهن ثم جمع لعابه ثم فرغ فاه فأوجره إياه، فجعل الصبى يتلمظ، فقال رسول الله ﷺ «حب الأنصار التمر» فحكنه، وسماه عبدالله، فما كان فى الأنصار ناشيء أفضل منه... فلقد رأيت لذلك الغلام سبعة بنين كلهم قد ختم القرآن)(١). ويلاحظ:

- قوة إيمانها، وصلابة عقيدتها، وإيمانها القوى بحكم الله تعالى، ورضاها الكامل بقضائه وقدره، واحتساب ولدها عند الله عز وجل..

- طريقة اخبار زوجها بموت ولده، فلم تقابله بالصراخ، أو الولولة، أو صياح أو بكاء، أو لطم خد، أو شق جيب، أو دعوى من دعاوى الجاهلية،.

- اسلوبها الفذ والفريد من نوعه حيث أدركت الموقف برمته، وأحاطت واحتاطت من جميع الوجوه، فلم ترغب أن يخبر زوجها أحد غيرها، رفقا به، ورحمة، ثم أبدعت فى أسلوب توصيلها الخبر إلى زوجها بهذا التشبيه الرائع المقنع والذى لا يرد ولا يصد، وذكرت له مسألة العارية.

هل هناك من داعية أعقل من أم سليم..

أم سليم وعرق النبي:

كانت أم سليم تحب الإسلام، وتحب رسول الإسلام ﷺ حبا لا يمكن وصفه، فتروى كتب السنة والتراجم قصتها مع عرق النبى ﷺ فتقول «عن أنس بن مالك قال: كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتيت فقيل لها: هذا النبى ﷺ نام فى

---

(١) الطبقات الكبرى .ابن سعد ٨/ ٤٧٣، ٤٧٥، بتصرف.

بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع - اجتمع - عرقه على قطعة أديم - جلد - على الفراش، ففتحت عتيدتها - صندوق صغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها - فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها، ففزع النبى ﷺ فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت»(١).

أم سليم وبشارتها بالجنة:

جاء فى كتب التراجم أن رسول الله ﷺ بشر أم سليم بالجنة «فعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه سلم: أُريت أنى دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء إمرأة أبى طلحة»(٢).

وسيأتى ذكرها فى أمور أخرى ضمنا فيما بعد إن شاء الله تعالى. لكن المقصود هنا هو ذكر أم سليم كداعية من الداعيات إلى الإسلام، وأسلوبها فى الدعوة..

أخت تدعو أخاها للإسلام:

أخت أحبت الإسلام، وأحبت رسول الإسلام، فدخلت فى دين الله تعالى، وهى تحب أخاه فلماذا لا تدعوه إلى الهدى والنور؟ ولماذا لا تنقذه من وحل الجاهلية وهكذا فعلت، ونجحت كل النجاح. إنها الداعية: سفَّانة أخت عدى بن حاتم الطائى وفى قصة اسلامه ووفوده على رسول الله ﷺ يتضح هذا (قال ابن اسحاق: وأما عدى بن حاتم فكان يقول: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى، أما أنا فكنت امرءا شريفا،

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: الفضائل، باب: طيب عرق النبى ﷺ والتبرك به ٨١/٧، وانظر: الطبقات، ابن سعد ٤٦٨/٨، ٤٦٩.
(٢) اسد الغابة، ابم الأثير ١١٩/٧.

وكنت نصرانيا، وكنت اسير فى قومى بالمرباع[١]، وكنت فى نفسى على دين، وكنت ملكا فى قومى، لما مكان يصنع بى، فلما سمعت برسول الله ﷺ، فقلت لغلام لى عربى، وكان راعيا لإبلى: لا أبالك، أعدد لى من إبلى أجمالا زُللا سمانا، فاحتبسها قريبا منى، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى، ففعل، ثم إنه أتانى ذات غداة فقال: يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيك خيل محمد فاصنعه الآن، فإنى قد رأيت رايات، فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: قلت: فقرب إلى أجمالى، فقربها فأحتملت بأهلى وولدى، ثم قلت: ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام، فسلكت الجيوشية[٢]، وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر. فلما قدمت الشام أقمت بها، وتخالفنى خيل رسول الله ﷺ فصيب ابنة حاتم فيمن أضابت فقُدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا من طى وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام، فجهلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد، وكانت السبايا تحبس بها، فمر بها رسول الله ﷺ[٣] فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة - جيدة الرأس، تامة الخلق - فقالت: يارسول هلك الوالد، وغاب الوافد، فامن علىَّ مَنَّ الله عليك، قال: ومن وافدك؟ قالت: عدى بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله، ثم مضى وتركنى، حتى الغد مرَّ بى، فقلت له مثل ذلك، وقال لى: مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست، فأشار إلىَّ رجل خلفه أنَّ قومى فكلميه، قالت: فقمت إليه فقلت: يارسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علىَّ منَّ الله عليك، فقال: ﷺ:

---

(١) ضريبة يأخذها الزعيم من الضعفاء.

(٢) موقع أو طريق بين نجد والشام.

(٣) لاحظ عناية الرسول ﷺ بالأسرى، وتفقد أحوالهم بنفسه، ولم يتعرض لواحد منهم أو واحدة منهن بالقتل أو التعذيب أو انتهاك للأعراض، أو الضرب، أو السب، أو حتى أى أذى نفسى، كما يفعل مجرمو الحروب الآن سواء فى فلسطين أو العراق أو الشيشان.

قد فعلت، فلا تتعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك بلادك[١]، ثم آذنينى، فسألت عن الرجل الذى أشار إلىّ أن كلميه، فقيل لى: على بن أبى طالب، قالت: فأقمت حتى قدم ركب من بلىّ أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أخى بالشام، فجأت فقلت: يارسول الله ﷺ، قدم رهط[٢] من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكسانى وحملنى وأعطانى نفقه[٣]. فخرجت معهم حتى قدمت الشام، قال عدى: فوالله إنى لقاعد فى أهلى، إذ نظرت إلى ظعينة - المرأة فى هودجها - تصوب إلىّ تؤمنا، قال: فقلت: ابنة حاتم، قال: فإذا هى، فلما وقفت علىّ انسحلت[٤] تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وودك وتركت بُنية والدك وعورتك، قال: فقلت: أى أخيه - بضم الهمزة وتشديد الياء - لا تقولى إلا خيرا، فوالله مالى من عذر، لقد صنعتُ ما ذكرت، قال: ثم نزلت فأقامت عندى، فقلت لها - وكانت امرأة حازمة - ماذا ترين من أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تزل فى عز اليمن، وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا هو الرأى، قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو فى مسجده، فسلمت عليه فقال: من الرجل؟ فقلت: عدى بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ وانطلق بى إلى بيته، فوالله إنه لعامد بى

---

(١) لاحظ: حرص الرسول ﷺ على اطلاق سراحها لكن مع رفقة مأمونة حتى تعود إلى بلادها سالمة، ولم يجبرها على الدخول فى الإسلام.

(٢) الرّهط: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة جمعها: أرهاط، ورهط الرجل: قومه وقبيلته الأقربون. المعجم الوجيز ٢٧٩ط وزارة التربية ١٤١٣هـ.

(٣) أسيرة يطلق سراحها، وتكسى، وتحمل، وتعطى نفقة حتى تبلغ موطنها هذا هو إسلامنا يا دنيا الهوى، هل يتعلم الجبابرة والطغاة..

(٤) أخذت فى لومى..

إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها. قال: قلت فى نفسى والله ما هذا بملك. قال ثم مضى بى رسول الله ﷺ حتى دخل بيته تناول وسادة من أدم - جلد - محشوة ليفا فقذها إلىّ، فقال: اجلس على هذه، قال: قلت: بل أنت فأجلس عليها، قال: بل أنت، فجلست، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض. قال: قلت فى نفسى: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدى بن حاتم! ألم تكن ركُوسيا - دين النصارى والصبائين - قال: قلت: بلى، قال: إيه ولم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يحل لك فى دينك، قال: قلت: أجل والله، قال: وعرفتُ أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل، ثم قال: لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع المرأة تخرج من القادسية على بعير حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، قال: فأسلمت، قال فكان عدى يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه(١).

ويتضح من هذا: حسن استقبال النبى ﷺ للوفود، وكرم ضيافته لهم،

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٣/ ٨١ وما بعدها، وانظر السيرة النبوية، ابن هشام ٤/ ١٢٥، وانظر: الاصابة ٦/ ٧٠١.

وتواضعه الجم، والذى نرمى إليه هنا أن أخت عدى هى التى دعت أخاها، ودلته على رسول الإسلام، فنعم الأخت أخت عدى.

أما عدى بن حاتم فإسلامه كان فتحا على المسلمين، فكان أحد فرسان الإسلام، ومن الأبطال المشهورين المعدودين، وكان فى أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وشهد فتوح العراق، ووقعة القادسية، وكان مع خالد بن الوليد لما سار إلى الشام، وشهد معه بعض الفتوح، ومن شدة حبه لشرع الله تعالى، وتعاليم الإسلام، فقد روى عنه أنه قال: ما دخل علىَّ وقت صلاة إلا وأنا مشتاق إليها، وكان من جوده وكرمه للجيران لا يماريه أحد، حتى أنه كان يفت الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات، ولهن حق، توفى رحمه الله عام ٦٧هـ وقبل ٦٩، وقيل ٨٠هـ(١).

إمرأة تدعو قومها للإسلام فأسلموا:

ها هى امرأة اسملت لله تعالى، وحرصت على بنى وطنها وقومها فساقت لهم الخير، وعرضت عليهم الإسلام فأسلموا جميعا. وهاكم قصتها بتمامها من كتب السنة «فعن عمران بن حصين أنهم كانوا مع النبى ﷺ فى مسير فأدلجوا(٢) ليلتهم حتى إذا كان وجه الصبح عَرَّسوا فغلبهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس، فكان أول من استيقظ من منامه أبوبكر وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ، فاستيقظ عمر، فقعد أبوبكر عند رأسه، فجعل يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ النبى ﷺ، فنزل وصلى بنا الغداة، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا، فلما انصرف قال: يافلان ما يمنعك أن تصلى

---

(١) انظر: الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر ٨/٤ط نهضة مصر.

(٢) أدلة القوم: ساروا من أول الليل، أو ساروا فى آخره، أو ساروا الليل كله، وفى الحديث «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل» المعجم الوجيز ص٢٣١.

معنا؟ قال: أصابتنى جنابة، فأمره أن يتيمم بالصعيد، ثم صلى، وجعلنى رسول الله ﷺ فى ركوب بين يديه، وقد عطشنا عطشا شديدا فبينما نحن نسير، إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين، فقلنا لها، أين الماء؟ فقالت: إِيْهِ لا ماء، قلنا: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: يوم وليلة، فقلنا: انطلقى إلى رسول الله ﷺ قالت: وما رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها حتى استقبلنا بها النبى ﷺ، فحدثته بمثل الذى حدثتنا، غير أنها حدثته أنها مؤتمة، فأمر بمزاديها، فمسح فى العزلاوين، فشربنا عطاشا أربعين رجلا حتى روينا، فملأنا كل قربة معنا وإداوة، غير أنه لم نسق بعيرا، وهى تكاد تَمِضُّ من الملء، ثم قال: هاتوا ما عندكم، فجمع لها من الكِسَر والتمر، حتى أتت أهلها. قالت: أتيت أسحر الناس، أو هو نبى كما زعموا، فهدى الله ذات الصِّرْم بتلك المرأة، فأسلمت واسلموا)(١).

امرأة خير وبركة علي قومها:

هى: جُويرة بنت الحارث بن أبى ضرار من بنى المصطلق، زوج النبىﷺ وكان النبى ﷺ غزا بنى المصطلق وهى غزوة المريسيع فى سنة خمس أو ست من الهجرة، ووقعت جُوريرة فى السبايا، وقومها فى الأسر، فتزوجها الرسول ﷺ، وأعتقها، فبلغ الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما كان فى أيديهم من بنى المصطلق، فقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: علامات النبوة فى الإسلام ٤٥٣/٦ . وقوله عرسوا أى نزلوا آخر الليل للراحة، وسادلة: مرسلة ومدلية، ومزادتين: قربتين، وإيه: تقال للإسكات والكف، ومؤتمة: ذات أيتام، والغزلاوين: فم القربة، وإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ لحفظ الماء..

قومها وكان اسمها برة، فسماها الرسول ﷺ جويرية، وكره أن يقال: خرج من عند برة. ولما تزوجها ﷺ، جاءها أبوها، فقال: إن بنتى لا يسبى مثلها، فخل سبيلها، فقال رسول الله ﷺ، أرأيت إن خيرّناها! أليس قد أحسنت؟ قال: بلى وأديت ما عليك، قال: فأتاها أبوها، فقال: إن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينا، فقالت: فإنى قد اخترت رسول الله ﷺ(١).

امرأة تنقذ زوجها من الضياع:

إذا كان - كما سبق - امرأة تدعو خطيبها للإسلام، وهو مهرها فقط لاغير، وإذا كان هناك أخت دعت أخاها للإسلام، وإذا كان هناك امرأة دعت قومها للدخول فى الإسلام، وإذا كان هناك امرأة كانت خيرا وبركة على بنى قومها، فإن هناك امرأة كانت حريصة كل الحرص على انقاذ زوجها، وانعتاقه من الضياع والخسران، إنها

أم حكيم بنت الحارث بن هشام:

كان زوجها من ألد أعداء الإسلام ورسوله، وقد تعرض المسلمين لأذاه العنيف سواء بالقتل أو السب أو تدبير المؤامرات مثله مثل أبيه من قبل وهو عكرمة بن أبى جهل، وكتب السير والتاريخ فيها كم هائل من فظائع أبى جهل، وقتل بحمد الله تعالى فى غزوة بدر وقام عكرمة ابنه قومته إنتقاما لأبيه أبى جهل، وخاض ضد المسلمين معارك شرسة، وواصل شراسته حتى كان فتح مكة، وقد أهدر الرسول ﷺ دمه هو ومن كان على شاكلته، فلما جاء نصر الله تعالى لجنوده فى فتح مكة، ما كان من عكرمة إلا أن ولى هاربا فارا إلى اليمن خوفا من قتله، راكبا البحر، إلا أن زوجته أم حكيم كانت قد أسلمت،

(١) انظر: الإصابة، ابن حجر ٧/٥٦٤، وانظر: الطبقات، ابن سعد ٨/١٣٦.

واستسمحت رسول الله ﷺ أن يعطيها الأمان لزوجها عكرمة، فاستجاب الرسول الكريم لطلبها، وأعطاها أمانا لزوجها، فجاءت تبحث عنه في لهفة حتى أدركته، وذكرت له أمان رسول الله ﷺ، وأخذت تحاوره، وتقنعه، وكأني بها تقول: الله الله في نفسك أن تهلكها أو تضيعها، والرسول ﷺ هو: أحكم وأكرم، وخير الناس، أنه ابن عمك عزه عزك، وشرفه شرفك، أخذت تناديه وتستعطفه حتى استرجعته وأسلم. وفي بعض المراجع أنها ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته من هناك(١).

ثمرة هذا الجهاد:

عندما أسلم عكرمة، ووجد حلم الرسول ﷺ، وسماحة الإسلام، وأدرك حقيقة الإيمان، وسرى في قلبه ما كان عليه إلا أن حمل روحه على كفه، وشهر سلاحه في يده، وانطلق بطلا من الأبطال المعدودين في الإسلام، وأخذ يدافع عن دينه، ويكبح جماح معانديه..

وصار عكرمة أحد الأماجد في الإسلام بعد أن كان من رؤس الجاهلية كأبيه عداوة للإسلام ورسول الإسلام، وكان إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجاني يوم بدر، استعمله الصديق على عُمان حين أرتدوا فقاتلهم فأظفره الله بهم، ثم خرج إلى الشام مجاهدا. قال عنه الشافعي: كان عكرمة محمود البلاء في الإسلام، استشهد بأجنادين، وقيل: باليرموك، وقال أبوإسحاق: نزل عكرمة يوم اليرموك فقاتل قتالا شديداً وقتل فوجدوا به بضعا وسبعين ما بين ضربة، ورمية، وطعنة(٢).

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ٢/٧٦٥، وانظر:فتح الباري ابن حجر ٩/٨، والاصابة ٨/١٩٣، والطبقات ٨/٣٠٣

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي ٢/٤٤، ٤٥

خالة تدخل أميرا في الإسلام:

آمنت برسول الإسلام، وأحبته حبا جما، ولها دلال مع ابن إختها، فلماذا لا تدعوه إلى الإسلام، ليحظى بالنور والإيمان والجنان، واستجاب ابن الأخت لخالته، ودخل فى دين الله تعالى، ثم توالت الأيام، وكر الليل والنهار، حتى أصبح أمير للمؤمنين، هو: ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه وعن خالته، وخالته هى:

سعدي بنت كرز بن ربيعة:

كانت بليغة، وشاعرة، وداعية، قالت لعثمان بن عفان:

(عثمان يا عثمان يا عثمان... لك الجمال ولك الشان

هذا نبى معه البرهان... أرسله بحقه الديان

وجاءه التنزيل والفرقان.. فاتبعه لا تغيا بك الأوثان.

وقالت: إن محمد بن عبدالله رسول الله، جاء إليه جبريل يدعوه إلى الله تعالى، مصباحة مصباح، وقوله صلاح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، لقرنه نطاح، ذلّت له البطاح، ما ينفع الصياح لو وقع الرماح، وسُلمت الصفاح، ومُدت الرماح)[1]، سمع عثمان هذا الشعر، وهذا الكلام المليح قال: (ثم انصرفت ووقع كلامها فى قلبى، وبقيت مفكرا فيه)[2].

ثم قابل سيدنا أبوبكر الصديق، وحدثه بحديث خالته، فحدثه أبوبكر ودخل فى الإسلام[3] وهو علم من الأعلام، وأشهر من أن نتحدث عنه هنا.

---

(١) الاصابة ٧/٦٩٨.

(٢) المرجع السابق ٧/٦٩٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ٧/٦٩٨.

الفصل الرابع:

ملح ومنثورات نسائية دعوية

لما كان الحديث عن النساء في الإسلام شاق وطويل، وبحر لا ساحل له، ولا أستطيع، ولا أتقن السباحة في أمواجه المتلاحقة، وهن من الكثرة بمكان ولا أقدر على حصرهن أو عددهن، أو ذكر جهادهن في حقل الدعوة، لما كان ذلك كذلك، فقد تناولت في هذا الفصل بعض المواقف الإصلاحية والدعوية لبعضهن عبر التاريخ الإسلامي حتى الآن، وسوف يظل دورهن في هذا الحقل حافلا بارزا إلى نهاية الدنيا، وقديما قيل: ما لا يدرك كان لا يترك كله، فجعلت في هذا الفصل بعض المواقف حسبما اتفق، وليس من قدمتها في الذكر بأفضل ممن أجلت، بل قد يكون العكس، فالمقصد هو: ذكر بعض مواقف من بعضهن، وجعلت كل هذا في صورة قصص، لأن الناس وبخاصة النساء تحب قراءتها، وهي - أي القصة - إحدى أساليب الدعوة إلى الله عز وجل، وكم في القرآن المجيد من القصص، وكذا في السنة .. لأن النفس تهواها، وإليها تميل، ولها أثرها الفعال في حقل الدعوة، وإذا كان كثير من النساء ترغب وتحب القصص في مشاهدتهن للتلفاز أو الفضائيات أو الإستماع إليها من خلال المذياع، أو قراءتها في الكتب، وهي معروفة الهدف والغاية، فإن في هذا إشارة إلى ما فيه الغنى عن كل هذا، وما فيه دليل إلى غيره .. وهي هنا قصص حقيقي لا خيال فيه، وخالية من الأساطير والخرافات والتأليف، ولها أثرها الطيب في جذب المرأة المسلمة إلى ساحة الإسلام، والعودة إلى رحاب القرآن، وسنة سيد الأنام، وسيرة الصالحات من سلف الأمة، بدلا من ضياع الوقت، وربما العمر في القيل والقال، فهيا بنا إلى ذكر بعض هذه الملح والمنثورات،

وسوف يتضح من خلالها مدى حصافة المرأة، وأسلوبها فى الدعوة، وإلى أى مدى أعطاها الإسلام الحرية، وقدرها فأحسن تقديرها، وصانها ورعاها...

اختاه: انظري إلي هذه الفتاة العربية:

(حكى عن الحارث بن عوف ين أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان: أترى أنى أخطب إلى أحد فيردنى؟ قال: نعم، قال ومن هو؟ قال: أوس بن حارثة بن لام الطائى، قال: اركب بنا إليه، فركبنا إليه حتى أتينا أوس بن حارثة فى بلاده، فوجدناه فى فناء منزله، فلما رأى الحارث بن عوف، قال: مرحبا بك يا حارث، ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جئت خاطبا. قال: لست هناك، فانصرف ولم يكلمه، فدخل أوس على امرأته مغضبا. فقالت له: من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه؟ فقال: ذلك سيد العرب، الحارث بن عوف، فقالت: فمالك لا تستنزله، قال: إنه استهجننى. قالت: وكيف؟ قال: لأنه جاءنى خاطبا. قالت: ألست تزعم أنه سيد العرب؟ قال: نعم، قالت: إذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج؟ قال: قد كان ذلك، قالت: فتدارك ما كان منك، قال: فماذا؟ قالت: بأن تلحقه فترده، قال: كيف؟ وقد فرط منى ما فرط. قالت: تقول له إنك لقيتنى وأنا مغضب لأمر، فلك المعذرة فيما فرط منى، فارجع ولك عندى كل ما طلبت، قال: فركب فى أثرهما. قال خارجة ابن سنان فوالله إنا نسير إذ حانت منى التفاتة فرأيته، فقلت للحارث وهو ما يكلمنى: هذا أوس فى أثرنا، فقال: ما أصنع به، فلما رآنا لا نقف قال: يا حارث أربع علىَّ، فوقفنا له، وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا، قال خارجة بن سنان: فبلغنى أن أوسا لما دخل منزله، قال لزوجته: ادعى لى فلانة أكبر بناته، فأتته. فقال لها: أى بنية هذا الحارث بن عوف سيد

من سادات العرب، جاءني خاطبا، وقد أردت أن أزوجك منه، فما تقولين؟ قالت: لا تفعل، قال: ولم؟ قالت: لأن في خلقي رداءة، وفي لساني حدة، ولست بابنة عمه فيراعى رحمي، ولا هو بجار لك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني، فيكون عليَّ بذلك مسبة، قال لها: قومي بارك الله فيك. ثم دعا ابنته الأخرى، فقال لها مثل قوله لأختها. فأجابته بمثل جوابها، فقال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا الثالثة، وكانت أصغرهن سنا، فقال لها مثل ما قال لأختيها، فقالت له: أنت وذاك. فقال لها: إني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه، ولم يذكر لها مقالتهما، فقالت له: والله إني الجميلة وجها، الرفيعة خلقا، الحسنة رأيا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه، فقال لها بارك الله فيك، ثم خرج إليه فقال: زوجتك يا حارث بابنتي هنيسة، قال: قد قبلت نكاحها، وأمر أمها أن تهيئها له، وتصلح شأنها، ثم أمر بيت فضرب له وأنزله إياه، ثم بعثها إليه، فلما دخلت عليه، لبث هنيهة ثم خرج إليَّ فقلت له: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله. قلت: وكيف ذلك، قال: لما مددت يدي إليها قالت: مه، أعند أبي وإخوتي هذا؟ والله لا يكون. ثم أمر بالرحلة فأرتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله. ثم قال لي: تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق، فما لبث أن لحقني، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله. قلت: ولم؟ قال: قالت: تفعل بي كما يفعل بالأمة السبية الأخيذة، لا والله حتى تنحر الجزر والغنم، وتدعو العرب، وتعمل مثلك لمثلي، فقلت: والله إني لأرى همة وعقلا، فقال: صدقت. قال: وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة، فوردنا إلى بلادنا، وأحضر الإبل والغنم، ونحر وأوْلم، ثم دخل عليها وخرج، فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله، قلت: ولم ذاك؟ قال: دخلت عليها أريدها، وقلت لها قد أحضرت من المال ما تريدين، قالت: والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك، قلت:

ولم ذاك؟ قالت: أتستفرغ لنكاح النساء، والعرب يقتل بعضهم ولم ذاك، قالت: أتستفرغ لنكاح النساء، والعرب يقتل بعضهم بعضا. وكان ذلك فى أيام حرب قيس وذبيان. قلت: فماذا تقولين. قالت: أخرج إلى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك، فلن يفوتك ما تريد، فقلت: والله إنى لأرى عقلا ورأيا سديدا، قال: فاخرج بنا، فخرجنا حتى أتينا القوم، فمشينا بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى، ثم تؤخذ الدية، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير، فانصرفنا بأجمل ذكر، ثم دخل عليها، فقالت: أما الآن فنعم، فأقامت عند فى الذّ عيش وأطيبه، وولدت له بنين وبنات)(١) تلك نجيبة من نجيبات بنات العرب.

المتكلمة بالقرآن المجيد:

من النساء من يكثر حديثهن فى اللغو واللهو، والقيل والقال، وضياع الوقت بدون فائدة، إلا فى قصص الحب الوهمية، وتتبع عورات الأخريات، ونشر عيوب سترها الله تعالى، والغيبة والنميمة، والسخرية من إماء الله تعالى وكيدهن بدون مبرر يذكر الخ. وتناسين قول الله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢)، ولما كان كل لفظ يخرج من فى الإنسان هو محاسب عليه، كانت هناك امرأة عاقلة تزن الأمور بكل دقة، وتعمل للآخرة ألف حساب، فصمتت على كل الكلام، وحفظت كتاب الله تعالى، فكان حديثها كله من القرآن المجيد، فكيف كان ذلك لنقرأ (قال عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى: خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة

---

(١) المستطرف فى كل فن مستطرف، الأبشهى ٢/٢٩٧، ٢٩٨ط، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢) ق: ١٨.

والسلام، فبينما أنا فى بعض الطريق، إذا أنا بسواد على الطريق، فتميزت ذلك، فإذا هى عجوز عليها درع من صوف، وخمار من صوف، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقالت ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾(١)، قال: فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان؟ قالت «ومن يضلل الله ﴿ فما لهُ من هاد ﴾(٢)، فعلمت أنها ضالة عن الطريق، فقلت لها: أين تريدين؟ قالت ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾(٣)، فعلمت أنها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس. فقلت لها: أنت منذ كم فى هذا الوضع؟ قالت ﴿ ثلاث لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾(٤)، فقلت: ما أرى معك طعاما تأكلين، فقالت﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾(٥)، فقلت: فبأى شىء تتوضئين؟ قالت﴿ فلم تجدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾(٦)، فقلت لها: إن معى طعاما، فهل لك فى الأكل؟ قالت ﴿ ثم اتموا الصيام إلي الليل ﴾(٧)، فقلت: ليس هذا شهر رمضان؟ قالت ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(٨)، قلت قد أبيح لنا الإفطار فى السفر؟ قالت﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٩) فقلت: لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك؟ قالت﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(١٠)، فقلت: أى

---

(١) سورة يس الآية ٥٨.
(٢) سورة الرعد آية ٣٣.
(٣) سورة الإسراء آية ١.
(٤) سورة مريم آية ١٠.
(٥) سورة الشعراء آية ٧٩.
(٦) سورة النساء آية ٤٣.
(٧) سورة البقرة آية ١٨٨.
(٨) سورة البقرة آية ١٥٨.
(٩) سورة البقرة آية ١٨٤.
(١٠) سورة ق الآية ١٨.

الناس أنت؟ قالت ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(١) فقلت: قد أخطأت فاجعلينى فى حل، قالت ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(٢)، فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتى هذه فتدركى القافلة؟ قالت ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾(٣)، قال: فأنخت ناقتى، قالت: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾(٤)، فغضضت بصرى عنها، وقلت لها اركبى، فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزقت ثيابها، فقالت ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(٥)، فقلت لها: اصبرى حتى أعقلها، قالت﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾(٦)، فعقلت الناقة، وقلت لها اركبى، فلما ركبت قالت﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾(٧)، قال: فأخذت بزمام الناقة، وجعلت أسعى وأصيح، فقالت ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾(٨)، فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر، فقالت ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾(٩)، فقلت لها: لقد أوتيتم خيرا كثيرا، فقالت﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(١٠) فلما مشيت بها قليلا قلت: ألك زوج، قالت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾(١١) فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة، فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها، فقالت

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٧.
(٢) سورة يوسف آية ٩٢.
(٣) سورة البقرة آية ١٩٧.
(٤) سورة النور آية ٣٠.
(٥) سورة الشورى آية ٣٠
(٦)سورة الأنبياء آية ٧٩.
(٧) سورة الزخرف الآيتان ١٣، ١٤.
(٨) سورة لقمان الآية ١٩.
(٩) سورة المزمل آية ٢٠
(١٠) سورة البقرة آية ٢٦٩.
(١١) سورة المائدة آية ١٠١.

﴿ الْمالُ والْبنُون زينةُ الْحياة الدُّنْيا ﴾[١]، فعلمت أن لها أولادا، فقلت: وما شأنهم فى الحج؟ فقالت ﴿ وعلامات وبالنَّجْم هُمْ يهْتدُون ﴾[٢]، فعلمت أنهم أدلاء الركب، فقصدت بها القباب، والعمارات، فقلت: هذه القباب، فمن لك فيها؟ قالت ﴿ واتخذ اللهُ إبْراهيم خليلاً ﴾[٣]، ﴿ وكلَّم اللهُ موسىٰ تكْليماً ﴾[٤]، ﴿ يا يحْيىٰ خُذ الْكتاب بقُوة ﴾[٥]، فناديت: يا ابراهيم، يا موسى، يا يحى، فإذا أنا بشباب كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقربهم الجلوس قالت ﴿ فابْعثُوا أحدكُم بورقكُمْ هذه إلى الْمدينة فلْينظُرْ أيُّها أزْكىٰ طعامًا فلْيأْتكُم برزْق مّنْهُ ﴾[٦]، فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت ﴿ كُلُوا واشْربُوا هنيئًا بما أسْلفْتُمْ في الأيام الْخالية ﴾[٧]، فقلت: الآن طعامكم علىَّ حرام حتى تخبرونى بأمرها، فقالوا: هذه أمنا، لها أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء، فقلت ﴿ ذلك فضْلُ الله يُؤْتيه من يشاءُ واللهُ ذُو الْفضْل الْعظيم ﴾[٨])[٩].

سهر الليالي البيضاء:

هناك أختى المسلمة من تقضى لياليها فيما يغضب الرحمن، وتسهر ليالى حمراء ـ كما يطلقون عليها ـ من لهو وعبث وغناء ورقص وحفلات

---

(١) سورة الكهف آية ٤٦
(٢) سورة النحل الآية ١٦.
(٣) سورة النساء الآية ١٢٥.
(٤) سورة النساء آية ١٦٤
(٥) سورة مريم آية ١٢.
(٦) سورة الكهف آية ١٩.
(٧) سورة الحاقة الآية ٢٤.
(٨) سورة الجمعة الآية ٤.
(٩) المستطرف فى كل فن مستظرف، الابشيهى ٨٧/١، ٨٨. وانظر حلية الأولياء، لأبى نعيم ١٨٢/١٠ طـ دار الكتاب العربى ١٤٠٥هـ وانظر: ابجد العلوم، صديق بن حسن القنوجى ١٩١/٢، ١٩٢ دار الكتب العلمية ١٩٧٨م.

صاخبة الخ لكن المسلمة التى ترجو رحمة الرحمن، ونزول الفيوضات، فإنها تسهر الليالى وتضيؤها بطاعة ربها، وكانت المرأة المسلمة حريصة كل الحرص على ذلك، وقد تشدد على نفسها فى هذا، حتى أشفق عليها رسول الله ﷺ، ومثال ذلك ،عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: دخل النبى صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: لزينب، فإذا فترت تعلقت، فقال: لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد، وقال عبدالله ابن مسلمة عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت امرأة من بنى أسد، فدخل علىَّ رسول الله ﷺ فقال: من هذه؟ قلت: فلانه لا تنام بالليل، فذكرت من صلاتها، فقال: مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا،[1] .

ومعاذة تسهر:

معاذة العدوية من التابعيات، وزوج العابد المجاهد أبى الصهباء واصلت السير على ضرب الصالحين والصالحات والمتهجدات لتظل الراية مرفوعة، والقدوة قائمة وموجودة وممدودة، ولمرضاة ربها طالبة، سجل العلماء لها طرفا من سهرها الليالى فقالوا، كانت تحى الليل عبادة، وكانت تقول: عجبت لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد فى ظلم القبور، وقال ابن حجر: أنها لم تتوسد فراشا بعد استشهاد أبى الصهباء حتى ماتت[2] .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: العبدين، باب: ما يكره من التشديد فى العبادة ٢٧/٣، ٢٨.

(٢) انظر: المنتظم فى تاريخ الأمم، ابن الجوزى ٢٥٤/٦.

ماذا قالت أم الدَّحْدَاح:

لو أن رجلا منا تبرع بأعز ممتلكاته، وأحبها إليه، أو تبرع بكل ما يملك، وعاد إلى بيته، وأخبر زوجته بما فعل، لقامت الدنيا ولم تقعد، واتهمته بقلة عقله، وسوء تصرفه، وربما تركت بيته وفارقته..

لكن أم الدَّحْدَاح كان لها موقفا مغايرا تماما.. ولنقرأ، ماذا قالت لزوجها عندما أخبرها بخبر تبرعه بماله (عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطى بها، فأمره أن يعطينى حتى أقيم حائطى بها، فقال له النبى ﷺ: أعطه إياها بنخلة فى الجنة، فأبى. قال: فأتاه أبوالدحداح فقال له: بعنى نخلتك بحائطى - البستان الذى يملكه - قال: ففعل، فأتى النبىﷺ، فقال: يا رسول الله، ابتعت النخلة بحائطى، فاجعلها له فقد أعطيتكها، فقال ﷺ: كم من عذق رداح[1] لأبى الدحداح فى الجنة، قالها مرارا، قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح، اخرجى من الحائط، فإنى قد بعته بنخلة فى الجنة، فقالت: ربح البيع، ربح البيع، ربح البيع)[2].

امرأة سفير زواجها جبريل:

هى السيدة الطاهرة العابدة الورعة الزاهدة: زينب بنت جحش، أم المؤمنين زوج الرسول ﷺ، وقصتها مذكورة فى الذكر الحكيم، وبخاصة فى تحريم التبنى، ولها فضائل لا تعد، قالت عنها السيدة عائشة «... ولم أر امرأة قط خير فى الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثا، وأوصل للرحم،

---

(١) الرداح: الثقيل المذلل.

(٢) الاصابة، ابن حجر ١١٩/٧، ١٢٠.

وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تصدق به، وتقرب به إلى الله تعالى»[١].

وقالت مرة أخرى «.. وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمرى - فى حادث الإفك - فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت؟ قالت: يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى! والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة: وهى التى كانت تساميني[٢] من أزواج النبى ﷺ، فعصمها الله بالورع..»[٣]. أما ما نحن بصدده من زواجها برسول الله ﷺ، وكان السفير فى هذا الزواج سيدنا جبريل عليه السلام، فقد جاء فى صحيح البخارى «عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبى ﷺ يقول اتق الله وأمسك عليك زوجك قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سماوات»[٤] وفى فتح البارى (قالت زينب: ما أنا كأحد من نساء النبى ﷺ، إنهن زوجن بالمهور، زوجهن الأولياء، وأنا زوجنى الله رسوله ﷺ، وأنزل الله فىَّ الكتاب... وقالت زينب: يا رسول الله أنا أعظم نسائك عليك حقا، أنا خيرهن منكحا، وأكرمهن سفيرا، وأقربهن رحما، فزوجنيك الرحمن من فوق عرشه،

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب: فضائل الصحابة، باب: فى فضل عائشة رضى الله عنها ١٣٦/٧.

(٢) تساميني: أى لها درجة من السمو والمكانة عند رسول الله منها.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: حديث الإفك - وهو حديث طويل ٣٥٠/٧.

(٤) أخرجه البخارى فى كتاى: التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم ٣٤٩/١٣، ٣٥٠.

وكان جبريل ـ عليه السلام ـ هو السفير بذلك، وأنا ابنة عمتك، وليس لك من نسائك قريبة غيرى)(١).

امرأة عَجِب الله تعالي من فعلها:

لماذا عجب الله عز وجل من فعل هذه السيدة أو ضحك من فعلها وفعل زوجها؟ لنقرأ الحديث الصحيح فى هذا ،عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله ﷺ: من يضم أو يُضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار ـ هو أبوصلحة زوج أم سليم ـ أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: اكرمى ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبيانى، فقال: هيىء طعامك، وأصبحى سراجك ونومى صبيانك، إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعل يريانه كأنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله الليله، أو عجب من فعالكما فأنزل الله تعالى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٢).

حب الرسول ● للنساء والصبيان:

إن رسول الله ﷺ قد صحح الأوضاع المقلوبة، وأقام المعوج، ووضع الناس على الطريق المستقيم، وأقر فى أذهانهم حب المرأة، وحررها من الأفكار النكرة، والعادات المشينة، ومن ذلك ما جاء فى أحاديث كثيرة ـ غير ما سبق ـ

(١) فتح البارى، ابن حجر، ١٣/ ٣٥٠.

(٢) أخرجه البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ باب: قول الله عز وجل «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» ٧/ ٩٤، ٩٥، ومعنى عجب الله أو ضحك الله، أى رضى عنها، وعن فعلها. والآية من سورة الحشر رقم ٩.

«فعن أنس رضى الله عنه قال: رأى النبى ﷺ: النساء والصبيان مقبلين، قال: حسبت أنه قال: من عُرس، فقام النبى ﷺ مُمثلا - انتصب قائما - فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إلىّ، قالها ثلاث مرات»[1].

امرأة تلوم علي من يصوم رمضان ويصلي الفرائض!!!

إذا صام المسلم رمضان فقد أدى الفرض، وإذا صلى الفرائض الخمس فقد أدى كذلك الفرض، لكن جارية لم ترض بهذا أبدا، فكانت تصوم الفرض وتصوم غيره، وتصلى الفرائض وتتهجد، وإذا رأت غير ما تقوم به، عابت عليهم، ونفرت منهم من ذلك (باع قوم من السلف جارية، فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له، ويستعدون بالأطعمة وغيرها، فسألتهم عن ذلك، فقالوا: نتهيأ لصيام رمضان، فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان، لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، ردونى عليهم.. وباع الحسن بن صالح جارية له، فلما انتصف الليل، قامت فنادت: يا أهل الدار، الصلاة الصلاة، فقاموا، فقالوا: طلع الفجر؟ قالت: وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة!! ثم جاءت إلى الحسن، فقالت: بعتنى على قوم سوء، لا يصلون إلا المكتوبة، ردنى ردنى)[2].

عظمة الرسول مع زوجاته:

كان المركوب مرتفعا وتريد زوجة رسول الله ﷺ الركوب، والناس حولها وحوله ولا تستطيع امتطاء الدابة، فانظر ماذا يفعل الرسول ﷺ معها، هنا تجد

---

(١) أخرجه البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب: قول النبى ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلىّ ٧/ ٩٠.

(٢) لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلى ص٢٥٥، ٢٥٦، حققه: عماد زكى البارودى، المكتبة التوفيقية، بدون.

العظمة الفذة، والتواضع الجم، والإنسانية بكل معانيها، والمعونة الصادقة، والدرس والعبرة، والتاريخ من وراء ذلك يسجل ويكتب على صفحات الزمن بحروف من نور ما فعله الرسول ﷺ مع زوجته، وفى الحقيقة أن هذا الحديث جعل رأسى تدور من الفخر بأنى من أتباع هذا النبى، وأنت يا أختاه: لك أن تفخرى وتعتزى بهذا الدين العظيم، ورسوله الذى بلغ فى العظمة منتهاها، فقد مهّد لزوجه موضعا لينا فوق المركوب، ووضع ركبته لتصعد عليها، وهاكم الحديث «عن أنس... ثم خرجنا إلى المدينة - قادمين من خيبر - فرأيت النبى ﷺ يحوِّى لها - أى لزوجته صفية - وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب»(١).

اميرات في بيت أمراء:

ما أكثر الزعماء والأمراء فى دينا الملوك، وما أكثر نسائهن، وإذا حظيب إحداهن بزواجها من أحدهم، عاشت حياتها فى بزخ وإسراف، فتأكل ألذَّ الطعام، وتسكن فى أفخر القصور، وتلبس من الحرير والحلى ما لا يقدر بثمن، ولا شأن لها بالرعية، وإن كان لها شأن فهو لحب الظهور، وحب الثناء والمدح، أما أمير المؤمنين بحق فزوجته تعيش على غير هذا المنوال تماما، فهى عابدة زاهدة، تحفظ القرآن الكريم، وترعى حفظته، وبخاصة النساء. وهى لهن قدوة، فمن منا لا يعرف زوجة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ومن منا لا يعرف زوجة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما، لكنا نأخذ هنا مثالاً من أمير المؤمنين الذى كان يقول للسحابة فى السماء: شرقى أو غربى فسوف يأتينى خراجك، وهو الذى قال على فراش الموت، يامن لا يزول ملكه إرحم من

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى، باب: غزوة خيبر ٧.

زال ملكه. ونذهب إلى ما نرمى إليه من حبها للإسلام ودستوره القرآن الكريم، وفعلها الخيرات بإيجاز شديد زبيدة: تقول كتب التراجم (زبيدة امرأة الرشيد وابنة عمه جعفر واسمها أم العزيز، الملقبة: زبيدة... كانت ذات حسن باهر وجما طاهر... وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كبير... قال عبدالله بن المبارك: رأيت زبيدة فى المنام فقلت: ماذا فعل الله بك؟ فقالت: غفر لى فى أول معول ضرب فى طريق مكة - فقد مهدت الطريق من العراق إلى مكة ووضعت عليه معالم وأسبله الخ - ... وأنه كان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم، غير من قرأ ما قُدِّر له.. وكان يسمع لهن فى القصر دوى كدوى النحل - هذه قصور الأميرات المؤمنات - وكان دور كل واحدة عشر القرآن، وورد أنها رؤيت فى المنام، فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات، وما عملته فى طريق الحج، فقالت: ذهب ثواب ذلك إلى أهله، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعهن فى السحر)(١). هكذا عاشت الأميرة زوجة الأمير فى محراب العبادة، وفعل الخير.

مسابقة بين النساء والرجال:

قد يبدو للبعض أن المسابقة بين النوعين من نوع معروف، وهو أين حقوق المرأة؟ وأين حقوق الرجل، ومن الأفضل منهما وهل المرأة أزكى من الرجل أم العكس أو هما سواء؟ وهل المرأة تستطيع أن تتحمل الأعباء التى يقوم الرجل بها سواء بسواء؟ أم هى تنافسة وقد تتفوق عليه أو العكس؟ إلى آخر هذه المهاترات التى صدت الأدمغة.. وشغلوا الرجال والنساء على السواء فى معارك وهمية، لا طائل ولا فائدة من هذا العبث الفكرى.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٨٠٦، ٨٠٧، وانظر: نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب، د/ عل ابراهيم حسن ص٧٣، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨١م وانظر: تاريخ الرسلام، د/ حسن ابراهيم حسن ٢/٣٣٢.

إلا أن المقصود هنا ليس كذلك، إنما هو محاولة سؤال النساء عن درجتهم عند ربهم، وهذا هو الهدف والمقصد، وهذا هو التنافس الحقيقي. ولما جاء ذكر الرجال في القرآن الكريم كثيرا، تساءلت النساء، أين نحن من ثواب الرجال المذكور في القرآن؟؟

وهنا اجتمعت النساء، وعقدن مجلسا للتشاور والبحث في هذه المسألة، واستقر رأيهن على أن يوفدن وافدة منهن إلى رسول الله ﷺ ولتعود وتخبرهن عما دار، قال لها رسول الله ﷺ، فكان الجواب الشافي المقنع القاطع والبسيط ولنقرأ ،عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت: يا رسول الله: لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾(١). والسيدة أم سلمة سألت عن ثواب النساء في الهجرة بين الرجال، لأنها قد لاقت أشد العنت في هجرتها بالذات حيث فارقت زوجها وولدها.. وقصتها في الهجرة عجيبة وقد سجلت في كتب التراجم بحروف من نور

،وعن أم عمارة الأنصارية، أنها أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله - ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

(١) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ص٨١، المكتبة التوفيقية، بدون والآية من سورة ال عمران رقم ١٩٥.

(٢) الإصابة، ابن حجر ٨/٢٢١: ٢٢٥، وانظر أسد الغابة ٧/٣٤١. والبداية والنهاية ٢/٦٠٨

وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

«ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن يُصيبوا أُجروا، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فمالنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: أبلغى من لقيت من النساء، أن طاعة الزوج، واعترافا بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله» رواه البزار هكذا مختصرا، والطبرانى فى حديث قال فى آخره: ثم جاءته يعنى النبى ﷺ امرأة فقالت: إنى رسول النساء إليك، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهى تهوى مخرجى إليك. الله رب الرجال والنساء وإلههن، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أجروا، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ قال: طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن. وقليل منكن من يفعله»[2].

وهناك روايات أخرى فى هذا كثيرة[3]، منها (عن قتادة قال: دخل نساء على نساء النبى ﷺ، فقلن: قد ذكركن الله تعالى فى القرآن، ولم نذكر بشىء، أما فينا ما يذكر؟! فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ

---

(١) المرجع السابق ص٢٦٢ والآية من سورة الأحزاب والآية رقم ٣٥.

(٢) الترغيب والترهيب، المنذرى ٣/٣٨، طبعة وزارة الأوقاف المصرية سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٤٨٧.

والْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١).

وهنا نجد ميدان المسابقة الحقيقى، وساحة المنافسة الشريفة، والبحث بكل السبل عما يرضى الله تعالى..

أم الشهداء: أو أمهات الشهداء:

إن المرأة المسلمة تستطيع أن تحسن تربية أولادها على حب الإسلام والذود عنه، وتحث فى قلوبهم حب الجندية والجهاد فى سبيل الله تعالى، وإن فعلت ذلك فقد قدمت لوطنها ولدينها أعز ما يحتاج إليه، وأعز ما لديها، وتوجد فى صفحات التاريخ سجلات مشرقة بهذا كله اذكر نماذج من ذلك فقط.

بهية بنت عبدالله البكرية:

وفدت مع أبيها إلى النبى ﷺ، قالت: فبايع الرجال، وصافحهم، وبايع النساء ولم يصافحهن، قالت: فنظر إلىّ فدعانى ومسح رأسى، ودعالى ولوالدى، فولد لها كما يقولون - ستون ولدا: أربعون رجلا وعشرون امرأة... استشهد منهم عشرون فى سبيل الله تعالى(٢).

الخنساء بنت عمرو بن الشريد:

الشاعرة المشهورة، واسمها تماضر... قدمت على النبى ﷺ مع قومها من بنى سليم، فأسلمت معهم... وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها... حضرت الخنساء حرب القادسية، ومعها بنوها أربعة رجال، فذكر: موعظتها لهم وتحريضهم على القتال، وعدم الفرار، وفيها: إنكم

---

(١) المرجع السابق ٣/٤٨٧.
(٢) انظر: الاصابة، ابن حجر ٧/٥٤٠.

أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لبنو أب واحد، وأم واحدة، ما هجنت آباءكم، ولا فضحت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا،.. فبلغها الخبر، فقالت: الحمدلله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته.. وكان عمر بن الخطاب يعطى الخنساء أرزاق أولادها الأربعة حتى قبض(١).

جندية في البحرية:

عندما اشاهد واستمع إلى نشرات الأخبار فى وسائل الإعلام المختلفة، كنت أرى واسمع أن اليهود يجندون المرأة فى الجيش لمحاربة المسلمين فى فلسطين الغالية، وكذا الأمريكان فى العراق الجريح وأفغانستان المسلمة، واتعجب كل العجب من كثير من نسائنا وهن يعشن فى خزعبلات حقوق المرأة، أو يتسابقن إلى أحدث موضة، أو حفلات الرقص والغناء، أو سماع الأغانى الماجنة أو الحديث عن الحب الخ لكن النساء سلف الأمة ما كان لهن مأرب من كل هذا، وكل هدفهم انتشار الإسلام، وطاعة الرحمن، والطمع فيما عنده من الثواب ولنضرب لذلك مثلا:

أم حرام بنت ملحان:

كانت متزوجة من عبادة بن الصامت رضى الله عنه، وكان يقيل عندها رسول الله ﷺ، ولندعها هى تتحدث (قالت: قال - من القيلولة - رسول الله ﷺ فى بيتى، فاستيقظ وهو يضحك، قالت، قلت: يا نبى الله بأبى أنت وأمى، مم تضحك؟ قال: ناس من أمتى يركبون هذا البحر كالملوك على الأسرة، قالت: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: أنت منهم. قالت: ثم قال فاستيقظ وهو يضحك، قلت: يا رسول الله مم تضحك؟ قال: ناس

---

(١) انظر: المرجع السابق ٦١٣/٧ : ٦١٦.

من أمتى يركبون هذا البحر كالملوك على الأسرة. قالت: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: أنت من الأولين)[١]. وكانت هذه المعركة فى فتح قبرص، بقيادة معاوية بن أبى سفيان ومعه جيش كثيف، وتم فتحها فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكانت الثانية فى فتح القسطنطينية[٢].

أول شهيدة في الإسلام:

عذبت فى الله تعالى، واستمسكت بتعاليم الإسلام، وأبت بكل إباء أن تتراجع إلى الوراء، اغتاظ منها العتاة والجبابرة، ما هذه المرأة الحديدية الفولاذية التى أسلمت وفى طريقها أو على يديها يسلم الكثيرات من مواقفها هذه.. إذا فلابد من الخلاص منها، هى:

سمية بنت خباط:

والدة عمار بن ياسر، كانت سابعة سبعة فى الإسلام، عذبها أبوجهل، وآل بنى المغيرة فى الإسلام، وهى تأبى غيره حتى قتلوها، فكانت أول شهيدة فى الإسلام على الإطلاق. وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار، وأمه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح فى رمضاء مكة، فيقول: صبر آل ياسر وموعدكم الجنة.. وقال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله ﷺ، وأبوبكر، وبلال، وصهيب، وعمار، وسمية، فأما رسول الله ﷺ وأبوبكر فمنعهما قومهما، وأما الآخرون.، فالبسوا أدراع الحديد، ثم صهروا فى الشمس، وجاء أبوجهل

(١) الطبقات، ابن سعد ٨/٤٧٦، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٢٠١، واسد الغابة، ابن الأثير ٧/٢١٧. وسند الإمام أحمد ٦/٤٢٣. وأخرجه البخارى فى كتاب: الجهاد، باب: جهاد النساء ٦/٥٨.

إلى سمية فطعنها بحربة فقتلها.. ولما قتل أبوجهل يوم بدر قال النبى ﷺ لعمار: قتل الله قاتل أمك[١].

نساء عذبن في الله:

قد يتحمل الرجال ظلمة السجون وعذابها، وعندهم جلد أكثر من النساء فى تحمل العذاب، لكن هناك نساء تحملن العذاب فى سبيل الإسلام ـ الذى تعبث به النساء فى زماننا هذا ـ مهما كان نوع العذاب والآلام.

من ذلك (عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه اعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة وهم: بلال، وعامر، وابن فهيرة، وزنيرة، وجارية ابنا المؤمل، والنهدية وابنتها، وأم عبيس)[٢].

النساء والمقاومة:

جاءت أحاديث كثيرة تبرز دور المرأة فى الجهاد، وبخاصة المقاومة، كما يطلقون عليها ـ المقاومة الشعبية ـ ولم تحرم نفسها من الأجر، بأى صورة كانت فى سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، وبخلاف سبق نذكر بعضها:

«عن ثعلبة بن أبى مالك إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قَسَم مُرُوطابين نساء من نساء المدينة، فبقى مِرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين: اعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التى عندك، يريد أم كلثوم بنت على، فقال عمر: أم سَليط أحق، وأم سَليط من نساء الأنصار، ممن بايع رسول الله ﷺ، قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد»[٣].

---

(١) انظر: الإصابة ٧/٧١٢، ٧١٣، ورقم الترجمة ١١٣٣٦.

(٢) المرجع السابق ٨/٢٥٧

(٣) أخرجه البخارى فى الجهاد، باب: حمل النساء القرب إلى الناس فى العزو ٦/٦٠، ٦١ ومعنى تزفر: تخيط

«وعن الرُبيِّع بنت مُعوِّذ قالت: كنا مع النبى ﷺ نسقى ونداوى الجرحى، ونرد القتلى إلى المدينة»(١).

ونَسيبة بنت كعب بن عمرو: كانت هى وأختها، وهما المرأتان الوحيدتان اللتان بايعتا الرسول ﷺ فى بيعة العقبة قبل الهجرة وهما من المدينة وكان معها زوجها زيد بن عاصم وولدها حبيب الذى قتله مسيلمة الكذاب بعد، ولما بلغها قتل ابنها عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تقتل، فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد ومعها ابنها عبدالله، فقتل مسيلمة، وقطعت يدها فى الحرب، وكانت قد شهدت معركة أحد مع رسول الله ﷺ، وعن أم سعد بنت سعد بن الربيع قال: دخلت على أم عمارة - هذه كنية: نسيبة بنت كعب - فقلت: يا خالة: أخبرينى، فقالت: خرجت يوم أحد، والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فكنت أباشر القتال وأذبُّ عنهم بالسيف، وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلىَّ، فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قيئة وقال أبوعمر: وقد شهدت أيضا بيعة الرضوان، ثم شهدت اليمامة، فقاتلت حتى قطعت يدها، وجرحت اثنا عشر جرحا(٢).

مديرة مستشفي عسكري ميدانية متنقلة:

هى أول طبيبة فى الإسلام، تجرى العمليات الجراحية المتنوعة لمن يصاب من جنود المعركة، وتداوى جراحهم هى:

رفيدة الأنصارية أو الأسلمية:

ذكرها ابن اسحاق فى قصة سعد بن معاذ، لما أصابه بالخندق، فقال رسول الله ﷺ: اجعلوه فى خيمة رفيدة التى فى المسجد حتى أعوده من

(١) أخرجه البخارى فى الجهاد، باب: مداواة النساء الجرحى فى الغزو ٦/ ٦١.
(٢) انظر: الإصابة ٨/ ١٤٠، وانظر: الطبقات، ابن سعد ٨/ ٤٥٠ وما بعدها.

قريب، وكانت امرأة تداوى الجوحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين.. وفى الأدب المفرد للبخارى.. قال: ولما أصيب أكحل سعد يوم الخندق، فقيل: حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة، وكانت تداوى الجرحى، وكان رسول الله ﷺ إذا مر به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا اصبح قال: كيف اصبحت، فيخبره[(١)].

تنفق علي زوجها وعلي أولاده:

إذا كانت المرأة ذو يسار، وزوجها فى حاجة فإن الإسلام لا يفرض عليها النفقة على زوجها، بل هو ملزم بالنفقة عليها وعلى أولاده، وهناك معركة مازالت دائرة، هل المرأة العاملة تعطى رايتها لزوجها أم تحتفظ به أو على الأقل بجزء منه لنفسها.. لكن هناك امرأة لم تفكر - مجرد تفكير فى هذا أبدا - إنها:

ريطة بنت عبدالله بن معاوية:

امرأة عبدالله بن مسعود رضى الله عنه، وأم ولده، كانت امرأة صناعا، فقالت: يا رسول الله إنى امرأة ذات صنعة، أبيع منها، وليس لى ولا لزوجى ولا لولدى شيئ. وسألته عن النفقة عليهم، فقال: لك فى ذلك أجر ما أنفقت عليهم[(٢)].

مراقبة عامة للأسواق:

الأسواق مكان بيع وشراء، وفى الأسواق يحدث كثيرا من الغش والإختلاس والسرقات وتطفيف كيل وخسران ميزان، ويحدث الكثير من المنازعات والخصومات، وغلاء الأسعار واحتكارات الخ وهنا قام أمير المؤمنين يتعيين مراقبة عامة على السوق الخاص بالنساء وهى:

---

(١) انظر: المرجع السابق ٦٤٦/٧.

(٢) انظر: الطبقات، ابن سعد ٣٣٥/٨، واسد الغابة ١٢١/٧، والإصابة ٦٦١/٧.

الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس:

قال عنها ابن حجر (أسلمت الشفاء قبل الهجرة، وهى من المهاجرات الأول، وبايعت النبى ﷺ، وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن، وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويقيل عندها فى بيتها، وكانت قد اتخذت له فراشا وازارا ينام فيه، فلم يزل عند ولدها حتى أخذه منه مروان بن الحكم... وكان عمر بن الخطاب يقدمها فى الرأى، ويرعاها، ويفضلها، وربما ولاها شيئا من أمر السوق)(١).

كرامة للمرأة:

قد يظن البعض أن المرأة ليست أهلا للكرامة، وهذا غير صحيح، فقد سبق ذكر شىء من ذلك عند الحديث عن السيدة مريم، وهناك كثير من النساء لهن كرامات ويسوقها الله تعالى على العابدين كما يسوقها الله تعالى للعابدات من ذلك:

أم شريك، واسمها غزية بنت جابر:

أسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغبهن فى الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم.. فساروا يريدون منزلا، وحملونى على جمل ثقال - بطىء ثقيل - شر ركابهم وأغلظه، يطعمون الخبز بالعسل، ولا يسقونى قطرة من ماء، حتى إذا انتصف النهار، وسخنت الشمس، ونحن قائظون، فنزلوا فضربوا أخبيتهم، وتركونى فى الشمس حتى ذهب عقلى وسمعى وبصرى، ففعلوا ذلك بى ثلاثة أيام، فقالوا لى فى اليوم الثالث: اتركى ما أنت عليه، قالت: فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة، فأشير بإصبعى إلى السماء

---

(١) الإصابة ٧/٧٢٧، ٧٢٨.

بالتوحيد، قالت: فوالله إني لعلى ذلك وقد بلغني الجهد، إذ وجدت برد لو على صدرى فأخذته فشربت منه نفسا واحدا، ثم انتزع منى، فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض، فلم أقدر عليه، ثم دلى إلى مرة ثانية، فشربت منه نفسا ثم رفع، فذهبت أنظر، فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دلى إليّ الثالثة، فشربت منه حتى رويت وأهرقت على رأسى ووجهى وثيابى. قالت: فخرجوا فنظروا فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟ قالت: فقلت لهم: إن عدوة الله غيرى من خالف دينه، وأما قولكم من أين هذا، فمن عند الله، رزقا رزقنيه، قالت: فانطلقوا سراعا إلى قربهم وأداواهم - وعاء الماء - فوجدوها موكأة - مربوطة - لم تحل، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، وأن الذى رزقك فى هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا هو الذى شرع الإسلام، فأسلموا، وهاجروا جميعا إلى رسول الله ﷺ، وكانوا يعرفون فضلى عليهم، وما صنع الله بى)[١].

هذه أم شريك، اسلمت، وبسبب اسلامها عذبت، وأظهر الله تعالى لها كرامة، وسقتها الملائكة، ولك أن تتصور هذا الدلو من الملائكة، كيغ كان شكله، وكيف كان مذاق الماء الذى به!! وها هو إيمانها وصمودها يثمر إيمان هؤلاء جميعا بأسلوبها الفذ الرائق، وتنقذهم جميعا من غضب الرحمن، إنها أم شريك، فجزاه الله خير الجزاء.. وقد حدث أكثر من هذه الكرامة لنساء أخريات، ومثال ذلك ايضا، السيدة أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته[٢].

إمرأة تشكو إلي الله تعالي:

إن من المعروف أن المرأة بحكم تكوينها الجسدى ضعيفة، وإذا ألم بها

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٨/١٧٩، ١٨٠، انظر الإصابة، ابن حجر ٨/٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ٨/ ١٧٠.

أمر فليس لها سوى الله عز وجل، فإليه تشكو ضعفها، وإليه تلجأ فى شكوها، والله عز وجل من فيض كرمه يرحم الضعفاء، ويأخذ بأيديهم ويفرج عنهم، وتدور الدوائر على من ظلمهم، وهاكم امرأة وقعت فى ضيق من أمرها، فلمن تلجأ!! وبمن تستغيث، إلى الله عز وجل شكت وفوضت أمرها إلى خالقها إنها:

خولة بنت ثعلبة وقصتها:

اسلمت وبايعت الرسول ﷺ، قال ابن سعد (أول من بلغنا أنه تظاهر من امرأته من المسلمين: أوس بن الصامت، وكانت تحت ابنة عمه خولة بنت ثعلبة، وكان رجلا به لمم، فقال لإبنة عمه: أنت علىَّ كظهر أمى، فقالت: والله لقد تكلمت بكلام عظيم، ما أدرى ما مبلغه، ثم عمدت لرسول الله ﷺ، فقصت أمرها وأمر زوجها عليه، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أوس بن الصامت، فأتاه، فقال رسول الله ﷺ «ماذا تقول ابنة عمك»؟ فقال: صدقت، قد تظهرت منها وجعلتها كظهر أمى، فما تأمر يا رسول الله فى ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ «لا تدن منها ولا تدخل عليها حتى آذن لك» قالت خولة: يا رسول الله ماله من شيء، وما ينفق عليه إلا أنا. وكان بينهم فى ذلك كلام ساعة، ثم أنزل الله القرآن «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما» إلى آخر الآيات. فأمره رسول الله ﷺ بما أمره الله من كفارة الظهار، فقال أوس: لولا خولة هلكت... وعن أبى أنس عن أبيه قال: كان من ظاهر فى الجاهلية حرمت عليه امرأته آخر الدهر، فكان أول من ظاهر فى الإسلام أوس بن الصامت، وكان به لمم، وكان يفيق فيعقل بعض العقل، فلاحى امرأته خولة بنت ثعلبة أخت أبى عبدالرحمن يزيد بن ثعلبة فى بعض صحواته فقال: أنت على كظهر أمى، ثم ندم على ما قال، فقال لإمرأته: ما

أراك إلا قد حُرمت علىَّ، قالت: ما ذكرت طلاقا، وإنما كان هذا التحريم فينا قبل أن يبعث الله رسوله، فأت رسول الله فسله عما صنعت. فقال: إنى لأستحى منه أن أسأله عن هذا، فأتى أنت رسول الله ﷺ عسى أن تكسبينا منه خيرا تفرجين به عنا ما نحن فيه مما هو أعلم به. فلبست ثيابا ثم خرجت حتى دخلت عليه فى بيت عائشة فقالت: يا رسول الله، إن أوسا من قد عرفت، أبو ولدى، وابن عمى، وأحب الناس إلىَّ، قد عرفت ما يصيبة من اللمم، وعجز مقدرته، وضعف قوته، وعى لسانه، وأحق من عاد عليه أنا بشىء إن وجدته، وأحق من عاد علىَّ بشىء إن وجد هو، وقد قال كلمة، والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: أنت علىَّ كظهر أمى، فقال رسول الله ﷺ «ما أراك إلا قد حرمت عليه» فجادلت رسول الله مرارا، ثم قالت: اللهم إنى اشكو إليك شدة وجدى، وماشق علىَّ من فراقه، اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج، قالت: عائشة: فلقد بكيت، وبكى من كان معنا من أهل بين رحمة ا لها، ورقة عليها، فبينما هى كذلك بين يدى رسول الله ﷺ تكلمه، وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى يغط فى رأسه، ويتربد وجهه، ويجد بردا فى ثناياه، ويعرق حتى ينحدر منه مثل الجمان. قالت عائشة: يا خولة إنه لينزل عليه ما هو فيك. فقالت: اللهم خيرا، فإنى لم أبغ من نبيك إلا خيرا، قالت عائشة: فما سرى عن رسول الله حتى ظننت أن نفسها تخرج فرقا من أن تنزل الفرقة، فسرى عن رسول الله وهو يبتسم فقال: يا خولة: قالت: لبيك! ونهضت قائمة فرحا بتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال «قد أنزل فيك وفيه، ثم تلا عليها «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها» الآيات إلى آخر القصة، ثم قال: مُريه أن يعتق رقبة، فقالت: وأى رقبة! والله ما يجد رقبة، وما له من خادم غيرى، ثم قال: مُريه فليصم شهرين متتابعين، فقالت: والله يا رسول الله ما يقدر على

ذلك، إنه ليشرب فى اليوم كذا وكذا مرة، قد ذهب بصره مع ضعف بدنه، وإنما هو كالخرشافة، قال: فمريه فليطعم ستين مسكينا، قالت: وأنى له ذلك؟ وإنما هى وجبة، قال: فمريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق تمرا فيتصدق به على ستين مسكينا، فنهضت، فترجع إليه، فتجده جالسا على الباب ينتظرها، فقال لها: يا خولة ما وراءك؟ قالت: خيرا، وأنت دميم، قد أمرك رسول الله ﷺ أن تأتى أم المنذر بنت قيس فتأخذ منها شطر وسق تمرا فتصدق به على ستين مسكينا، قالت خولة: فذهب من عندى يعدو حتى جاء به على ظهره، وعهدى به لا يحمل خمسة أصوع، قالت: فجعل يطعم مُدين من تمر لكل مسكين(١).

وناصحة للحكام: ما أكثر النساء اللاتى وقفن فى مواجهة الحكام، وتقديم النصائح لهم، وإذا وقع الحاكم فى خطأ ما واجهته ووجهته إلى الصواب، وخولة هذه فعلت ذلك، مع مَنْ مع عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه، واستمع إليها بكل حب واهتمام، ولنقرأ:

(عن قتاده قال: خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدى، فإذا بإمرأة برْزة على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر، فردت عليه السلام فقالت: هيها يا عمر، عهدت وأنت تسمى عُميرا فى سوق عكاظ تروع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين! فاتق الله فى الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قَرُب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى الفوت. فقال الجارودى: قد أكثرت على أمير

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٤١٨/٨ وما بعدها، وانظر: الاصابة ٦١٨/٧ وما بعدها ورقم الترجمة ١١١١٢، واسباب النزول، السيوطى ص٣٢٥، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣١٨/٤، والايات صدر سورة المجادلة.

المؤمنين أيتـها المرأة، فقال عمر: دعـها، أما تعرفها؟ هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التى سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر أحق والله أن يسمع لها)[١].

امرأة تدخل أسدا في الإسلام:

المرأة لها اسلوبها الخاص، ولها من الذكاء ما تستطيع أن تستخدمه فى سبـيل الله تعالى، وفى سبيل إسلامـها ودينها، وها هى امرأة وجدت رجلا شجاعا، وبطلا قويا لا يقاوم، مشهور بالعزة وقوة البأس، وأراها قالت فى نفسها لو دخل هذا الرجل فى الإسلام لكان قوة جبارة لدين الله تعالى، وكان سدا منيعا لمنع الأذى عن رسول الإسلام ﷺ، ولنجا من غضب الرحمن، ولفاز برضوان رب العباد، وأكون أنا السبب فى هذا الخير العميم، ثم تحولت من الحديث النفسى إلى الممارسة العملية، فكيف تكلمه، وكيف تدخل عليه بطريق غير مباشر مَنْ المرأة لنقرأ:

هى سلمى امرأة أبى رافع: أم رافع امرأة أبى رافع مولى النبى ﷺ، يقال إنها مولاة صفية بنت عبدالمطلب، ويقال لها أيضا: مولاة النبى ﷺ، وخادم النبى ﷺ، وقرأت ـ ابن حجر ـ بخط أبى يعقوب البحترى فى المجموعة الأدبية له: إن المرأة التى قالت لحمزة بن عبدالمطلب، عم رسول الله ﷺ ـ لما رجع من الصيد: لو رأيت ما فعل أبوجهل بابن أخيك!!! حتى غضب حمزة، ومضى إلى أبى جهل، فضرب رأسه بالقوس، وانجر ذلك إلى الإسلام حمزة، هى سلمى مولاة صفية بنت عبدالمطلب[٢]. وهكذا كانت سلمى سببا فى دخلو

(١) الإصابة ٧/ ٦٢٠، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣١٨/٤

(٢) انظر: الإصابة ٧٠٩/٧، ورقم الترجمة ١١٣٢٥.

أسد الله فى الإسلام، وكان يقول عنه رسول الله ﷺ: حمزة أسد الله، وسيد الشهداء[١].

تبسّم!!

قال ابن حجر (وفى المسند من طريق اسحاق... عن عائشة، قالت: جاءت سلمى امرأة أبى رافع مولى النبى ﷺ تستأدية على أبى رافع، وقالت: إنه يضربنى. فقال: مالك ولها؟ قال: إنها تؤذينى يا رسول الله. قال: بما آذيته يا سلمى؟ قالت: ما آذيته بشىء، ولكنه أحدث وهو يصلى، فقلت: يا أبا رافع إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ، فقام يضربنى، فجعل يضحك ويقول: يا أبا رافع، لم تأمرك إلا بخير)[٢].

معركة حول فتاة:

يتوهم البعض أن هذه المعركة أو هذه الخصومة حول فتاة، مثل ما يفعله شباب هذا الزمن النكد، فأيهم يحظى بحبها! وأيهم تميل إليه وتهواه أكثر من غيره، ومن منهم الذى تراسله، وتتحدث معه! وتأخذ هذه اللعوب فى الإفساد بينهم فتحتدم المعركة، ولا يفض هذا الإشتباك إلا بعد فضائح، وتشويه السمعة، وزيادة القيل والقال، ووقف الحال للمسكينة. لكن الذى معى هنا ليس من هذا اللون بل الخصومة التى أريد بيانها من نوع فريد وجديد، من نوع احتضان فتاة، وأيهم يحظى بتربيتها ورعايتها وحمايتها إنه الإسلام ورسول الإسلام الذى زرع فى قلوب اتباعه رعاية المرأة، بل والمنافسة، بل قد تصل هذه المنافسة للخصومة. فى شأن حرمتها وتقديرها، وحفظ كيانها، هذه الفتاة هى:

---

(١) انظر: فتح البارى، ابن حجر ٢٩٣/٧.
(٢) الاصابة ١١٠/٧.

أمامة بنت حمزة:

ولندع الإمام البخارى يروى لنا ما حدث، لما قضى رسول الله ﷺ من عمرة القضاء من مكة «... فتبعته ابنة حمزة ينادى: يا عم، يا عم، فتناولها علىٌّ، فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك حملتها. فاختصم فيها، علىٌّ، وزيد، وجعفر.

فقال علىٌّ: أنا أخذتها، وهى بنت عمى.

وقال جعفر: هى ابنة عمى، وخالتها تحتى.

وقال زيد: بنت أخى.

فقضى النبى ﷺ:

لخالتها.

وقال: الخالة بمنزلة الأم.

وقال لعلىٍّ: أنت منى، وأنا منك.

وقال لجعفر: أشبهت خَلقى وخُلقى.

وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا...»(١).

وفى رواية: عندما حظى بتربيتها وكفالتها جعفر فرح فرحا شديدا حتى (قام فحجل حول النبى ﷺ، ودار عليه، فقال النبى ﷺ: ما هذا؟

قال جعفر: شىء رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهم.. وفى حديث ابن عباس: أن النجاشى كان إذا رضى أحدا من أصحابه، قام فحجل حوله،

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: المغازى: باب: عمرة القضاء ٤٠٧/٧.

وحجل: بفتح الحاء وكسر الجيم: أى وقف على رجل واحدة، وهو الرقص بهيئة مخصوصة، وفى حديث على المذكور أن الثلاثة فعلوا ذلك)[١]. رضا بالأوسمة التى أعطاها لهم رسول الله ﷺ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا.

براءة زوجة في القرآن:

إن الله عز وجل هو الحق، وهو العدل، ويأبى الظلم والإفتراء، وقد شن الإسلام حملة مروعة على كل ظالم ومفترٍ، وأعد للظالمين والمفترين أشد أنواع النكال والعذاب، وأبى كل الإباء الإفتراء على أحد من خلق الله تعالى، حتى ولو كان المفترى عليه أو المظلوم كافرا، والرجل والمرأة فى هذا سواء، ولقد شنع اليهود على مريم البتول، وقذفوها، فتصدى لهم القرآن العظيم، وبرأها من افتراءاتهم الغاشمة.. وجعلها محل الطهر والعفة والنقاء، وأعلى كعبها ومنزلتها، وطهر ذيلها. قال عز من قائل: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾[٢].

وقد وقعت إحدى زوجات النبى ﷺ تحت طائلة هذه الإشاعات الكاذبة والمفتراه من قبل خصوم الإسلام فى حياة سيد الخلق ﷺ، ولم يسرع النبى ﷺ فى براءتها، بل أخذ يشاور فى الأمر، ويتريث، حتى خاض الخائضون، وتحدث الأفاكون.. فى عرضها وشرفها حتى نزل القرآن المجيد ببراءتها، وهذا فى حد ذاته دليل آخر من أن القرآن العظيم من عند رب العالمين، ووالله لقد ذرفت عينى وأنا أقرأ حديثها فى البخارى، إنها:

---

(١) فتح البارى، ابن حجر ٧/٤٠٩.
(٢) سورة النساء الآية ١٥٦.

عائشة زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين:

ولا أطيل الكلام هنا، لكن نذهب إلى الإمام البخارى، وننقل منه حديث الإفك، وفيه العبر والدروس والعظات..

• .. أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرا، أقرع بين أزواجه، فأيتهن أخرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا فى غَزَاة غزاها، فخرج سهمى، فخرجت معه بعدما أُنزل الحجاب، فأنا أُحمل فى هودج، وأُنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقمتُ حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزتُ الجيش، فلما قضيت شأنى أقبلتُ إلى الرحيل، فلمستُ صدرى، فإذا عقد لى من جَذع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عِقدى فحسبنى إبتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب، وهم يحسبون أنى فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن، ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم، حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبلغوا الجمل وساروا، فوجدت عقدى بعدما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد، فأممت منزلى الذى كنت به، فظننتُ أنهم سيفقدونى فيرجعون إلى، فبينما أنا جالسة غلبتنى عيناى فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمى، ثم الذكوانى من وراء الجيش، فأصبح عند منزلى، فرأى سواد إنسان نائم فأتانى، وكان يرانى قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته، فوطىء يدها فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا معرّسين فى نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذى تولى الإفك عبدالله بن أبى بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت بها شهرا يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويُريبنى فى وجعى أنى لا أرى من النبى ﷺ

اللطف الذى كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم، ثم يقول: كيف تيكم، لا أشعر بشىء من ذلك حتى نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع فتبرزنا لا تحرج إلا ليلا إلى الليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرُنا أمر العرب الأول فى البرية أو فى التنزه، فأقبلتُ أنا وأم مسطح بنت أبى رُهم نمشى فعثرت فى مرطها، فقالت: تعس مِسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا، فقالت: يا هنتاه، ألم تسمعى ما قالوا، فأخبرتنى بقول أهل الإفك، فازددت مرضا إلى مرضى، فلما رجعتُ إلى بيتى دخل علىَّ رسول الله ﷺ، فسلم، فقال: كيف تيكم، فقلت: ائذن لى إلى أبوىّ، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لى رسول الله ﷺ، فأتيت أبوى، فقلت لأمى ما يتحدث به الناس، فقالت: يا بنية هونى على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذا!! قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقألى دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذى يعلم فى نفسه من الوُد لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا. وأما على بن أبى طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذى بعثك بالحق إنْ رأيتُ منها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام على العجين فتأتى الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبدالله بن أبى بن أبى سلول، فقال رسول الله ﷺ: من يعذرنى من رجل بلغنى أذاه فى أهلى، فوالله ما علمت

على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتمته الحمية، فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن الحضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا، وسكتَ، وبكيت يومي لا يرقأُلي دمع، ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، فقد بكيت ليلتين ويوما حتى ظننت أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي.

فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فجلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل فيَّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، فتشهد ثم قال: يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلَّص دمعي حتى ما أُحس منه قطرة. وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت وأنا جارية حديثة السن لأقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدِّقني، والله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال «فصبر جميل والله المستعان على ما

تصفون، ثم تحولتُ على فراشي، وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل فى شأنى وحيا، ولأنا أحقر فى نفسى من أن يتكلم بالقرآن فى أمرى، ولكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله، فوالله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى أنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق فى يوم شات، فلما سُرِّى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لى: يا عائشة احمدى الله، فقد برأك الله، فقالت أمى: قومى إلى رسول الله ﷺ، فقلت: لا والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ الآيات، فلما أنزل الله هذا فى براءتى قال أبوبكر الصديق رضى الله عنه، وكان ينفق على مِسطح بن أُثَاثَة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا بعدما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾، فقال أبوبكر: بلى والله إنى أحب أن يغفر الله لى، فرجع إلى مسطح الذى كان يجرى عليه، وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمرى، فقال: يا زينب ما علمت ما رأيت، فقالت: يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت عليها إلا خيرا، قالت: وهى التى كانت تساميني فعصمها الله بالورع»(١).

تلك أم المؤمنين السيدة الطاهرة، النقية، الفقيهة، العابدة، الزاهدة، المحدثة، الصديقة بنت الصديق، هل زرفت عيناك - مثلى - عند قراءة هذا الحديث.

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا ٥/٢٠٦ وما بعدها والآيات من أوائل سورة النور. وأخرجه كذلك فى كتاب: المغازى، باب: حديث الإفك ٧/٣٤٧ وما بعدها. وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٢٦٤ وما بعدها.

أم أيمن وبول رسول الله ﷺ:

(عن أم أيمن قالت: كان للنبى ﷺ وآله وسلم فخارة يبول فيها بالليل، فكنت إذا أصبحت صببتها، فنمت ليلة وأنا عطشانة، فغلطت فشربتها، فذكرت ذلك للنبى ﷺ، فقال: إنك لا تشتكين بطنك بعد هذا)[١]. وقد تكرر هذا من صحابية أخرى اسمها أيضا أم أيمن الحبشية والتى كانت تخدم أم حبيبة فقد جاء (أن النبى ﷺ كان يبول فى قَدَح من عيدان، ويوضع تحت السرير، فجاء ليلة، فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لإمرأة يقال لها بركة كانت تخذم أم حبيبة، جاءت معها من أرض الحبشة: البول الذى كان فى هذا القدح ما فعل؟ قالت: شربته يا رسول الله)[٢]، وهذا وذاك يبرز مدى حبهما للرسول ﷺ، حتى شربتا بوله تبركا..

وهاكم عدة نماذج من الأجوبة الحاضرة، والألفاظ النادرة، والإشارات المليحة، والحجج القاطعة والحاسمة من نساء، وكذا أدبهن.

من ألقاه في الجب:

(نظر رجل إلى امرأتين يتلاعنان، فقال: مُرًّا - لعنكما الله - فإنكن صواحب يوسف! فقالت إحداهما:

يا عمى، فمن ألقاه فى الجُب - البئر - نحن أو أنتم؟!)[٣] فسكت.

لا يَسُوؤني غير ذلك:

(قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لإمرأة، والله لأسوءنك! قالت:

---

(١) الإصابة، ابن حجر ٨/ ١٧١.
(٢) المرجع السابق ٧/ ٥٣١.
(٣) الأجوبة المسكتة فى أدبنا العربى، محمد إبراهيم سليم ص١٣٩، دار الطلائع ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

والله ما أنت على ذلك بقادر! قال: وكيف؟ قالت: أتستطيع أن تنزعنى من الإسلام؟ قال: لا، قالت: لا يسوؤنى غير ذلك)[١] المهم عندها الإسلام، وما عدا ذلك فلا يهم.

أتي أمر الله:

(لما بنى المأمون ببوران، مد يده إليها فحاضت، فقالت: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[٢]، ففطن المأمون، ووثب عنها)[٣].

أفقه من ابن قتيبة:

(قال ابن قتيبة: جاءتنى جارية بهدية، فقلت لها: قد علم مولاك أنى لا أقبل الهدية! قالت: ولِمَ؟ قلت: أخشى أن يستمد منى علما لأجل هديته! فقالت: استمد الناس من رسول الله ﷺ أكثر!! وقد كان يقبل الهدية! فكانت الجارية أفقه منى)[٤].

إمرأة لا تنس الفضل:

(بكت عجوز على ميت بكاء حارا، فقيل لها: بم استحق هذا منك؟ قالت: جاورنا وليس فينا إلا من تحل له الصدقة، ومات وما فينا إلا من تجب عليه الزكاة)[٥].

إمرأة تفوت علي زوجها الطلاق:

(قال لها زوجها - وهو غضبان - وهى تصعد سلم البيت: أنت طالق إن

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٠.
(٢) سورة النحل الآية الأولى.
(٣) الأجوبة المسكتة، محمد ابراهيم سليم ص٤٣.
(٤) المرجع السابق ص١٤٥، ١٤٦.
(٥) المرجع السابق ص١٤٧.

صَعِدت السُّلَّم، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، ففوتت عليه ما أراده، وقفزت من فوق السلم، فلم تصعد، ولم تنزل، ولم تقف، وهكذا كان ردُّها مسكتا مفحما)[١].

تقول لزوجها: أنا وأنت في الجنة:

(نظرت امرأة عمران بن حطَّان فى المرآة يوما، وكانت جميلة، وكان عمران دميما فقالت له: أنا وأنت فى الجنة، فسألها: وكيف علمت ذلك؟ قالت: لأنك رزقت بى فشكرت، وأنا ابتليت بك فصبرت، والصابر والشاكر فى الجنة)[٢].

حياء رابعة العدوية:

(قيل لرابعة العدوية: لو كلمت رجال عشيرتك فاشتروا لك خادما تكفيك مؤنة بيتك؟ قالت: والله إنى لأستحى أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها)[٣].

حتى العجائز يا عمر:

(لما رجع عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشام إلى المدينة، أراد أن يتعرف أخبار رعيته، فمر بعجوز فى خبائها، فقصدها، فقالت: يا هذا ما فعل عمر؟ قال: قد أقبل من الشام سالما؟ قالت: لا جزاه الله عنى خيرا!! قال: ولِمَ؟ قالت: لأنه والله ما نالنى من عطائه منذ ولى أمر المؤمنين دينار ولا درهم!! فقال: وما يدرى عمر بمالك، وأنت فى هذا الموضع؟! فقالت: سبحان الله، والله

---

(١) المرجع السابق ص١٤٨.
(٢) الأجوبة المسكتة ص١٥٠.
(٣) المرجع السابق ص١٥٢.

ما ظننت أن أحدا يلى على الناس، ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها!! فبكى عمر رضى الله عنه وقال:

وا عمراه، كل أحد أفقه منك، حتى العجائز يا عمر)[١].

أحسن أبوها تربيتها:

(كان الخليفة المعتضد يحب زوجته قطر الندى حبا شديدا لجمال صورتها، وكمال أدبها، وقيل إنه كان جالسا معها فى بعض الأيام، فوضع رأسه على ركبتها ونام، وكان المعتضد كثير التحرز على نفسه، فلما نام تطلفت به، وأزالت رأسه عن ركبتها، ووضعتها على وسادة، ثم تنحت عن مكانها، وجلست بالقرب منه، فانتبه المعتضد فزعا، ولما لم يجدها، صاح بها فكلمته فى الحال، فعاتبها على ما فعلت به من إزالة رأسه عن ركبتها، وقال: أسلمت نفسى لك، فتركتينى وحيدا، وأنا فى النوم لا أدرى ما يفعل بى؟! فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جهلت قَدر ما أنعمت به علىَّ، ولكنى فعلت ما أدبنى به والدى خُمارَوَيه، حيث قال لى: يا بنيتى لا تجلسى مع النيَّام، ولا تنامى مع الجالسين. فأعجبه ذلك منها، وزاد حبه لها، وإكباره لمنزلتها)[٢].

أطاعته حيا وميتا:

(لما تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة... دخل على زوجته فاطمة بنت عبدالملك وقال لها: يا فاطمة: إن أردت صحبتى فقدِّمى كل ما لديك من مال وحُلىٍّ، وجواهر لبيت المال، فأنا لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد!!! فقالت: هو ما تقول يا أمير المؤمنين وقدمته كله إلى بيت مال المسلمين، فلما مات زوجها عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه وتولى الخلافة بعده أخوها يزيد بن عبدالملك، قال لها: أعلم أن عمر ظلمك؟ فأرُدُّ إليك كل ما أخذه ومثله معه!!

---

(١) المرجع السابق ص١٦٠.

(٢) الأجوبة المسكتة ص١٦٢.

فأبت وقالت له قولتها المشهورة: لا والله ما كنت لأطيعه حيا، وأعصيه ميتا، فسكت، وكف عن محاولته)[١].

عفة في لباقة:

(روى أن امرأة من أجمل نساء زمانها، قدمت مكة للحج، فرآها عمر بن أبى ربيعة الشاعر المعروف، فوقعت من قلبه، فدنا منها، فكلمها، فلم ترد عليه، فلما كانت الليلة الثانية قالت له: إليك عنى يا هذا، فلما كانت الليلة الثالثة قالت لأخيها: أخرج معى فأرنى المناسك، فإنى لست أعرفها، فأقبلت وهو معها.

فلما رآها ابن أبى ربيعة ومعها أخوها عدل عن طريقها، فتمثلت المرأة بقول النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له... وتتقى صولة المستأسد الحامى، فلما بلغ أمير المؤمنين المنصور الخبر قال: وددت أنه لم تبق فتاة فى خدرها إلا سمعت بحديث هذه المرأة، فأنعم بها من امرأة عفيفة)[٢].

قالت هو في حل من صداقي:

(روى أن امرأة تقدمت إلى قاضى الرى، فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار، فأنكره، فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا؟! فلما صمموا على ذلك قال الزوج: لا تفعلوا هى صادقة فيما تدعيه، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها، فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: هو فى حل من صداقى عليه فى الدنيا والآخرة)[٣]. فنعم الزوج ونعم الزوجة.

---

(١) المرجع السابق ص١٦٥.
(٢) المرجع السابق ص١٦٥، ١٦٦
(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٦/١٠٥، ١٠٦.

مسك الختام:

لو أخذت فى ذكر النساء فى القرآن الكريم، والسنة المشرفة، والسير والتراجم لطال الحديث، وربما لا أنتهى منه، لكن ما سبق دليل على ما ترك، وقد يكون المتروك جميلا ورائقا، وفيه خير كثير، إلا أننى أقول: مازال قوافل الهدى من النساء سائرة، فى كل مكان وزمان.

وما شهيدات وأسيرات ومعذبات فى ظلمات السجون فى كل من فلسطين والشيشان والعراق إلا دليل على ذلك.. لكنى أختم هذا المطلب بسيرة نساء أهل الجنة إنها الزهراء، أم الشجرة الزكية، وأصل آل البيت الأماجد، من أحبها وأحب آل بيتها أحبه الله تعالى، إنها:

سيدة نساء أهل الجنة:

فاطمة بنت سيد الخلق، واحتسبت خاتم الأنبياء والمرسلين لما ماتت بعده، وقد ذاكاها الرسول محمد ﷺ فقال: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»(١).

وقال ﷺ: «فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها أغضبنى»(٢).

وهى سيدة نساء هذه الأمة دون منازعة، ولها مناقب كثيرة ومشهورة وفى تفسير ابن كثير (أن رسول الله ﷺ أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا، فأتى فاطمة، فقال: يا بنية هل عندك شيء آكله فإنى جائع؟ قالت: لا والله، فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعته فى جفنة لها، وقالت: والله لأوثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسى ومن عندى،

---

(١) أخرجه البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب: مناقب فاطمة ٧/ ٨٤.
(٢) أخرجه البخارى فى الكتاب والباب السابقين ٧/ ٨٤.

وكانوا جميعا محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثتُ حسنا أو حسينا إلى رسول الله ﷺ فرجع إليها فقالت: بأبى أنت وأمى أتى الله بشىء فخبأته لك، قال: هلمى يا بنية، قالت: فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فإذا هى مملوءة خبزا ولحما، فلما نظرتُ إليها بهت، وعرفت أنها بركة من عند الله، فحمدت الله وصليت على نبيه، وقدمته إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه حمد الله، وقال: من أين لك هذا يا بنية؟ قالت: يا أبت «هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فحمد الله وقال: الحمدلله الذى جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا، وسئلت عنه قالت «هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء» بغير حساب فبعث رسول الله ﷺ وآله وسلم إلى علىٍّ، ثم أكل رسول الله ﷺ، وأكل علىٌّ وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبى ﷺ، وأهل بيته حتى شبعوا جميعا، وبقيت الجفنة كما هى، فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا)(١).

وفى حديث «عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم وآسية»(٢).

(وعن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت أحدا كان أشبه كلاما وحديثا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبلها ورحب بها، كما كانت هى تصنع ذلك، وقد شبهت عائشة مشيتها بمشية النبى ﷺ)(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٦٠.

(٢) قال الذهبى رواه أبو داود، انظر: تاريخ الإسلام الذهبى ٢/ ٢٤، دار الغد العربى ط١٩٩٦م.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٤.

وقال ابن حجر: (فاطمة الزهراء ، بنت إمام المتقين رسول الله محمد بن عبدالله .. كانت تكنى: أم أبيها ... وقال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لرضاك، ويغضب لغضبك» وقالت أم سلمة: في بيتي نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(١) قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلى والحسن والحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتي)(٢).

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.
(٢) الإصابة ٨٠/٥٦.

الخاتمة

وبعد: فتلك شذرات من هنا وهناك حول النساء الداعيات إلى الله عز وجل..

إن الإسلام قد حبا المرأة، وأعلى قيمتها إلى عنان السماء، وجعل لها منزلة لا تقدر، وأعتقها من قيود الظلمة وظلمهم، وحررها من سلاسل الذل والهوان، وأعطاها كل حقوقها دون غبن، وحتى دون مطالبة منها كاعتصام أو مظاهرات أو اضرابات، أو مؤتمرات الخ.. ولم تستطع دساتير العالم وقوانينه الوضعية إعطاء المرأة سواء أكانت أما أم جدة أو أختا، أم زوجة أم بنتا، أم خالة أم عمة الخ ما أعطاها الإسلام، كل هذا بين وواضح كالشمس فى كبد السماء، ومسجل بحروف من نور فى الدستور الربانى، لا تحريف فيه، ولا تغيير، ولا تبديل، ولا ينكر هذا إلا مكابر وجاحد، وحاقد يريد التلاعب بعواطف المرأة، ويسلخها من كرامتها، ويعود بها إلى التقهقر، أويريد أن يجعل من حقوق المرأة فى البيئة الإسلامية حجة للنيل من الإسلام والمسلمين، وأرض المسلمين وخيرات بلادهم، فيرمى هنا وهناك ومن بيئة إلى بيئة، ومن زمن إلى زمن مطاعن وافتراءات ليبذر بذور الكراهية والحقد، ويوهمنا أو يوهم بعضا من الذين فى قلوبهم مرض.. أن نصف المجتمع ضائع، ويختلق معركة وهمية، ليس لها أساسا أصلا، لندور فى حلقة مفرغة، وننشغل بمعارك كلامية وهمية، ولنقف دائما موقف المدافع، ونترك الحقيقة من الدفاع عن عقيدتنا وأرضنا نبنى ونعمر ونتقدم، ونواجه كل معوقات مسيرة الإسلام، وانتشار نوره فى آفاق الدنيا بالرجل والمرأة على السواء وبخاصة فى حقل الدعوة إلى الله عز وجل..

ومجالات حقل الدعوة بالنسبة للمرأة حقل شاسع وعميق، والساحة فيه مفتوحة على مصراعيها، لمن ترغب وتريد، فالمرأة لها: أب وأم، وإخوة بنين

وبنات، وزوج وأولاد بنين وبنات، ثم أقاربها وذوات رحمها، وكذا صديقاتها وزميلاتها وجاراتها، وكل البيئة المحيطة بها، والتكافل الاجتماعى، ورعاية الأسر الفقيرة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والإصلاح بين البيوت، والعناية بالأيتام، ورعاية كبار السن، وأصحاب الحاجات الخاصة.

تستطيع المرأة أن تجاهد من أجل الدعوة الإسلامية مع كل هؤلاء وزيادة. حتى يعود الجميع إلى رحاب الإسلام. ولقد سبق بيان نماذج من هذا..

أما أسلوبها فى الدعوة: فإن المرأة بحكم تكوينها رقيقة بعيدة عن الفظاظة والغلظة والعنف والشدة، فهى بما وهبها الله تعالى من طلاقة فى اللسان، وعقل وعواطف، ومشاعر فياضة، وحب الخير للجميع.. بحكم كل هذا عليها أن تفيض عليهم بالحب والمودة واللين والرقة، والحجة والمنطق، تسوق إليهم جميعا بهذه الأساليب الشيقة الجاذبة تعاليم الإسلام وسنة رسول الله ﷺ... وقد سبق أن سقنا نماذج متعددة لهذا. فإذا اشترك الرجل والمرأة وتعاونا معا على الجهاد فى سبيل الدعوة فإن هذا سوف يثمر أطيب الثمار، ولماذا خاضت المرأة كل مجالات العمل، ومازالت مقيدة مكبلة ومعرضة عن العمل فى حقل الدعوة، ولقد سبق أن ذكرت بعض القيادات النسائية، وكانت القدوة هى أهم السبل التى تلتزم بها.

وفى الختام أذكر بعض الكتب التى قد تعينها على الخوض فى هذا المضمار:

١ - الخصائص العامة للإسلام، د/يوسف القرضاوى. أو قل كل كتبه.

٢ - كل كتب فضيلة الشيخ محمد الغزالى رحمه الله تعالى وجزاه الله خيرا عنا.

٣- كل كتب الشهيد سيد قطب، وبخاصة فى ظلال القرآن.

٤- رياض الصالحين، النووى.

٥- الترغيب والترهيب، المنذرى.

٦- فقه السنة، الشيخ سيد سابق.

ولعل هذه الصفحات الماضية من هذا الكتاب تسهم ولو بجزء قليل فى شحذ همة المرأة فى العمل فى حقل الدعوة.

هذا ما وفقنى الله تعالى إليه، فإن كنت أصبت فمن فضل الله تعالى وتوفيقه لى، وإن كانت الأخرى فمنى ومن الشيطان، وأهمس فى أذن القارىء والقارءة أن يستروا عوراتى، ويقيلوا عثراتى، ويصححوا أخطائى، فإنه ليس بعد كتاب الله عز وجل من عصمة، ولا معصوم سوى رسول الله ﷺ..

وأخيرا: أدعوا الله عز وجل أن يتقبله من عبده الفقير، وأن يهدينى ويهدى بى، وينفعنى وينفع بى، وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم لا ينفع مال ولا بنون..

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»

«ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرا رشدا»

وَصَلِّ اللهم وسلم وبارك على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا،

والحمد لله رب العالمين أولا وأخيرا

الفقير إلي رحمة ربه

د/ محمد رمزي أحمد فواز

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم ـ جل من أنزله

١ ـ أبجد العلوم، صديق بن حسن القنوجى ط دار الكتب العلمية ١٩٧٨م.

٢ ـ الأوائل، أبو هلال العسكرى، دار البشير ط أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٣ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر، ط نهضة مصر.

٤ ـ الإسلام والدين الفطرى الأبدى، مبشر الطرازى الحسينى، دار عمر ابن الخطاب ١٩٧٦م.

٥ ـ الإسلام عقيدة وشريعة، د/محمود شلتوت، ط دار الشروق.

٦ ـ أسد الغابة، ابن الأثير.

٧ ـ الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، الأستاذ/ البهى الخولى.

٨ ـ الإسلام والجنس، فتحى يكن، مؤسسة الرسالة.

٩ ـ البداية والنهاية، الإمام ابن كثير، دار الغد العربى.

١٠ ـ إحياط علوم الدين، الغزالى، عالم الكتب.

١١ ـ أديان الهند الكبرى، د/أحمد شلبى، النهضة المصرية ١٩٨٦م.

١٢ ـ أخبار عمر، وأخبار عبد الله بن عمر، على الطنطاوى، ناجى الطنطاوى، المكتب الإسلامى، ط ثانية.

١٣ ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر.

١٤ ـ تاريخ الطبرى، المكتبة التوفيقية.

١٥ ـ تفسير القرآن الحكيم، المسمى: المنار، الشيخان محمد عبده، والسيد رشيد رضا، طـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

١٦ ـ تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية.

١٧ ـ تعليم المتعلم طريق العلم، الزرنوجى، طـ محمد على صبيح.

١٨ ـ تاريخ الإسلام، الذهبى، دار الغد العربى، طـ أولى ١٩٩٦م.

١٩ ـ تعدد الزوجات، د/عبد الناصر توفيق العطار، طـ مجمع البحوث الإسلامية، العدد ٤٧، ١٣٩٢هـ/مارس ١٩٩٢م.

٢٠ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر.

٢١ ـ الترغيب والترهيب، المنذرى، طـ وزارة الأوقاف المصرية.

٢٢ ـ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، دار الاعتصام.

٢٣ ـ الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء، مصر.

٢٤ ـ الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبى، طـ الشعب.

٢٥ ـ حضارة الهند، ديورانت، ترجمة زكى نجيب محمود.

٢٦ ـ حجاب المرأة المسلمة، ابن تيمية، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى.

٢٧ ـ الحقوق العامة للمرأة، صلاح عبد الغنى محمد، الدار العربية للكتاب ١٩٩٨.

٢٨ ـ حقوق المرأة فى المجتمع الإسلامى، د/جمال الدين محمود، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦.

٢٩ ـ حلية الأولياء لأبى نعيم، دار الكتاب العربى ١٤٠٥هـ.

٣٠ ـ الخلافة، السيد محمد رشيد رضا.

٣١ ـ الخصائص العامة للإسلام، أ.د/يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة.

٣٢ ـ الرجل والمرأة وحقيقة العلاقة بينهما، د/زهير محمد الزميلى، ط دار الإسراء ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣٣ ـ سنن أبو داود.

٣٤ ـ سنن ابن ماجه.

٣٥ ـ سنن الترمذى.

٣٦ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألبانى.

٣٧ ـ سير أعلام النبلاء، الذهبى، مؤسسة الرسالة.

٣٨ ـ السيرة النبوية، د/ محمد الطيب النجار، مكتبة الجامعة الأزهرية ١٩٧٠.

٣٩ ـ شرح الزرقانى على الموطأ، دار الكتب العلمية، ط أولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤٠ ـ صحيح البخارى.

٤١ ـ صحيح مسلم.

٤٢ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، المكتبة القيمة بدون.

٤٣ ـ العلاقات الاجتماعية فى العهد القديم وموقف الإسلام منها د/عبدالفتاح عبدالعزيز حسين، رسالة دكتوراه مخطوطة، أصول الدين، شبين الكوم ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٤٤ ـ فتح البارى، على شرح صحيح البخارى، ابن حجر.

٤٥ ـ فيض القدير، الشوكانى، دار النهضة الحديثة طـ ١٣٩١هـ.

٤٦ ـ فقه السنة، الشيخ سيد سابق، مكتبة الآداب، بدون.

٤٧ ـ كنز العمال، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.

٤٨ ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب، حققه عماد زكى البارودى طـ المكتبة التوفيقية، بدون.

٤٩ ـ لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف.

٥٠ ـ المنتظم فى تاريخ الأمم، ابن الجوزى.

٥١ ـ المرأة فى عصر الرسالة، د/عبد العظيم المطعنى، دار الفتح للإعلام العربى.

٥٢ ـ لباب النقول فى أسباب النزول، السيوطى، المكتبة التوفيقية بدون.

٥٣ ـ المرأة بين الفقه والقانون، د/مصطفى السباعى، دار السلام، طـ أولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٥٤ ـ المرأة فى التصور الإسلامى، عبد المتعال محمد الجبرى، مكتبة وهبة، طـ سابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٥٥ ـ المرأة فى الإسلام، على عبد الواحد وافى، نهضة مصر طـ ثانية ١٩٧٩م.

٥٦ ـ المستطرف فى كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهى، دار مكتبة الحياة ١٩٨٦م.

٥٧ ـ الموطأ، الإمام مالك، دار الكتب العلمية، ط أولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٥٨ ـ مسند الإمام أحمد، ط المكتب الإسلامى.

٥٩ ـ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط وزارة التربية والتعليم.

٦٠ ـ مفاتيح الغيب، الرازى، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م.

٦١ ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان، دار الثقافة.

٦٢ ـ اليهودية، د/أحمد شلبى، النهضة المصرية.

دوريات

جريدة الأهرام، جريدة الأخبار

جريدة صوت الأزهر، مجلة الأزهر

مجلة آخر ساعة، جريدة عقيدتى

مجلة نادين، جريدة حريتى

الفهــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٦٨٢٩/١٩٩٩م

دار الطباعة المحمدية
٣ زقاق أبي الظاهر بدرب الأتراك بالأزهر